[...]

البرازيل موطنٌ لأكبر جاليةٍ لبنانيةٍ في العالم أجمع، في بلادنا أعادت الكثير من العائلات اللبنانية مشهداً لمستقبلٍ من الإنجازات والسعادة، كان في بلدنا الذي رحب بمواطنيه الجدد بأذرعٍ مفتوحةٍ والذين خلقوا جذوراً وتمثلوا الوضع الوجودي البرازيلي،

[...]

البرازيل ولبنان تراثٌ ومستقبلٌ، قراءةٌ مفيدةٌ لأيّ شخصٍ يرغب في التعمق في الواقع اللبناني المعقد، وعلى وجه التحديد التبادل الثري بين كلا بلدينا، جمع فيه المؤلفون ما يقدمونه كلٌ من زاويته الخاصة كمعلوماتٍ عن الماضي وكذلك كنظرة مستقبلية، والتي تشير إلى العديد من الفرص التي لا تزال موجودة في العلاقات البرازيلية اللبنانية، علاقاتٍ أثق باستمرارها وتطورها بقوةٍ كبيرةٍ، تحت شعار التعاون والأخوة.

ميشال تامر

رئيس جمهورية البرازيل الاتحادية.

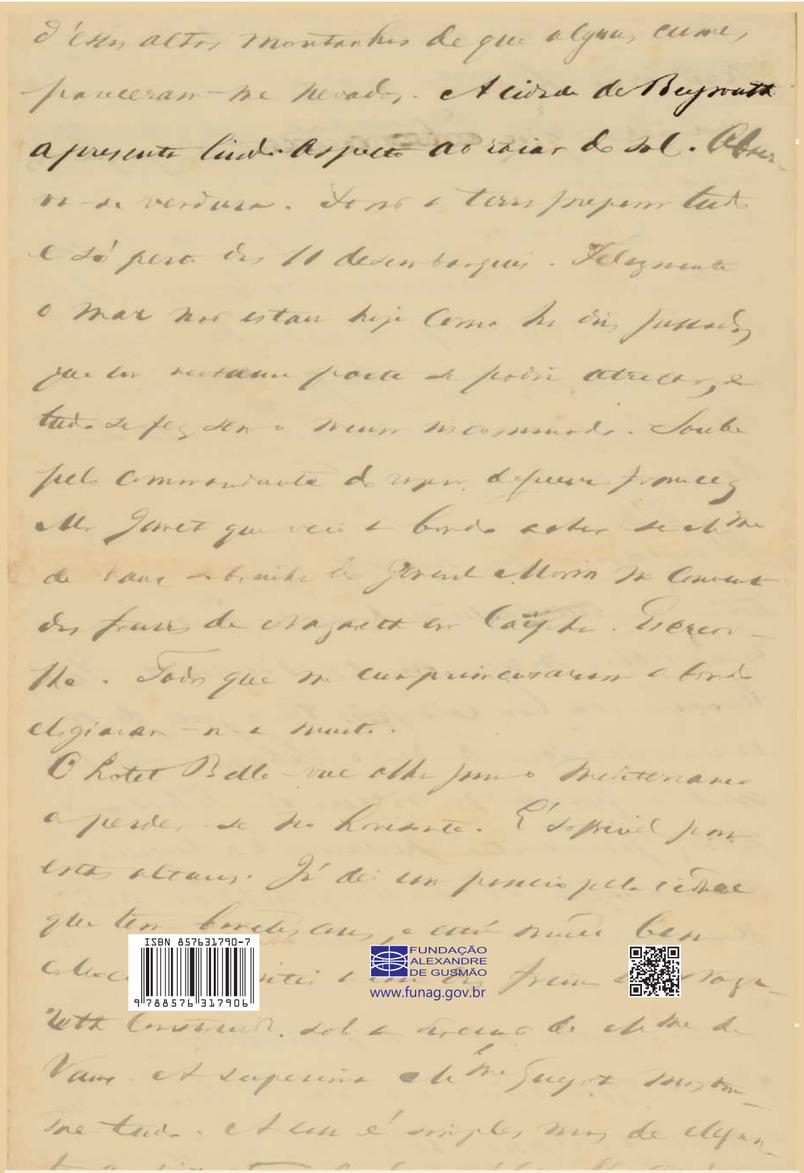

[...]

هذا المجلد هو مساهمةٌ أصيلةٌ تضعها مؤسسة أليشاندري دي غوسماو تحت تصرف الجمهور العام، نقدم منهجاً يمثل علاقةً معقدةً ومتعددة الجوانب ترتكز إلى تاريخٍ مشتركٍ وتآزر عبر الصلات الإنسانية، وكذلك عبر العلاقات الدبلوماسية والتبادلات الثقافية والتعاون في مجال الأعمال.

تعكس مجموعة المقالات هذه قناعتنا بأنه لا يزال هناك إمكاناتٌ كبيرةٌ لاستكشافها من قبل البلدين وشعبهما حيث يتعقد المستقبل، ولحدوث هذا فإننا نرتكز على أصلٍ نفيسٍ: التراث البشري الذي لا يقدر بثمنٍ، والذي هو لبنانيٌ والذي هو برازيليٌ، ومشتركٌ.

ألويسيو نونيس فيريرا

وزير الدولة للشؤون الخارجية

ISBN 8576317906
9 788576 317906
FUNDAÇÃO ALEXANDRE DE GUSMÃO
www.funag.gov.br

coleção Política Externa Brasileira
832

(المنظمون)
ليجيا ماريا شيرير
فيليبي حدوك لوبو جولارت
بيدرو أوغوستو فرانكو فيلوسو

البرازيل – لبنان
تُراثٌ ومُستقبل

FUNDAÇÃO ALEXANDRE DE GUSMÃO

مؤسسة أليشاندري دي غوسماو

coleção Política Externa Brasileira

مختارات وزارة الشؤون الخارجيّة البرازيليّة

البرازيل – لبنان

تُراثٌ ومُستقبل

(المنظمون)
ليجيا ماريا شيرير
فيليبي حدوك لوبو جولارت
بيدرو أوغوستو فرانكو فيلوسو

coleção Política Externa Brasileira

مختارات وزارة الشؤون الخارجيَة البرازيليَة

البرازيل – لبنان

تُراثٌ ومُستقبل

(المنظمون)
ليجيا ماريا شيرير
فيليبي حدوك لوبو جولارت
بيدرو أوغوستو فرانكو فيلوسو

مؤسسة أليشاندري دي غوسماو

مختارات وزارة الشؤون الخارجيَة البرازيليَة

البرازيل – لبنان

وزارة العلاقات الخارجية البرازيلية

وزير الدولة: ألويسيو نونيس فيريرا

الأمين العام: السفير ماركوس بيزيرا أبوت غالفاو

مؤسسة أليشاندري دي جوسماو: الرئيس السفير: سيرجيو إدواردو موريرا ليما

معهد بحوث العلاقات الدولية، الرئيس: باولو روبرتو دي ألميدا

مركز التاريخ والتوثيق الدبلوماسي، المدير السفير: غيلسون فونسيكا جونيور

مجلس التحرير: مؤسسة أليشاندري دي جوسماو

الرئيس السفير: سيرجيو إدواردو موريرا ليما

السادة الأعضاء:

السفير: رونالدو موتا ساردنبرغ

السفير: خوريو داوستر ماغالهايس إي سيلفا

السفير: جيلسون فونسيكا جونيور

السفير: خوسيه استانيسلاو دو أمارال سوزا

السفير: إدواردو بايس سابويا

الوزير: باولو روبرتو دي ألميدا

الوزير: باولو إلياس مارتينز دي موراييس

البروفسور: فرانسيسكو فرناندو مونتوليفا دوراتيوتو

البروفيسور: جوزيه فلافيو سومبرا سارايفا

البروفيسور: إيتيتي ساتو

مؤسسة أليشاندري دي غوسماو المنشأة منذ العام 1971، هي مؤسسةٌ عامةٌ مرتبطةٌ بوزارة الخارجية، تهدف لتقديم معلوماتٍ للمجتمع المدني حول الواقع الدولي وحول جوانب جدول الأعمال الدبلوماسي البرازيلي، وتتمثل .مهمتها في تعزيز الوعي العام بالقضايا المتعلقة بالعلاقات الدوليّة والسيّاسة الخارجيّة البرازيليّة

(المنظمون)
ليجيا ماريا شيرير
فيليبي حدوك لوبو جولارت
بيدرو أوغوستو فرانكو فيلوسو

البرازيل – لبنان

تُراثٌ ومُستقبل

ترجمة:

محمد مصطفى الجاروش ناصر صوّان

التدقيق اللغوي:

ناصر صوّان

مؤسسة أليشاندري دي غوسماو
FUNDAÇÃO ALEXANDRE DE GUSMÃO
برازيليا – 2018

حقوق النشر محفوظة لمؤسسة أليشاندري دي جوسماو
وزارة العلاقات الخارجية: رصيف الوزارات، الكتلة H الملحق الثاني، الطابق الأرضي
Brasília-DF 70170-900
الهواتف: (61) 6034 / 2030-6033
الفاكس: (61) 2030-9125
موقع الويب: www.funag.gov.br
البريد الإلكتروني: funag@funag.gov.br

طبع في البرازيل
العنوان الأصلي للكتاب: Brasil-Líbano: legado e futuro
© أليشاندري دي غوسماو

الفريق الفني:
أندريه لويز فينتورا فيريرا
إليان ميراندا بايفا
فيرناندا أنتونيس سيكيرا
غابرييلا ديل ريو دي ريزيندي
لويس أنطونيو غوسماو

التصميم الجرافيكي:
ياندرسون هودريغز

البرمجة المرئية والتخطيط:
شركة الجرافيك و النشر المثالية

الترجمة:
محمد الجاروش

تصميم الغلاف:
دينيفون كورديرو

مقتطفات من رسالة دون بيدرو الثاني إلى الكونتيسة دو بارال أثناء زيار ة لمدن رودس، فاماغوستا وبيروت وجزيرة قبرص، من 9 إلى 12 تشرين الثاني من العام 1876 ، نسخة طبق الأصل في الملحق ،)مجموعة بارال مونتفيرال(،

الآراء المعبر عنها في هذا الكتاب لا تعكس بالضرورة موقف الحكومة البرازيلية .

طبع في البرازيل 2018

B823 البرازيل – لبنان: ترا ث ومستقبل،)المنظمون(ليجيا ماريا شيرير، فيليبي حدوك لوبو جولارت، بيدرو أوغوستو فرانكو فيلوسو، برازيليا:FUNAG، 2018.

294 ص. – (مختارات وزارة الشؤون الخارجية البرازيلية)

ردمك 978-85-7631-790-6

1. História diplomática - Brasil - Líbano. 2. Cooperação cultural - Brasil - Líbano. 3. Nações Unidas (ONU). Conselho de Segurança. 4. Brasil. Marinha - atuação. 5. Política externa - Brasil - Líbano. 6. Guerra do Líbano (2006). 7. Comércio exterior - Brasil - Líbano. 8. Imigração - Líbano - Brasil. I. Scherer, Ligia Maria. II. Goulart, Felipe Haddock Lobo. III. Veloso, Pedro Augusto Franco. IV. Série.

CDD 327(569.3:81)

الإيداع القانوني بمؤسسة المكتبة الوطنية وفقًا للقانون رقم 10.994 ، بتاريخ 14 / 12 / 2004 .
أمين المكتبة المسؤول: كاثرين كاردم آراوجو، CRB-1/2952

جدول المحتويات

التقديم **7**
ميشال تامر

التمهيد **9**
ألويسيو نونيس فيريرا

ملاحظةٌ استهلاليَةٌ **13**
جوزيف صياح

البرازيل ولبنان أكثر بكثيرٍ من مجرد أولاد عمومةٍ! **15**
جورجي جيرالدو قدري وروبرتو ألدو سالوني

المشاركة البرازيلية في اليونيفيل
مساهمةٌ في العلاقات بين البرازيل ولبنان **35**

كلاوديو إنريكي ميلو دي ألميدا

المجتمع اللبناني في السياسة البرازيلية والعلاقات البرازيلية اللبنانية **77**

كارلوس مارون

حرب عام 2006..... **91**
سيرجيو إدواردو موريرا ليما

الحدود حيث لا مكان للإرهاب 117
سالم حكمت ناصر

الهجرة اللبنانية إلى البرازيل تاريخها ووضعها الحالي..... 141
موريلو سيبي بون ميهي

العرب والمسلمون والسوريون واللبنانيون في الأدب البرازيلي 157
محمد مصطفى الجاروش

المساهمة اللبنانية في المجال الصحي
المستشفى السوري اللبناني..... 169
مارتا كهدي شاهين

التعددية اللغوية واللغة البرتغالية في لبنان 199
آدم جايمي مونيز

التجارة الخارجية: دور المجتمع اللبناني..... 229
جون توفيق كرم

الاقتصاد اللبناني وإمكانات الشراكات واتفاقات التجارة والاستثمار مع البرازيل 257
فيليبي حدوك لوبو جولار

ملحق: نسخةٌ من رسالة الإمبراطور بيدرو الثاني إلى الكونتيسة بارال خلال زيارته إلى مدن رودس وفاماغوستا وبيروت وإلى جزيرة قبرص في الفترة الواقعة من 9 إلى 12 تشرين الثاني 1876 293

التقديم:

إنه لمن دواعي الرضا العظيم أن أقدم للقارئ هذا العمل المشترك، الذي يجمع وجهات نظرٍ وآراءٍ متعددةٍ حول العلاقات بين البرازيل ولبنان، تحيةً إلى مؤسسة ألكسندر دي غوسماو لمبادرتهم السعيدة بالنشر.

نحن نقدر بشكلٍ استثنائيٍ علاقاتنا مع لبنان، القديمة والقائمة على بعدٍ إنسانيٍ قويٍ، فيما يتعلق بالبرازيل كان تدفق المهاجرين اللبنانيين مثمراً للغاية في مجالاتٍ متنوعةٍ، أينما كنا نسعى في عالم الفن والطب والأعمال نميز البرازيليين من أصلٍ لبنانيٍ كدليلٍ حيٍ عن ذاك البلد، بلد الأرز! على امتداد ما يربو عن قرنٍ من العطاء السخي.

البرازيل موطنٌ لأكبر جاليةٍ لبنانيةٍ في العالم أجمع، في بلادنا أعادت الكثير من العائلات اللبنانية مشهداً لمستقبلٍ من الإنجازات والسعادة، كان في بلدنا الذي رحب بمواطنيه الجدد بأذرعٍ مفتوحةٍ والذين خلقوا جذوراً وتمثلوا الوضع الوجودي البرازيلي، في منازل ملايين البرازيليين ذوي الأصل اللبناني، تعاد القصة نفسها كلَ جيلٍ جديدٍ، يعيد ذات الانبهار ذات الإعجاب بأرضٍ حيث في كثيرٍ من الأحيان لم يسبق لها أن وطأت، ولكن منذ سنٍ مبكرةٍ تصبح مألوفةٍ، هذا أيضاً تاريخي وتاريخ تنشئتي مشبعان بالذكريات والتقاليد اللبنانية.

أفردت لي الحياة فرحة زيارة لبنان مرتين، كرئيسٍ لمجلس النواب وبعد ذلك كنائبٍ لرئيس الجمهورية، استطعت التأكد بشكلٍ مباشرٍ من تصوراتي حول الثروة التاريخية الواسعة والثقافية للبنان، وبالتساوي يمكنني أيضاً أن أشهد على وجدان الشعب اللبناني للبرازيل.

البرازيل ولبنان تراثٌ ومستقبلٌ، قراءةٌ مفيدةٌ لأيَ شخصٍ يرغب في التعمق في الواقع اللبناني المعقد، وعلى وجه التحديد التبادل الثري بين كلا بلدينا، جمع فيه المؤلفون ما يقدمونه كلٌ من زاويته الخاصة كمعلوماتٍ عن الماضي وكذلك كنظرة مستقبلية، والتي تشير إلى العديد من الفرص التي لا تزال موجودة في العلاقات البرازيلية اللبنانية، علاقاتٍ أثق باستمرارها وتطورها بقوةٍ كبيرةٍ، تحت شعار التعاون والأخوة.

ميشال تامر

رئيس جمهورية البرازيل الاتحادية.

تمهيد

يُشكلَ هذا المجلد عينةً ثريةً ومتنوعةً تعرض العلاقات بين البرازيل وبين لبنان، والتي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر و أصبحت اليوم مرئيةً في مجتمع اللبنانيين وأحفادهم الذين يعيشون في البرازيل والذين يساهمون بالكثير لتنمية بلادنا، يعتبر هذا التجمع الأكبر حتى من تجمع اللبنانين في لبنان نفسه حالياً، وعلى الرغم من هذه الروابط التاريخية وأهمية الهجرة اللبنانية، فإننا ما زلنا نفتقر إلى الدراسات التي تكشف للجمهور العام الأبعاد المختلفة للعلاقة التي تذهب إلى أبعد من الحوار الدبلوماسي التقليدي، هذا الكتاب يهدف إلى سدَ هذه الفجوة.

طول القرن العشرين، قام المجتمع اللبناني في البرازيل بتنويع أنشطته، مظهراً صنعته ومواهبه عندما أصبح جزءاً من المشهد البرازيلي، تبرهن مساهمات كلٍ من موريلو سيبي بون ميهي، ومحمد مصطفى جاروش، ومارتا كهدي شاهين على أن المهاجرين اللبنانيين نشروا منذ البداية ثقافتهم وثروتهم في الفنون و حسن الذوق، كما رأينا كيف انحدر الفضل الصالح من هذا المجتمع ووهب أساساً للمستشفى السوري اللبناني، وهو اليوم أحد المراجع الرئيسية للبلد في المجال الصحي، وفي الآونة الأخيرة، أصبحت تدفقات الهجرة ثنائيةً للبرازيليين الذي ينحدر الكثير منهم من لبنانيين، يستقرون في لبنان ويخلقون مجتمعًا محليًا للناطقين بالبرتغالية، التحديات والفرص لانتشار اللغة البرتغالية في البلد واحدةٌ من جوانب علاقتنا الثنائية وهو الموضوع الذي يركز عليه في مقاله الدبلوماسي آدم جايمي مونيز.

العلاقة بين البلدين تستفيد من الروابط الإنسانية، وتترجمها عبر نهجٍ سياسيٍ ودبلوماسيٍ، بما في ذلك مجال التعاون البرلماني، مجموعةٌ معتبرةٌ من السياسيين ذوي

الأصول اللبنانية أسهمت في مبادئ التمثيل التي تدعم ديمقراطيتنا، في مقالته يحلل النائب البرلماني كارلوس مارون عقوداً من التكثيف الدبلوماسي البرلماني بين البلدين، مقادةً عبر سياسيين برازيليين تواقون إلى معرفة جذورهم، حفاظاً منهم على هذا الصلة حية وترجمةً للرابط الحميم عبر تقاربٍ سياسيٍ وتعاونٍ اقتصاديٍ، يكشف السفير جورجي جيرالدو قادري والسفير روبيرتو آودو سالوني عن الإطار الرحب لعلاقتنا بنواحيها المختلفة، من الانتشار الثقافي وصولاً لمجال الدفاع، ومن المساعدة القنصلية للبرازيليين حتى المساعدات الإنسانية للاجئين.

إنَ عمق علاقاتنا والأهمية التي توليها البرازيل للعلاقات الإنسانية المتبادلة هي مواضيع مقالات السفير سيرجيو إدواردو موريرا ليما، الذي ساعد في جهود الإجلاء للبرازيليين من المناطق المتضررة في حرب 2006 بين إسرائيل ولبنان، والأدميرال كلاوديو هنريك ميلو دي ألميدا من البحرية البرازيلية، الذي شغل منصب قائد قوة الأمم المتحدة المؤقتة للقوات البحرية في لبنان (اليونيفيل) للفترة 2016-2017.

تقود البرازيل (قوات اليونيفيل) منذ عام 2011، وعلاوةً على مراقبتها للمياه الإقليمية، كذلك ساعدت البرازيل في تدريب القوات المسلحة اللبنانية، وهو مثالٌ آخر على تعهدنا بالسلام في لبنان، ما زلنا في مجال الأمن نختتم بشهادةٍ هامةٍ للأستاذ سالم ناصر على صورة الهجرة اللبنانية عند نقطة الحدود الثلاثية.

من الجلي أننا لا نستطيع تجاهل القضايا التجارية، يحكي البروفيسور جون توفيق كرم قصة نجاح طبقة رجال الأعمال اللبنانية المزدهرة في البرازيل، والتي عززت في النصف الثاني من القرن العشرين على إنشاء الغرف التجارية، وساعدت على دعم التجارة الخارجية البرازيلية، إنَ الفرص المتاحة للحاضر والمستقبل والتفاعلات بين المغتربين والمبادرات المشتركة وبناء التآزر هي في النهاية، موضوع المستشار فيليبي هادوك لوبو غولارت، الذي يشرح المجالات الواعدة المختلفة التي يجب على البلدين استكشافها.

هذا المجلد هو مساهمةٌ أصيلةٌ تضعها مؤسسة أليشاندري دي غوسماو تحت تصرف الجمهور العام، نقدم منهجاً يمثل علاقةً معقدةً ومتعددة الجوانب ترتكز إلى تاريخٍ مشتركٍ وتآزر عبر الصلات الإنسانية، وكذلك عبر العلاقات الدبلوماسية والتبادلات الثقافية والتعاون في مجال الأعمال.

تعكس مجموعة المقالات هذه قناعتنا بأنه لا يزال هناك إمكاناتٌ كبيرةٌ لاستكشافها من قبل البلدين وشعبهما حيث يتعقد المستقبل، ولحدوث هذا فإننا نرتكز على أصلٍ نفيسٍ: التراث البشري الذي لا يقدر بثمنٍ، والذي هو لبنانيٌ والذي هو برازيليٌ، ومشتركٌ.

ألويسيو نونيس فيريرا

وزير الدولة للشؤون الخارجية

ملاحظةٌ استهلاليةٌ

بادئ ذي بدءٍ أودَ أن أعرب عن صاف التهاني لوزارة الشؤون الخارجية البرازيلية بمبادرتها الحسنة في نشر هذا الكتاب حول العلاقات بين البرازيل ولبنان، رباطاً يرجع إلى ما يقارب من 150 سنةً قبل وقتٍ طويلٍ من اعتبار لبنان دولةً مستقلةً.

عندما تلقيت دعوةً لكتابة هذا الاستهلال، تساءلت من أين أبدأ وقد تمَ بالفعل إنتاج العديد من الكتب والمقالات والنصوص حول هذا التعايش الفريد والخاص، موضوعٌ أصبح شائعاً بين العديد من الكتاب والمؤلفين، هناك من يحدد العلاقات بين لبنان والبرازيل كحلقة وصلٍ بين دولتين بمؤسساتٍ قائمةٍ ومصالحٍ محددةٍ، ومع ذلك نحن اللبنانيون، نعتبرها علاقةً بين أشقاء يقومون على جانبي العالم.

بدأت هجرة الشعب اللبناني إلى البرازيل كمصادفةٍ، ثم تمت دعوتهم من قبل الإمبراطور دون بيدرو الثاني، ومع ذلك بعد معرفة المزيد عما تقوم به البرازيل، أصبحت البلاد وجهةً محددةً لحركة الهجرة اللبنانية، الذين اكتشفوا أنَ البرازيل بلدٌ حميمٌ وسخيٌ ومضيافٌ ومتسامحٌ وودود كذلك، هذه هي القيم والمبادئ المشتركة بين اللبنانيين على مر القرون لذلك لم يكن مفاجئا عندما شعروا بالاندماج في هذا البلد الذي دعوه مع الحب الكبير، بالوطن!.

إنَ الحضور الهائل للأبناء اللبنانيين في البرازيل يجعل من المستحيل تجاهل العلاقات الأخوية بين شعبينا، حيث لا توجد عائلةٌ لبنانيةٌ واحدةٌ ليس لديها أقارب على التراب البرازيلي، من أجل ذلك وبغض النظر عن مدى علاقة التعاون الوثيق

بين الدولتين وتطور الطموحات التجارية باستمرار، والتي نأمل ازدهارها قريباً، الطبيعة السائدة لهذه العلاقة هي أكثر أخويةً بكثيرٍ من كونها تجاريةً أو سياسيةً.

اليوم، ينتشر أبناءُ وبناتُ هؤلاء المهاجرين اللبنانيين الأوائل في جميع أنحاء البرازيل، يشغلون مناصب بارزةً في جميع طبقات المجتمع والسياسة والشؤون المالية والأعمال التجارية والصحة والتعليم والثقافة والفن، لقد تنعموا بالسخاء البرازيلي وكوفئوا على أمانتهم وولائهم كمواطنين فخورين ومخلصين، هذه بالتأكيد حكايةٌ بسيطةٌ غير أنها تاريخية عن القبول والاندماج الإنساني، قصةٌ عن شعبٍ عاملٍ وطموحٍ في جانبٍ من العالم، وحول شعبٍ مرحبٍ ومضيافٍ على الجانب الآخر، لا توجد طريقةٌ للإشادة بروح الإخاء التي جعلت هذا البلد العظيم المدعو البرازيل أمةً واحدةً من العالم.

أن أكون سفير لبنان في البرازيل امتيازٌ عظيمٌ من دون شكٍ، حيث إنَ كونك جزءًا من هذه العلاقة التاريخية التي توحد بين هاتين الدولتين وشعوبهما والمساهمة في تطور هذه العلاقة هو رضىً عن المهنة عظيمٌ، تجربتي الدبلوماسية في هذا البلد هي شهادةٌ على الاستقبال الحارَ الذي يتلقاه ممثلٌ لبنانيٌ في البرازيل، على مرَ السنين أصبحت كلَ مرةٍ على يقين أن الأفضل يلوح قريباً، عندما يتمكن البرازيل ولبنان من إنجاز شراكةٍ راسخةٍ وباقيةٍ على جميع المستويات وفي جميع المجالات، تلبيةً للمصالح الأفضل لكليهما، إخوةٌ على جانبي العالم؟ بكلَ يقينٍ!

جوزيف صياح

السفير اللبناني في البرازيل

البرازيل ولبنان! أكثر بكثيرٍ من مجرّد أولاد عُمومةٍ!

جورجي جيرالدو قدري* وروبرتو ألدو سالوني**

«الوطن هو ذاك المكان الذي يعرق فيه المواطن ويبكي ويضحك، حيث يكدح لكسب معاشه وبناء بيت للعمل وآخر للسكن. اعترف فضول عبدالله بوطنه الجديد وتبناه، فيه لم ير النور ولم يتعمد. أمور ضئيلة، تفاصيل سفيفة: الأهم أن المهد هو اللحد، ولحده سوف يُحفر في أراضي الكاكاو (...) عندما أصبح رجلاً، تحول برازيلياً»[1].

ليست بالقليلة الأعمال الأدبية التي تصف الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، في كتابين اثنين على الأقل (غابرييلا قرنفل وقرفة، 1958)، و(اكتشاف أمريكا من قبل الأتراك، 1994)، يُعرَف جورج آمادو عن شخصية المهاجر كبطلٍ للرواية، رضوان نصار وهو نفسه سليلٌ لشاميين في روايته (على شمال الأب، 1975) يروي العلاقات المتصارعة وسط أسرةٍ لمهاجرين لبنانيين، ومنذ عهدٍ قريبٍ يروي ابنٌ آخر للشتات الكاتب ميلتون حاطوم، في دراما (شقيقان 2000)، الشجار العنيف بين توأمٍ في عائلةٍ لبنانيةٍ تنشأت في ماناوس.

---

* السفير البرازيلي في لبنان منذ 2015.

** الأمين الأول في السلك الدبلوماسي، منصّب في السفارة البرازيلية في بيروت.

1 جورج آمادو، الكمين العظيم، ريو دي جانيرو، ريكورد، 1984، ص 40.

كما نحدس إنَ العلاقات بين البرازيل ولبنان تزيد عن كونها وُديةً وسلميةً، فهي تتكون من وشائج مترابطةٍ بما يزيد عن المئة عامٍ، تتخللها وتعززها فوق كلَ ذلك الأمواج المهاجرة التي جعلت من البرازيل أكبر بلدٍ للجالية اللبنانية في العالم، وتتكون ما بين 8 و 10 ملايين من السلان، في البرازيل عدد اللبنانيين أكثر من عددهم (المعروف في المجتمع اللبناني نفسه نظراً لعدم وجود «p» في اللغة العربية مثل «brimos») مقارنةً بلبنان نفسه، والتي يبلغ عدد سكانها حوالي 5.9 مليون نسمةٍ[2].

1. التاريخ:

على الرغم من أنَ العلاقات الدبلوماسية قد تأسست بشكلٍ رسميٍ عام 1944، أي في العام التالي لاستقلال لبنان، إلا أنَ العلاقات بين الشعبين كانت قد بدأت قبل ما لا يقلَ عن نصف قرنٍ، تعتبر زيارة دون بيدرو الثاني إلى الشرق المتوسط علامةً رمزيةً فارقةً لافتتاح العلاقات، ففي عام 1876 وعلى الرغم من الطابع الخاص لهذه الجولة فإنَ رحلة الإمبراطور البرازيلي عبر لبنان (التي كانت آنذاك إحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية) أثارت اهتمام الصحافة المحلية، والتي لم تغط فقط مرور رئيس الدولة من بيروت ولكن أيضاً عرضت على القراء معلوماتٍ مفصلةٍ عن البرازيل[3]،

2 بيانات من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مقتبس من تقرير التنمية البشرية 2016، متاح على: <http://hdr.undp.org/sites/default/files/2016_human_development_report.pdf>. تمَ في 10 آب عام 2017.

3 تمت تغطية وصول بيدرو الثاني في بيروت من قبل صحيفة ثمرات الفنون، التي سجلت في 16 من تشرين الثاني من العام 1876: «السبت الماضي [11/11/1876] وصل الإمبراطور البرازيلي بيدرو الثاني، وأعرب عن شكره العميق للحكومة على الاستقبال المشرف له وللوفد المرافق له، وأوضح أن زيارته لها هدفٌ سياحيٌ، ولذلك لم يقدم نفسه في أرديةٍ رسميةٍ، بعد فترةٍ وجيزةٍ، ذهب الإمبراطور للتنزه في المدينة وأسواقها وزار المدارس والتقى ببعض الناس، وكان يتصرف دائماً بشكلٍ شعبيٍ وبدون بروتوكولات «،اقتباس من: روبيرتو قطلب .As Viagens

كذلك ترك اتصاله المباشر مع السكان انطباعاً قوياً على تواضعه، حين كان يحاول جاهداً للتواصل باللغة العربية[4].

كذلك ترك اتصاله المباشر مع السكان انطباعاً قوياً على تواضعه، حين كان يحاول جاهداً للتواصل باللغة العربية.

خلال الرحلة الممتدة لمسافة 500 كيلومترٍ حول بلاد الشام[5] والتي طالت أيضاً مدينة دمشق [6]، كتب الإمبراطور في مذكراته في مطلع اليوم السادس عشر من تشرين الأول عام 1876 «بتَ أسمع حول الاهتمام الشعبي للذهاب إلى البلاد، حتى أنهم يرغبون الهجرة إلى البرازيل[7]، إلا أنَ رئيس الدولة لم يذكر أبداً أيَ تعليقٍ آخرٍ حول سياسة جذبٍ محتملةٍ للمهاجرين الشاميين إلى البلاد[8]، على أيَ حالٍ احتفلت البرازيل مع الإمبراطورية العثمانية وفي عام 1858 أبرمت معاهدة الصداقة والتجارة

---

de d. Pedro II: Oriente Médio e África do Norte. 1871 e 1876. São Paulo: Benvirá، 2015، صفحة 134.

4 روبيرتو قطلب، صفحة 135.

5 المرجع السابق، صفحة 150.

6 نُشر مسار الرحلة الإمبراطورية إلى لبنان في الصفحة 3 في العدد 23 أيار 1876 من جريدة مقاطعة ساو باولو (اليوم جريدة ولاية ساو باولو)، مع الوصف التالي: «11-8 تشرين الثاني: بيروت ، لا تزال زيارة الأوابد الباقية في بعلبك ودمشق وأرز لبنان مستمرةً». راجع: Acervo Estadão متوفر على: <http://acervo.estadao.com.br>

7 هوبيرتو قطلب، صفحة 150.

8 مونيك سوشاكزيسكي، من ريو دي جانيرو إلى اسطنبول: التناقضات والروابط بين البرازيل والإمبراطورية العثمانية (1850-1919). برازيليا: مؤسسة أليشاندري دي غوسمآو، 2017، صفحة 235

والملاحة التي سمحت بحرية التداول وحرية التجارة التابعتين للإمبراطوريتين على حدٍ سواءٍ[9]، واستهلت بأسس الهجرة إلى البرازيل.

على الرغم من أن مقصد الإمبراطور بيدرو الثاني للمنطقة كان مقتصراً على اهتمامه الشخصي لزيارة الحضارات العريقة، إلا أنَ إجراء العلاقات العامة للإمبراطور قد حول المملكة النائية للأميركيتين إلى وجهةٍ آمنةٍ لجزء من الشاميين في سياق عدم الاستقرار السياسي الكبير والأزمة الاقتصادية، بضع سنين قبل ذلك أي عام 1860، أدت الحرب الأهلية لجبل لبنان إلى الاقتتال بين كل من الدروز والموارنة مما أدى إلى وفاة ما يقرب من 15 ألف مسيحيٍ وبالتالي كانت بداية الشتات.

في العقد التالي وبالتزامن مع رحلة الإمبراطور بيدرو الثاني وصل إلى البرازيل أول المهاجرين من بلاد الشام، بموجب الميثاق الشرعي لمعاهدة 1858 بينما تكاثفت الحركة بقوة منذ العام 1880[10]، وفي الفترة ما بين أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى، هاجر نحو 70 ألف شخصٍ من رعايا الإمبراطورية

9 النص الكامل متوفر في قاعدة بيانات على الموقع: "Concórdia – Atos Internacionais"، المتوفر على: https://concordia.itamaraty.gov.br/>>.

10 من الممكن العثور على روايات متفرقة عن الوجود اللبناني في البرازيل حتى قبل الاستقلال، في عام 1808، تخلى التاجر البرتغالي-اللبناني إلياس أنطونيو لوبيز (أو إيلي أنتون لوبوس)، وهو تاجر عبيدٍ، تنازل عن منزله للعائلة المالكة البرتغالية، وصل إلى ريو دي جانيرو، أصبح المكان فيما بعد معروفًا باسم Paço de São Cristóvão ، وخلال عهده الثاني، كان مقدراً كمقرٍ للعائلة الإمبراطورية البرازيلية، اقتباسٌ «أكبر وأقدم متحف في البرازيل». متاحٌ على: http://www.museunacional.ufrj.br/guiaMN/Guia/paginas/1/palacio.htm>.

العثمانية[11] إلى البرازيل، وغالباً ما كانوا من ذوي أصولٍ مسيحيةٍ[12]، موجة الهجرة التي تميزت قبل كلَ شيءٍ بكونها حركةً تلقائيةً دون أيَ دعمٍ رسميٍ من القسطنطينية أو من ريو دي جانيرو[13]، يفرضها ويعززها التكيف العاجل للمهاجرين في البرازيل وبواسطة انتشار التجارة كأحد الأنشطة الرئيسية التي تمثل شخصية التاجر الجوال[14]، أدى التدفق الكثيف للمهاجرين إلى الاعتراف بضرورة تقديم مساعدةٍ لهؤلاء المواطنين، ومن ثمَ تمَ إنشاء القنصليات العامة للدولة العثمانية في عام 1908 في ريو دي جانيرو وفي ساو باولو[15] من قبل الجانب البرازيلي وقد تَم بالفعل إنشاء القنصلية الفخرية للبرازيل في بيروت في عام 1921 في سياق التفويض الممنوح لفرنسا من قبل عصبة الأمم في بيروت[16]، بعد أقلَ على عقدٍ من الزمن تنشئ البرازيل قنصليةً رسميةً[17]، يثبَت المنصب الجديد عمق العلاقات الثنائية في أعقاب الوجود اللبناني المتكافل الموحد في البلاد.

11 يعرفون خطأً من قِبل البرازيليين، باسم «الأتراك» نظراً إلى أنَ حاملي جوازات السفر كانت صادرةً عن الإمبراطورية التركية العثمانية.

12 مونيك سوشاكزيسكي، صفحة 231.

13 المرجع السابق، مونيك سوشاكزيسكي، صفحة 272.

14 في افتتاح دورة الألعاب الأولمبية لعام 2016 في ريو دي جانيرو، تم تقديم التكوين التاريخي لجمهورية البرازيل، بطريقةٍ مجازيةٍ، من خلال تعاقب الأمريكيين الهنود والمستوطنين البرتغاليين والعبيد الأفارقة والمهاجرين اليابانيين والسوريين اللبنانيين، وقد مثَلت الجالية الأخيرة ضاربةً مَثَل أكياس التاجر الجوال.

15 «العلاقات البرازيلية–التركية». متاح على: <http://www.itamaraty.gov.br/pt-BR/ficha-pais/5458republica-da-turquia>.

16 المرسوم رقم 15،136، المؤرخ في 24 من تشرين الثاني من العام 1921. مقتطفات: «المقالة الوحيدة، تمَ تأسيس قنصليةٍ فخريةٍ في بيروت، فلسطين». متاحٌ على <http://www2.camara.leg.br/legin/fed/decret/1920-1929/decreto-15136-24-noviembre-1921-569817-publicacaooriginal-93016-pe.html>.

17 المرسوم رقم 19.463، المؤرخ في 6 من كانون الأول من العام 1930. مقتطفات: «المادة

بعد استسلام باريس في اليوم الثاني والعشرين من حزيران عام 1940 وإجلاء قوات فيشي من لبنان في تموز عام 1941 من قبل قوات التحالف بين المملكة المتحدة والقوات الفرنسية الحرة[18]، طالبت الأمة المشرقية (الشامية) باستقلالها الكامل، وقد حازته أخيراً في تشرين الثاني من عام 1943[19]، وفي العام التالي اعترفت الحكومة البرازيلية باستقلال لبنان وشرعت في بداية العلاقات الدبلوماسية، في تشرين الثاني من عام 1945، أنشئت المفوضية في بيروت وفي عام 1946 عيّن في البرازيل منصب وزيرٍ مفوضٍ للحكومة اللبنانية، وخلال السنة نفسها سيفتتح لبنان التمثيل (مفوضيته) في ريو دي جانيرو، الذي يعتبر أيضاً كوزيرٍ مفوضٍ[20]، في عام 1954 افتتحت السفارة البرازيلية في بيروت، وبنفس العام قام الرئيس اللبناني كميل شمعون، بأول زيارةٍ له كرئيس دولةٍ لبنانيٍ إلى البرازيل، وهو الوضع الذي تمّ فيه رفع التمثيل الدبلوماسي في ريو دي جانيرو إلى رتبة سفارة.

2. الجالية البرازيلية في لبنان:

قامت الروابط المتينة الثنائية بين كلا البلدين على أساس وجود الجالية اللبنانية الكبيرة في البرازيل، ومن ناحيةٍ أخرى يقدر عدد الجالية البرازيلية في لبنان بحوالي 16

1. تم تأسيس قنصلياتٍ من الدرجة الأولى في أثينا وبيروت ومن الدرجة الثانية في بلغراد». متاحٌ على: http://www2.camara.leg.br/ legin / fed / decret /> 1930-1939/decto-19463-6-diciembre-1930-561321-.<publicacaooriginal-84924-pe

18 بطرس ديب، تاريخ لبنان من الأصول إلى القرن العشرين. Paris: Editions Philippe Rey، 2016، صفحة 848

19 بطرس ديب، المرجع السابق، صفحة 871.

20 «القنصلية العامة للبنان». :متاحٌ على: http://www.riodejaneiro.mfa.gov. lb/riodejaneiro/portuguese/consulado-geral-do-libano-no-.<rio-de-janeiro

ألف مواطنٍ منتشرةً في معظم الأراضي اللبنانية، على الرغم من أنَ معظمهم يقطن في منطقة وادي البقاع في شرق البلاد.

ينبغي أن نتذكر أنَ القسم القنصلي في السفارة البرازيلية في بيروت بفاعليته المستمرة منذ عام 1921، يمثل أحد أكثر القطاعات حيويةً والأشد وضوحاً في هذا الموقع وذلك في سياق التدفق التاريخي للمهاجرين بين البلدين، سنوياً يقدم القطاع القنصلي حوالي 8 آلاف خدمةٍ في مكاتبه، للبرازيليين واللبنانيين وأشخاصٍ من جنسياتٍ أخرى، بالإضافة إلى الإجابة على الاستفسارات عبر البريد الإلكتروني والهاتف، ويصدر ما يقارب من أربعة إلى ثمانية آلاف رسمٍ قنصلي.

إحدى أبرز خصوصيات قطاع السفارة في بيروت، هو العدد الكبير في سجلات الولادة التي تتم تسجيل إجراءاتها، وهي حوالي 70 سجلاً في الشهر، معظمهم من البالغين اللبنانيين المنحدرين من مواطنين برازيليين، وإضافةً إلى ذلك تواصل السفارة البرازيلية في بيروت برنامجها للمساعدة القانونية والنفسية للمرأة البرازيلية المقيمة في لبنان[21].

يتم تبادل الآراء مع الجالية البرازيلية المقيمة في لبنان ويجري تنفيذها بالتنسيق مع المجلس الاستشاري للمواطنين والذي أنشئ عام 2009 بغرض مناقشة الموضوعات التي تهم مجتمعنا، يتكون المجلس من أحد عشر ممثلاً للمجتمع المدني بتفويضٍ رسميٍ كلَّ عامّين.

إنشاء القنصلية الفخرية في مدينة طرابلس شمالي لبنان عامَ 1961 ونقلها استجابةً للحاجة المتزايدة سنة 2012 إلى وادي البقاع شرقي البلاد يعكس الاهتمام

21 تم تقديم البيانات من قبل القسم القنصلي للسفارة في بيروت، مع تعاون الأمين الثاني لويز فيليبي كزارنوباي.

الدائم للسياسة الخارجية البرازيلية بتقديم المساعدة اللازمة للمجتمع البرازيلي في المنطقة.

3. الشتات اللبناني في البرازيل:

حركية المهجر اللبناني في البرازيل والمعروفة من قبل لبنان نفسه تنعكس في حيوية هذه الجالية في شتى قطاعات المجتمع البرازيلي، لا سيما في المشهد الثقافي والاقتصادي والسياسي، على الرغم من عدم دقة الإحصائيات الرسمية إلا أنها تشير وفقا لإحصاء عام 1940، إلى أنَ الجيل الأول والثاني للسوريين اللبنانيين في البرازيل شكل فريقاً من 160 ألف مهاجرٍ، عام 2000 انضمّ إليهم مع أحفادهم حوالي 7 ملايين مواطنٍ أي ما يقرب من 4% من السكان البرازيليين في ذلك الوقت[22]، نتجت هذه الظاهرة عبر التزايد المتنامي للمجتمع واستمرار تدفقات الهجرة إلى البرازيل، خاصةً خلال الحرب الأهلية 1975 – 1990[23].

كما أوضحنا سابقاً، فإنَّ موجة الهجرة في الفترة ما بين سبعينيات القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى كانت تتركب بشكلٍ أساسيٍ من مؤمنين بالمسيحية، يتكونون من الموارنة وأتباع الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والروم الملكيين والرسوليين[24]، من بين الأقلية الإسلامية برز في المقام الأول المؤمنون ذوو المنبت

22 روبيرتو ميديروس، نموذج جديد للعلاقات بين البرازيل ولبنان: خصوصياتٌ وفرصٌ ثنائيةٌ وانعكاساتٌ في سياق الشرق الأوسط. برازيليا: LVI Curso de Altos Estudos، صفحة 69.

23 المرجع السابق، هوبيرتو ميديروس ، صفحة 69.

24 أمير إبراهيم كاران، الهجرة: الجالية اللبنانية وسلالها. في: المعهد الثقافي برازيل–لبنان. متوفر على: <http://icbl.com.br/site/detalhe_noticia.php?id=126>.

السني، على الرغم من أنَّ هجرة المسلمين الشيعة قد اكتسبت زخماً في الآونة الأخيرة، من الجدير بالذكر وجود جاليةٍ يهوديةٍ لبنانيةٍ من فرع السفرد[25].

بروز المجتمع اللبناني في البرازيل عاملين أساسيين: الانتشار الطبيعي في الأراضي المحلية، والحراك الاجتماعي الاقتصادي البارز[26]، وهكذا من ناحية النشاط الاقتصادي الأساسي للمهاجرين فإنَ التجوال قد حثهم على الانتشار في جميع أنحاء البرازيل، وهكذا، فإنَّ النشاط الاقتصادي الأساسي للمهاجرين، ومن ناحيةٍ أخرى فإنَ رأس المال المتولد جلب صعوداً اقتصادياً للمهاجرين وذرياتهم، مما سمح بدخول الأطفال والأحفاد إلى مدارس وجامعات النخبة، إضافةً إلى تكوينهم في مجال المهن الحرة، خصوصاً الطب[27]، في الواقع يعتبر المستشفى السوري اللبناني المؤسس عامَ 1921 من قبل جمعية منافع السيدات وهي مجموعةٌ مجتمعيةٌ سوريةٌ لبنانيةٌ، من أهم المراكز الطبية في أمريكا اللاتينية.

لا تزال عملية الصعود الاجتماعي ظاهرةً للعيان بين أبناء المهجر اللبناني في السياسة البرازيلية والملاحظة عبر المشاركة القوية في المناصب الانتخابية في السلطات الثلاثة والميادين الاتحادية الثلاثة أيضاً، في الكونغرس الوطني 8% من البرلمانيين

25 غوغا شقرا، ما الذي حدث لليهود اللبنانيين؟، في: O Estado de São Paulo، مدونة، 5 تموز 2015. متاحٌ على: <http://internacional.estadao.com.br/blogs/gustavo-chacra/o-que-houve-com-os-judeus-libaneses>.

26 روبيرتو ميديروز، المرجع المذكور، صفحة 69.

27 المرجع السابق ، صفحة 70.

ذوي أصولٍ لبنانيةٍ[28]، منذ عام 1979لا تزالَ المجموعة البرلمانية البرازيلية اللبنانية في نشاطها[29].

4. طاقة المهجر اللبناني:

في هذا الإطار، شدد وزير الخارجية جبران باسيل في عام 2014 على الأهمية الإستراتيجية لمبادرة الطاقة في الشتات اللبناني، وذلك بهدف إعادة الملايين من أحفاد اللبنانيين والمنحدرين من أبناء الجمهورية اللبنانية مرةً أخرى، مع مجموعةٍ من الأهداف الجلية: (1) للاحتفال بقصص نجاح الجالية في أكثر البلاد تنوعاً، (2) تعزيز التراث اللبناني عبر نشر تقاليد وتصوّرات اللبنانيين، (3) لإقامة روابط بين أفراد الشتات، مما يتيح فرصاً لتبادل الخبرات وتكثيف الاتصالات وتنفيذ الاتصالات الاجتماعية والتجارية، (4) إضافةً إلى استكشاف إمكانياتٍ وفرصٍ جديدةٍ يمكن للمواطنين اللبنانيين والوافدين من خلالها استعادة صورة لبنان وثقة المجتمع الدولي في اقتصاده[30].

28 في الكونغرس البرازيلي، 8٪ من البرلمانيين من أصلٍ لبنانيٍ، في: Folha de S. Paulo، 14/6/2015. متاحٌ على: <http://www1.folha.uol.com.br/poder/2015/06/1642001-no-congresso-8-dos-parlamentares-tem-origem-libanesa.shtml>

29 قرار مجلس النواب في 30 أيلول عام 1979، متاحٌ على: <http://www2.camara.leg.br/legin/fed/rescad/19701979/resolucaodacamaradosdeputados-30-6-setembro-1979-318953-publicacaooriginal-1-pl.html>.

30 مشاريع دياسبورا من قبل وزارة الخارجية والمغتربين اللبنانية، متوفرٌ على الموقع التالي: <http://www.lde-leb.com>.

منذ البداية، دعمت البرازيل مبادرة طاقة الشتات اللبناني، وبالمشاركة مع الحكومة اللبنانية، ساهمت في تنظيم المؤتمر الأمريكي اللاتيني الأول «مؤتمر الطاقة الاغترابية اللبنانية» الذي عقد في ساو باولو في تشرين الأول 2016، افتتح رئيس الجمهورية ميشال تامر وهو نفسه سليلٌ لبنانيٌ، وحضره وزير الخارجية جبران باسيل، إلى جانب حاكم ولاية ساو باولو جيرالدو ألكمين، والمستشار جوزيه سيرا من بين سلطاتٍ كثيرةٍ أخرى.

في كلمته طرح الوزير باسيل فكرة «اللبنانية»، وهو مفهومٌ هوياتي يميز الجنسية اللبنانية عن غيرها من الجنسيات في العالم العربي، والذي يتضمن تنوعاً مرتبطاً بالتسامح الثقافي والطائفي، كسمةٍ مميزةٍ للتجربة متعددة الأديان في لبنان منذ قرون.

في هذه المناسبة أبرز الرئيس ميشال تامر خصائص المجتمعات اللبنانية التي ساعدت في صنع أمريكا: التفاني في العمل، وإعطاء قيمة للتعليم، والارتباط الحميمي بلبنان عبر تعايشٍ متناغمٍ مع الحس الوطني العميق الجذور إلى أرض الولادة، سواءً كانت البرازيل أو أيَ بلدٍ آخرٍ في أمريكا اللاتينية.

أثمر المؤتمر الأول لأمريكا اللاتينية بياناً نهائياً أدرجت توصياته بما في ذلك حثه للسلطات اللبنانية على تعجيل عمليات تجنيس أعضاء الشتات بهدف استعادة الجنسية[31] وتشجيع الحكومة اللبنانية على توقيع اتفاقياتٍ ثنائيةٍ وإقليميةٍ. بهدف تعزيز الصادرات من السلع اللبنانية، فضلاً عن جذب الاستثمارات والخدمات في أمريكا اللاتينية وتعزيز إمكانات السياحة في بلاد المشرق.

جددت الدورة الرابعة للمؤتمر والمعقودة في بيروت أيار عام 2017 مشاركة البرازيل ومهجريها، كما يتضح من وفدها الذي ضمَ أكثر من 320 ممثلاً برازيلياَ،

31 كان قانون استرداد الجنسية اللبنانية، والذي قد طالبت به الجالية منذ فترةٍ طويلةٍ، قد أقره رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس الوزراء سعد الحريري خلال افتتاح مؤتمر المهجر الرابع في أيار 2017.

وهو الأكبر في المؤتمر، وبالإضافة إلى حضور رئيس مجلس النواب البرلماني رودريغو مايا كرئيس للوفد، حيث التقى برئيس دولة لبنان العماد ميشال عون، كذلك مع رئيس الوزراء سعد الحريري ومع وزير الخارجية جبران باسيل، كما افتتحت الحكومة اللبنانية في سياق الدورة الرابعة للمؤتمر «بيت الشتات البرازيلي اللبناني في المركز التاريخي لمدينة البترون، على بعد حوالي 50 كمٍ من العاصمة بيروت، سيكون المنزل بمثابة مركزٍ للمبادرات الثقافية ويستضيف متحفًا للشتات اللبناني في البرازيل[32]، ومن المهم أن نتذكر أنه على هامش هذا الحدث، نُظم مجلس الأعمال البرازيلي اللبناني الأول والذي جمع حوالي 100 من رجال الأعمال من كلا البلدين[33].

5. العلاقات الثنائية والزيارات الأخيرة:

لا تقتصر كثافة العلاقات بين البرازيل ولبنان على التعاطف المتبادل أو على الدور الأساسي للشتات اللبناني، بل وينعكس أيضا على المستوى السياسي الدبلوماسي، عبر التبادل المكثف للزيارات، بعد مرور ما يقارب من 130 عامًا على رحلة الإمبراطور دون بيدرو الثاني إلى بلاد الشام، عقد الرئيس لويس إيناسيو لولا دا سيلفا أول زيارةٍ رسميةٍ كرئيس دولةٍ برازيليٍ إلى لبنان في كانون الأول 2003، التقى خلالها مع الرئيس إميل لحود[34] ومع رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري[35]، سعى الرئيس لولا إلى تقوية العلاقات التجارية مع دولة الأرز في بيروت، وفي الواقع وضع

32 وفقا لمنشورات «بيت الشتات، بيت الوطن»، التي تصدرها وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين، والتي تم تداولها **خلال مؤتمر الطاقة الاغترابية**.

33 للحصول على وصفٍ تفصيليٍ للعلاقات الاقتصادية بين البرازيل ولبنان، راجع مقالة المستشار فيليبي حدوك لوبو جولار.

34 قام الرئيس لحود بزيارةٍ رسميةٍ للبرازيل في عام 2004.

35 كان رئيس الوزراء رفيق الحريري قد زار البرازيل في حزيران من العام 2003 عندما افتتح مؤتمر الأعمال «كوكب لبنان» في ساو باولو مع الرئيس لولا.

الرئيس البرازيلي الأسس للمؤتمر الأول لرؤساء دول أمريكا الجنوبية والدول العربية أو ما يسمى بمؤتمر قمة الدول العربية ودول أمريكا الجنوبية، آلية التعاون فيما بين بلدان الجنوب والتنسيق السياسي في المنتديات المتعددة الأطراف، حصلت المبادرة على ترحيبٍ فوريٍ من قبل الرئيس لحود[36].

وبهذه المناسبة قامت الحكومة اللبنانية بإضفاء الطابع الرسمي لوضع الأراضي المحلية في منطقة ضبية لاستضافة المنشآت المستقبلية للمجمع الدبلوماسي البرازيلي.

في سياق حرب 2006 ، التي اعتدت فيها دولة إسرائيل على قوات حزب الله المتمركزة في جنوب لبنان، زار المستشار سلسو أموريم بيروت في آب من ذلك العام، في ذلك الوقت، أقلت طائرة هيركوليز التابعة للقوات الجوية البرازيلية 9 أطنان من المساعدات الإنسانية، منها 2,7 طن من الأدوية التي تبرعت بها الحكومة البرازيلية، والإمدادات التي جمعها المجتمع اللبناني في البرازيل في حملات التعبئة، وفي عام 2010 ستتلقى البرازيل أيضاً زيارة الرئيس ميشال سليمان، الذي تزامن مع ذكرى مرور 130 عاماً من الهجرة اللبنانية إلى البلاد.

في تشرين الثاني 2011، زار لبنان نائب رئيس الجمهورية البرازيلية ميشال تامر برفقة وفد كبير من البرلمانيين ورجال الأعمال، حيث التقى خلال زيارته بالسلطات اللبنانية العليا، وزير الشؤون الخارجية والمغتربين في لبنان جبران باسيل زار بلدنا في ثلاث مناسبات في الأعوام 2014 و 2015 و 2016، التقى في جميعها المستشار البرازيلي، وخلال زيارته الأخيرة، التقى في ساو باولو مع الرئيس تامر والوزير خوسيه سيرا خلال المؤتمر الأمريكي اللاتيني الأول للشتات اللبناني.

في أيلول من عام 2015 زار وزير العلاقات الخارجية ماورو فييرا بيروت في معرض زيارته الأولى للشرق الأوسط، وفي العام التالي التقى المستشار خوسيه

36 لبنان يدعم القمة المشتركة مع ميركوسور، في: O Estado de São Paulo، 5/12/2003، ص 4.

سيرا مع الوزير جبران باسيل على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، ومن الجدير بالذكر أيضاً زيارة العمل إلى بيروت في آذار من عام 2017 من قبل حاكم ولاية غوياس ماركوني بيريلو، وتم اللقاء بالرئيس عون والوزير باسيل إضافةً إلى مجتمع الأعمال اللبناني، سعى خلالها الحاكم بيريلو لاستكشاف فرص الاستثمار وزيادة العلاقات التجارية، وخاصة في مجال الأعمال التجارية الزراعية، أسست كثافة تبادل الاجتماعات عبر توافق القيم الديمقراطية والتقارب المتناسق غالباً[37]، في المحافل المتعددة الأطراف يظهر توقعًا ملموسًا لزيارة الرئيس ميشال تامر إلى لبنان في مقابل زيارة الرئيس ميشال عون للبرازيل.

6. الدفاع

زار وزير الدفاع البرازيلي راؤول جونجمان لبنان في تشرين الأول من العام 2016 ، حيث التقى بنظيره اللبناني، في البداية أعلن كلا الطرفين عن نيتهما لإبرام اتفاقية تعاونٍ في مجال الدفاع، في أقلَ من عامٍ تقدمت المباحثات بشكلٍ كبيرٍ، وبعد المصادقة على النص من قبل مجلس وزراء لبنان، الاتفاق قيد التمحيص والدراسة من قبل البرازيل وينبغي توقيعه عاجلاً. تعتبر المعاهدة بمثابة قاعدةٍ للتعاون في مجالاتٍ عدةٍ كتدريب العاملين الصحيين ولا سيما المسعفين الطبيين، في مجال العمليات العسكرية وعمليات الطوارئ.

37 في آخر مرةٍ شغلوا فيها مقاعد متناوبةً في مجلس الأمن الدولي خلال الفترة 2011-2010، حافظت كلٌ من البرازيل ولبنان على مواقف متماثلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة وعبر آلياتٍ أخرى كمجلس حقوق الإنسان، ومؤتمر نزع السلاح والمؤتمر المعني بتغير المناخ، من بين أمورٍ أخرى، لقد أيدت الدولتان في التصويت على القضايا الأكثر أهميةً في جدول الأعمال الدبلوماسي الحالي، مثل: معالجة قضية فلسطين، والتطورات الإنسانية في الصراع الداخلي السوري، ومكافحة الإرهاب، وإعادة توجيه جدول الأعمال البيئي، أمن الإنترنت وإشراك الطرفين في المفاوضات التي أدت إلى اعتماد معاهدة حظر الأسلحة النووية في تموز 2017.

وتجدر الإشارة إلى أن افتتاح هذه المبادرة الدفاعية في السفارة البرازيلية في بيروت عام 2014 قد ساهم في زيادة التقارب والعمل معا به كبرنامجٍ أساسيٍ لمواصلة تطوير الحوار الثنائي في هذا المجال.

في اتصال مع السلطات العسكرية والشرطة في لبنان فيما يتعلق بالمعدات الدفاعية، ساهمت البرازيل في تحسين الأوضاع الأمنية في لبنان من خلال توفير ست طائرات من طراز امبراير 29 سوبر توكانو والمصنعة بالشراكة مع سييرا نيفادا في أمريكا الشمالية (وهي في مرحلة التسليم)، وست عشرة مركبةٍ مدرعاتٍ من طراز إيفيكو 6×6 غواراني، تم تصنيعها في البرازيل، ونقلت في عام 2016.

7. المشاركة البرازيلية في اليونيفيل:

بموجب قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1701 الصادر عن منظمة الأمم المتحدة، شغلت البرازيل منذ شباط 2011 قيادة قوة الأمم المتحدة المؤقتة للقوات البحرية في لبنان وتحتفظ بوحدة قوامها 254 فرداً عسكرياً[38]، ومنذ شهر تشرين الأول من العام نفسه ساهمت الدولة البرازيلية في قيادة اتحاد (البوارج البحرية، الاستقلال، الليبرالية والدستورية، وحراقات السفن الحربية المدعوة باهوسو)[39].

بالنسبة للبرازيل فقد لعبت قوات اليونيفيل دوراً استراتيجياً وتقدمت بفعالية في تنفيذ وصايتها عبر مراقبة جنوب لبنان، تسمح القوة للجيش اللبناني بالعمل في المناطق التي تتطلب التزاماً أكبر، خصوصاً في سياق التقلبات الشديدة الحاصلة في المنطقة المحيطة على المستوى الإقليمي.

38 ملحق الدفاع البرازيلي في بيروت، البيانات المحدثة في 8 آب، عام 2017.

39 تمثل القوات البرازيلية في FTM-UNIFIL ثاني أكبر وحدة وطنية في عمليات السلام التابعة للأمم المتحدة، والتي لا تتجاوزها إلا مشاركة الدولة البرازيلية في بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في هايتي (MINUSTAH).

تلبيةً لدعوة الأمم المتحدة وافقت البرازيل على الاستمرار في قيادة القوة الأممية المؤقتة للقوات البحرية اللبنانية على الأقل حتى شهر كانون الثاني من العام 2018، ولا زالت تولي أهميةً كبيرةً لبعثة المراقبة والقيام بتدريب قواتها، كذلك في العمل الإنساني وغيره من السيناريوهات حتى في مناسباتٍ غير متوقعة، هذا ما حصل فعلاً في أيلول من العام 2015 عندما كانت حراقات السفن الحربية المدعوة باهوسو في طريقها إلى البعثة في لبنان، وانتهى الأمر بنقل التفويض نفسه استجابةً لدعوةٍ لتقديم المساعدة وإنقاذ 220 مهاجرٍ معرضون لخطر الموت عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا، تم تزيين هذه الشارة بوسام شرف من رتبة هيو برانكو[40].

ومن الجلي والواضح التزام البرازيل بالسلم والأمن الدوليين، لا سيما في الشرق الأوسط، حيث تحافظ البلاد في الواقع على علاقاتٍ ممتازةٍ لا سيما مع لبنان وإسرائيل، ومن وجهة نظر الجمهورية البرازيلية عنصر البحرية لليونيفيل عبر أداءه المتميز في قيادة اتحادٍ حاسمٍ بالنسبة للاستقرار في المنطقة، وبالتالي فإنَ البرازيل لا تزال مصممةً على مواصلة المساهمة في بعثة السلام في لبنان.

40 في هذا الصدد، انظر عنوان المستشار ماورو فييرا بمناسبة فرض شارة ريو برانكو على الحراقة باروزو، في 15/9/2015: <http://www.itamaraty.gov.br/pt-BR/discursos-artigos-e-entrevistas-categoria/ministro-das-relacoes-exteriores-discursos/11593-discurso-do-ministro-mauro-vieira-por-ocasiao-da-imposicao-da-insignia-da-ordem-do-rio-branco-a-corveta-barroso-beirute-15-de-setembro-de-2015>

8. المساعدة الإنسانية

في المحافل المتعددة الأطراف اعترفت البرازيل مراراً بالترحيب السخي من قبل لبنان والذي حظيت به ملايين اللاجئين[41] منذ عام 1949، كان هناك 450 ألف لاجئٍ فلسطينيٍ[42] نزحوا بسبب الحرب العربية الإسرائيلية في العام الذي سبقه، وفي الآونة الأخيرة أدى اندلا ع الحرب الأهلية في سوريا في عام 2011 إلى تدفق أكثر من مليون لاجئٍ سوريٍ إلى لبنان[43]، مما يشكل تحدياتٍ معقدةٍ للاقتصاد الوطني والبنية التحتية المحلية في لبنان.

منذ عام 2008 تبرعت البرازيل بمبلغ 700 ألف دولارٍ أمريكيٍ إضافةٍ إلى خمسة أطنانٍ من الأدوية إلى منظمة الأونروا لإعادة إعمار مخيم اللاجئين الفلسطينيين في نهر البارد الواقع بالقرب من طرابلس والذي دمر جراء الاقتتال الحاصل عام 2007، سنة 2012 تبرعت الحكومة البرازيلية بمبلغ 120 ألف دولارٍ أمريكيٍ للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين لتقديم مساعداتٍ إنسانيةٍ للاجئين السوريين في لبنان.[44]

---

41 انظر خطاب البرازيل الملقى في الاجتماع الرفيع المستوى حول المشاركة العالمية لمسؤولية قبول اللاجئين السوريين، الذي استضافته مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، جنيف، 30 آب، عام 2016.

42 بيانات من وكالة الأمم المتحدة لتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط الأنروا، متاحٌ على : .<https://www.unrwa.org/where-we-work/lebanon> وفقاً للحكومة اللبنانية يعيش أكثر من نصف مليون لاجئٍ فلسطينيٍ في لبنان.

43 بياناتٌ من المفوضيَة العليا لشؤون اللاجئين، المقدمة على الصفحة الالكترونية: "Syria Regional Refugee Response"، المتوفرة على الموقع الالكروتي التالي:http:// data.unhcr.org/syrianrefugees/country.php?id=122. وترفض الحكومة اللبنانية هذه الأرقام، مدعية أن مليوناً ونصفا من اللاجئين السوريين يعيشون في لبنان.

44 بالإجمال تبرعت البرازيل بمليون ومئتي الف دولار للمنظمة السامية لشؤون اللاجئين، وبمليون

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنه في عام 2014 تبرعت البرازيل بـ 795.5 طنًا من الأرز إلى منظمة الأونروا، بقيمة تقارب 600 ألف دولارٍ أمريكيٍ، دعماً للاجئين الفلسطينيين في لبنان وفي السنة التالية معدات كوارث (مجموعةٍ من الأدوية وأدوات المستشفيات الطبية) قادرةً على خدمة آلاف الأشخاص في سياق الأزمة التي يشكلها اللاجئون السوريون.

شاركت البرازيل في بيروت في اللجنة التوجيهية رفيعة المستوى، وهي مجموعة من السفراء تشكلت في عام 2016 عقب مؤتمر المانحين في لندن، دعماً للاجئين السوريين، يترأس اللجنة الوزير الأول سعد الحريري الذي سعى إلى استكشاف التدابير التي تتخذها الدول المانحة لتشجيع مشاركة المجتمع الدولي في تعبئة الموارد للمساعدات الإنسانية في لبنان، وتهدف المجموعة أيضاً إلى العمل كآليةٍ غير رسميةٍ لمتابعة الالتزامات الدولية التي لم تكمل في لندن عام 2016 فقط بل وأيضًا في بروكسل 2017.

9. ثقافة

لا يمكن أن تقتصر كثافة العلاقات الثنائية على اتصالات السلطة فقط، حيث يعطي القطاع الثقافي للسفارة البرازيلية في بيروت أولوية لأعمال المركز الثقافي البرازيلي اللبناني، الذي افتتحه عام 2011 نائب الرئيس البرازيلي آنذاك ميشيل تامر.

لعب المركز الثقافي دوراً رائداً في الدعوة للبرازيل في المشهد الثقافي اللبناني، من ناحيةٍ أخرى تم إدراج دعوة المركز الثقافي البرازيلي لتعليم اللغة البرتغالية[45]، كذلك كان

أخرى لرصيد الحالات الطارئة التابع لمكتب الأمم المتحدة للتنسيق في المساعدات الإنسانية. المحددة خصوصا لسورياً.

45 يستلم المركز الثقافي البرازيلي–اللبناني سنويا تقريبا 500 طالب في دوراته، وعلى مدى سنة 2016 استقبل ما يزيد على 7000 مشارك في الفعاليات التي نظمها.

المركز مكاناً متميزاً لنشر السينما والفنون التشكيلية والطهي والتصميم والأدب البرازيلي عبر دوراته وورش عمله والمعارض والمهرجانات، المنتشرة تقليدياً بواسطة الصحافة المحلية، منذ تأسيسه بات المركز الثقافي الواجهة الرئيسية للثقافة البرازيلية في لبنان.[46]

بالإضافة إلى الأنشطة التي تقام في المركز الثقافي، تقوم السفارة البرازيلية في بيروت بتنفيذ مشاريع شراكةٍ مع مؤسساتٍ ثقافيةٍ محليةٍ مهمةٍ، مثل مهرجان الأفلام البرازيلية الذي قدم أهم الإنتاجات الوطنية البارزة للجمهور اللبناني.[47]

10. اعتباراتٌ نهائيةٌ:

العلاقات الثنائية ترافق كثافة الروابط العائلية والروابط الثقافية والقرب الفريد من ملحمة الهجرة العظيمة، التي بدأت في القرن التاسع عشر ومع ذلك، فإننا أكثر بكثير من «أولاد عمومة»، التعاطف المتبادل يرتكز على مشاريع مشتركةٍ ويدعم التعاون الحقيقي والفعال والدفاعي والتجاري، وفي هذا الصدد فإنَ المفاوضات حول اتفاقية التجارة الحرة المستقبلية بين ميركوسور ولبنان، والتي لن تهدف فقط إلى توسيع نطاق الميزان التجاري، بل ستوفر أيضاً فرصةً كبيرةً لإعادة التوازن للتجارة الثنائية، التي لا تزال ماثلة بشكلٍ مفرطٍ لصالح البرازيل، وترتكز على المنتجات ذات القيمة المضافة المنخفضة.[48]

من ناحيةٍ أخرى، يمتلك لبنان إمكانياتٍ كبيرةٍ ليصبح بوابةً للبرازيل من حيث الاستثمار والتجارة في الشرق الأوسط، بعد الحرب الأهلية 1975 – 1990، استأنفت

46 لوصف مفصل حول القطاع الثقافي للسفارة في بيروت، راجع فيما بعد مقالة الأمين الأول آدم جايمي دي اوليفيرا مونيز.

47 قدم هذه البيانات القطاع الثقافة لسفارة البرازيل في بيروت. ساهم الأمين الثالث تياغو دي ميلو اوليفيرا.

48 لتحليل الموضوع، راجع مقالة المستشار فيليبي هادوك لوبو غولار.

دولة الأرز مساراً إيجابياً للنمو، ملموساً عند أولئك الذين يعبرون في شوارع بيروت التي أعيد بناؤها، إنَ السياحة التي تعدَ واحدةً من الركائز الأساسية للاقتصاد اللبناني، تحتاج إلى اكتشافها من قبل الجمهور البرازيلي الذي لا يزال يجهل الجمال الطبيعي والتراث التاريخي والأثري الثمين والشاهد على الحضارة الفينيقية القديمة وعلى كثيرٍ من الشعوب الأخرى التي سكنت أراضي المشرق، وقد بذل الطرفان جهوداً لتحسين الاتصال وخاصةً إعادة تنشيط شركة الخطوط الجوية المباشرة بين البلدين، والتي توقفت منذ أواخر التسعينيات[49] عبر اتفاقية تعاون حول الأمور السياحية موقعةً في عام 2003.

باختصارٍ، بعد مرور أكثر من 140 عاماً على زيارة بيدرو الثاني، أصبحت البرازيل موطنًا لعدة ملايين ينحدرون من أصولٍ لبنانيةٍ، وتفتخر بامتلاك أكبر جاليةٍ لبنانيةٍ في عوالم المهجر، «أولاد العمومة» أبناء العم وإخوة المغامرات الثقيلة قد شكّلت وجعلت البرازيل مع النساء والرجال من جميع الخلفيات العرقية ومع جميع المهاجرين الآخرين بلداً أفضل على الرغم من التحديات الحضارية الملحة، أمةً دافئةً، متعددة الأعراق واستوائيةً[50] منفتحةً بشكلٍ خاصٍ للمختلفين.

49 الخطوط الجوية الأولى بين البرازيل ولبنان قامت بها شركة باناير البرازيل بين 1951 و1962، كان لشركة فاريغ للطيران مكتب تجاري في بيروت، وبين 1962 وحتى بداية الحرب الاهلية اللبنانية، في عام 1975، حافظت رحلات جوية مباشرة الى الريو دي جانيرو، وبين 1995 و1998، خطوط الشرق الأوسط قامت برحلات بين بيروت وساوباولو، بمرور على ابيدجان في ساحل العاج، في عام 2004 خطٌ جديدٌ تحت نظام المشاركة، أقيم بين شركة تام للطيران وخطوط الشرق الأوسط، مع توقف في باريس.

50 هذا ما يدافع عنه بروح غنائية فريدة، الانثروبولوجي البرازيلي دارسيهْ ريبيرو: «اننا نجهز أنفسنا من أجل أن نزدهر غداً كحضارة جديدة، خلاسية واستوائية، فخورة بنفسها، أكثر فرحاً لكونها معذبة، وأحسن لأنها متفتحة على المعاشرة مع كل الأعراق وكل الثقافات ولأنها مقيمة على أجمل وأنور محافظة على الكرة الأرضية»، دراسيهْ ريبيرو، الشعب البرازيلي: تكوين البرازيل ومعناه. ساوباولو، كومبانيا داس ليتراس، 1997، ص 455.

المشاركة البرازيلية في اليونيفيل
مساهمةٌ في العلاقات بين البرازيل ولبنان

كلاوديو هنريك ميلو دي ألميدا*

ملخصٌ

لا تزال السفن التابعة للبحرية البرزيلية منتشرةً في لبنان، تتناوب على قيادة بعثاتها الممتدة لغاية ستة أشهر، إنَ حضور بيئةٍ بحريةٍ برازيليةٍ تنفيذاً لوصاية الأمم المتحدة والتفاعل أغلب السكان المحليين مع ما يزيد عن 250 عسكرياً من موظفي القوة وطاقم السفينة يقدم مساهمةً فريدةً للعلاقات بين البرازيل ولبنان، تحلل هذه الورقة هذه المساهمة، مع التركيز على مدى قوة القوة العسكرية ولا سيما بعنصرها البحري في تسيير السياسة الخارجية، ولهذا تتناول في البداية المفهوم النظري لدبلوماسية الدفاع، المتعلقة بالاستخدام غير القسري للوسائل العسكرية لتحقيق أهدافٍ دبلوماسيةٍ، يصف علاقة لبنان بالبرازيل، التي تعد موطنا لأكبر مجموعة لبنانية وأبناء. تقارير عن إنشاء قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان وتوسيعها لتشمل المكون البحري الأول والوحيد في بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام؛ ويقيّم، أخيراً، مساهمة الوحدة البرازيلية في لبنان في العلاقات بين البلدين.

* لواء بحري في البحرية البرازيلية. قائد القوات العاملة البحرية للقوة الداخلية للأمم التحدة في لبنان في فترة ما بين 2016-2017.

1. مقدمة:

تعتبر القوات المؤقتة الونيفيل التابعة للأمم المتحدة بمثابة بعثة حفظ السلام التي أُنشئت في عام 1978 في جنوب لبنان، جرى اعتمادها منذ مطلع عام 2006 مع فرقة عمل البحرية، للإسهام في جهود الحكومة اللبنانية لمنع الدخول غير المشروع للأسلحة عبر الطريق البحري إلى أراضيها والمساعدة في تدريب قواتها البحرية، لا تزال البرازيل مسؤولة عنها منذ منذ شهر شباط من العام 2011 ومنذ شهر تشرين الأول من العام نفسه ترسل البرازيل بانتظامٍ سفنها لتكون بمثابة رائدٍ على فرقة العمل.

تعرب قيادة البرازيل غير المنقطعة لعناصر القوات البحرية اليونيفيل لأكثر من ست سنوات، عن التزامها بمُثل الدفاع عن السلام والحل السلمي للصراعات، ناهيك عن الطابع الفريد لتلك القيادة في بلدٍ نحافظ فيه على روابط ثقافيةٍ وتاريخيةٍ قويةٍ تدل باستمرارٍعلى وجود مجموعة من اللبنانيين والمنحدرين من سكان تلك الدولة على التراب البرازيلي.

وكما هو الحال في عمليات حفظ السلام السابقة تحت رعاية الأمم المتحدة، كانت قيادة اليونيفيل مثالًا ناجحًا على استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف السياسية الخارجية في وقت السلم، هذا الموضوع على الرغم من كونه غير مطروق للسمع، إلا أنه قد حظي باهتمامٍ متجددٍ منذ نهاية الحرب الباردة، مما جعل مصطلح «دبلوماسية الدفاع» أكثر تكراراً في السياسات الخارجية والدفاعية للدول المعنية على الساحة العالمية.

تقترب قوى اليونيفيل لكلٍ من لبنان والبرازيل من الأسس النظرية المرتبطة بالتوظيف غير القسري للقوة العسكرية دعماً للسياسة الخارجية، مع التركيز على

عمليات حفظ السلام، وسنقوم بعد ذلك بوصف العلاقة التاريخية بين كلا البلدين عبر أكثر الجوانب صلةٍ باليونيفيل، وبمزيدٍ من التفصيل حول هذه المشاركة للقوات البحرية سعياً لتحليل المساهمة التي أدت إليها هذه المشاركة في العلاقات بين لبنان والبرازيل.

2. السلطة العسكرية و السياسة الخارجية في أوقات السلم:

إنَ القوة العسكرية كوسيلةٍ لقيادة السياسة الخارجية حتى في حالات النزاع الغير مسلح هي مفهومٌ قديمٌ قدم ظهور القوات المسلحة المنظمة، فإجراءات كزيارات السفن الحربية إلى موانئ الدول الصديقة أو حتى المناوئين المحتملين منهم كإجراء لتدريبات عسكرية متعددة الأطراف أو دعماً لأعمال إنسانية قد شكل عبر قرون خياراً عسكرياً متاحاً للسياسة الخارجية للدولة، أضافت المشاركة في عمليات حفظ السلام بعدًا جديدًا لهذه الإجراءات، التي ساهمت أيضًا في تحقيق أهدافٍ أوسع، بما يتفق مع المبادئ التي تحكم علاقة كل دولةٍ بالدول الأخرى[1].

كانت نهاية الحرب الباردة نتيجةً لاستبدال النظام الدولي البارز ثنائي القطب آنذاك، لآخر أقل منه تنبؤاً، قدم ذلك إمكانياتٍ جديدةٍ للاستخدام المحدود للقوة، على وجه التحديد في حالة أوروبا، كان هذا السيناريو مواتياً لاستخدام الإجراءات المنسقة في المجالين الدبلوماسي والدفاعي لتعزيز الثقة في العلاقات مع المنافسين السابقين في الشرق بعد حل الكتلة السوفييتية[2]، وقد حفز هذا السياق الجديد عدة سلطات لإعادة تقييم سياساتها الدفاعية في ضوء التغيرات المتصورة في السيناريو

1 في هذه الحالة يتم تعريف هذه المبادئ وفقاً للمادة 4 من الدستور الاتحادي البرازيلي بين أولئك الذين يحافظون على مزيد من الالتزام: بعمليات حفظ السلام والمساواة بين الدول، الدفاع عن السلام والتسوية السلمية للنزاعات، والتعاون بين الشعوب من أجل تقدم البشرية (البرازيل، 1988، صفحة 11).

2 سيلفا، 2015، صفحة 192.

العالمي في عام 1998 أجرت المملكة المتحدة مراجعة الدفاع الاستراتيجي[3]، حيث يتضمن تقريره واحدةً من الصلاحيات الجديدة للقوات دبلوماسية الدفاع والمعرفة وفق النحو الآتي:

«البعثة: لتنفيذ مختلف الأنشطة التي تقوم بها وزارة الدفاع بغرض تثبيط الأعمال العدائية وبناء وصيانة ودعم تطوير القوات المسلحة الخاضعة للمساءلة الديمقراطية، وبالتالي تقديم مساهمةٍ كبيرةٍ في منع النزاعات وتسويتها»[4].

إنَ تعبير «مبادرة الدفاع الاستراتيجي الذي تمت صياغته تم استخدامه سريعاً بين دول أخرى، خصوصاً في الغرب، تبنته إسبانيا في استعراضها للدفاع الاستراتيجي لعام 2003، معتبرةً اياها مهمةً مستمدةً من البعثة العامة للمساهمة عسكرياً في السلام والاستقرار الدوليين[5]، وبالتالي فإن الصلة بين دبلوماسية الدفاع والمشاركة في عمليات حفظ السلام تحت إشراف الأمم المتحدة، تتحقق بجلاءٍ أكثر في الحالة الإسبانية، الصلة بين دبلوماسية الدفاع والمشاركة في عمليات حفظ السلام تحت إشراف الأمم المتحدة.

لم يتم التوافق بعد على مفهوم الدبلوماسية الدفاعية الذي يطلق عليه أحياناً بالدبلوماسية العسكرية[6]، حيث تتفاوت حسب المنظرين الذي يرون أنَ القوات المسلحة مجرد أداةٍ تعمل تحت تصرف السياسة الخارجية ليتم توظيفها «عندما تفشل الدبلوماسية»،[7] لأولئك الذين يفسرون الاستخدام غير القسري للقوة العسكرية كبعدٍ

3 المملكة المتحدة ، 1998.

4 المملكة المتحدة ، 2000 ، ص. 2، ترجمتنا.

5 إسبانيا ، 2003، ص. 60.

6 مثنى، 2011.

7 من التعبير باللغة الإنجليزية (MINIX،" When diplomacy fails" HAWLEY، 1998، ص 282).

مناسبٍ للنشاط الدبلوماسي دو بليسيس (2008) أو المثنى (2011)، وعلى غرار الدبلوماسية الاقتصادية بالنسبة لهؤلاء العلماء، لا تمثل الأدوات الدبلوماسية والعسكرية خطواتٍ مختلفةٍ من المقياس ذاته، حين سيبدأ المرء حيث ينتهي الطرف الآخر، ولكن الأبعاد المتوازية تكمل بعضها البعض وتتشابك وفقاً للظروف في بحثها عن مصالح الدولة[8]، وفي ظل هذا النهج الأخير سيقدر العمل الحالي أسس دبلوماسية الدفاع، ويترجمها على أنها استخدام القوة العسكرية لدعم أهداف السياسة الخارجية، في الحالات التي لا تنطوي على التهديد أو على الاستخدام الفعال للقوة.

في البرازيل، على الرغم من أنَ الدبلوماسية الدفاعية حظيت باهتمامٍ متزايدٍ من قطاع الدفاع في السنوات الأخيرة، حيث تم اعتماد مسار محدد من المدرسة الحربية العليا[9]، الدبلوماسية الدفاعية ليست تعبيراً رسمياً في نطاق علاقاتنا الخارجية[10]، ومع ذلك تقرّ البرازيل في وثائق الدفاع الوطني بمدى كفاية القوة العسكرية حتى في وقت السلم، من أجل تحقيق أهداف السياسة الخارجية.

في النسخ التي ما زال الكونغرس الوطني يفحصها، مفهوم سياسة الدفاع الوطني واستراتيجية الدفاع الوطني يشيران إلى هذه العلاقة الأساسية، فالأول على سبيل المثال يدرج بين أهداف الدفاع الوطني المساهمة في السلام والأمن الدوليين، ولزيادة إبراز البرازيل في محفل الأمم[11] وإدراجه في عمليات صنع القرار الدولية، بدورها تقر استراتيجية الدفاع الوطني بأن أعمال قطاع الدفاع المشكلة من قبل الوزارة والقوات

8 بليسيس 2008 ، ص. 90.

9 المدرسة العليا للحرب تدرس دورة دبلوماسية الدفاع (CDIPLOD)، بهدف تدريب الأفراد العسكريين والمدنيين على أداء مهام الملحق للسفارات البرازيلية في الخارج والخدمات الاستشارية الدولية (البرازيل، 2017 أ).

10 تستخدم وزارة الخارجية بشكلٍ رسميٍ تعبيرات «الدبلوماسية الثقافية» و«الدبلوماسية الاقتصادية والتجارية والمالية»، ولكن ليس «دبلوماسية الدفاع» (البرازيل ، 2017 د).

11 البرازيل، 2016ف، ص 13.

المسلحة تساهم في تحقيق الهدف الدبلوماسي من خلال التفاعل مع نظرائهم في الدول الأخرى، وتعزيز الثقة والصداقة المتبادلتين.[12]

من أجل تحقيق أهداف الدفاع الوطني أنشأت استراتيجية الدفاع الوطني الاستراتيجية الدفاعية والتي تتكون بدورها من إجراءات الدفاع الاستراتيجي، ومن بين الاستراتيجيات الدفاعية التي تسهم في الأهداف المذكورة أعلاه، دون اللجوء إلى الإكراه، استراتيجيات تعزيز التعاون الدولي في المنظمات الدوليةوالعمل على أساس التعددية في ملاحظة إجراءات الدفاع الاستراتيجي التي هي مكونات هذه الاستراتيجيات، كذلك هناك علاقةٌ واضحةٌ مع عمليات حفظ السلام مثل الإجراءات الرامية إلى: تكثيف العمليات الدولية، من جانبٍ واحدٍ أو في ترتيباتٍ متعددة الأطراف ومبادرات تعاونٍ في مجالاتٍ ذات أهميةٍ دفاعيةٍ لتكثيف العمل في المنتديات المتعددة الأطراف والآليات الأقليمية وتطوير قدرات القوات المسلحة للاضطلاع بمسؤوليات متزايدة في العمليات الدولية التي تفرضها الوكالات المتعددة الأطراف.[13]

كذلك تدعو استراتيجية الدفاع أيضاً إلى استخدام الإجراءات الدبلوماسية المتعلقة بالدفاع، والتي تعتبرها استراتيجية الدفاع الوطني إسهاماً في مجال أهداف الدفاع الوطنية لإنقاذ الناس والبضائع والموارد والمصالح الوطنية الموجودة في الخارج، تشمل هذه الاستراتيجية إجراءات استراتيجية الدفاع لزيادة: العلاقة مع قطاع الدفاع في البلدان الأخرى، وإعمال التواجد البحري لدعم أعمال الدبلوماسية.[14] ويعترف الكتاب الأبيض بشأن الدفاع الوطني في نسخته التي ينظر فيها الكونغرس، بالسياسات الخارجية والدفاعية على أنها «تامة وغير قابلة للتجزئة»، مؤكداً أنَ «بيئة دولية أكثر

12 البرازيل، 2016 ج، ص 17.
13 المرجع السابق، ص 40-39.
14 المرجع السابق، ص 37-36.

تعاوناً، تنال اهتماماً كبيراً من قبل البرازيل»، سيحبذها العمل المتضافر الذي تقوم به قطاعات الشؤون الخارجية والدفاع[15]، وتلاحظ من جهةٍ أخرى، أنه لا يزال هناك ما يمكن تحسينه في العلاقة المتبادلة بين هذه القطاعات، لا سيما فيما يتعلق بتعزيز آليات الحوار بين وزاراتها، بهدف تقريب استخباراتها والتخطيط المشترك لها.[16]

وبالتالي ، في ضوء مفهوم دبلوماسية الدفاع، يتم التحقق من أنَ المشاركة البرازيلية في عمليات حفظ السلام تشكل أداةً فعالةً وذات رؤيةٍ دوليةٍ هامة لتحقيق أهداف الدفاع والشؤون الخارجية، ووفقاً لنطرة تاريسي دا فونتورا[17] فإنَ مثل هذه العمليات يجب اعتبارها من قبل وزارة الشؤون الخارجية كفئةٍ تشغيليةٍ ذات فائدةٍ كبيرةٍ للسياسة الخارجية البرازيلية، وعلى الرغم من فرص التحسين التي لا تزال على قدمٍ وساقٍ فقد تقدمت البلاد في هذه العملية وشاركت مع فرقٍ كبيرةٍ وفي ممارسة أدوارٍ قياديةٍ باستمرار، في لبنان ومن وقت قريب في هايتي والتي تم تأكيدها على أنها أمثلةٌ ناجحةٌ لمساهمة القوة العسكرية خلال وقت السلم، لصالح سياستنا الخارجية.

15 البرازيل، 2016د، ص 24.
16 البرازيل، 2016، ص 24.
17 تاريسي دا فونتورا، 1999، ص 294-293.

3. العلاقات بين البرازيل ولبنان:

البرازيل اليوم موطنٌ لمجموعة من اللبنانيين والحفدة بتعدادٍ يتفوق على التعداد السكاني للبنان، ضمن هذا الإطار فإنه ونتيجةً لتدفقات الهجرة المتعاقبة والتي بدأت في القرن التاسع عشر، وحفزتها الظروف الاجتماعية الاقتصادية المضادة في بلدها الأصلي، وبفكرة تصور البرازيل باعتبارها أرض الإمكانيات والتسامح، العلاقات السياسية والدبلوماسية التي سبقت حتى استقلال لبنان الحالي أضافتها إلى جانب الاتصالات الثقافية المكثفة والمجال الواعد للتبادل الاقتصادي، وذلك بسبب هذا السياق من العلاقة التاريخية وبإمكانياتٍ كبيرةٍ لاستكشاف مشاركة البرازيل في اليونيفيل والوجود المنتظم لسفننا وطاقمينا في بيروت.

الحركة الأولى ذات الصلة الأكبر في العلاقات بين البرازيل وما يعرف الآن بالدولة اللبنانية كانت بلا شكٍ الزيارة التي قام بها دون بيدرو الثاني عام 1876 إلى بيروت في 11 من شهر تشرين الثاني، حيث أنها كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية التي أبقت معها البرازيل منذ عام 1858 معاهدة صداقة للتجارة والملاحة[18]، خلال الأيام الثمانية التي قضاها في الأراضي اللبنانية، اكتسب الملك شعبيةً وتعاطفاً من خلال إظهاره التمكن من اللغة العربية ومخالطة عامة الناس، ووفقًا لقطلب أيضًا، ساهمت التغطية الواسعة للصحافة المحلية في زيادة الإعلان عن البرازيل كوجهةٍ مليئةٍ بالفرص، وهي بلدٌ «جميلٌ ومورقٌ في كل تفاصيله»[19].

الهجرة اللبنانية، التي بدأت على أساسٍ منتظمٍ بعد أربع سنوات من زيارة دون بيدرو الثاني، هي واحدةٌ من أكثر الجوانب صلةً بالعلاقات مع البرازيل، ومنذ ذلك الحين كانت عمليةً طويلةً تناوبتها فترات هجرةٍ كثيفةٍ وأخرى أقلَ منها، حتى استقلال دولة لبنان الحديثة في عام 1943، كان جميع المهاجرين تقريباً يتألفون من

18 خطلب، 2015، ص 52.

19 المرجع السابق، ص 134.

مسيحيين مارونيين، وفي مرحلةٍ أخرى لاحقة شملتها سنوات الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي ثم التدخل السوري، شكلت الفرقة الإسلامية المهمة جزءًا هاماً من الهجرة المتدفقة أيضاً.[20]

اليوم نشعر بالمساهمة من أحفاد اللبنانيين في جميع شرائح المجتمع البرازيلي، في مختلف مناطق البلاد وفي مجالات النشاط الأكثر تنوعاً، مثل التجارة والقانون والطب والسياسة، في استطلاعٍ جرى عام 2015 كان 8% من البرلمانيين البرازيليين من أصلٍ لبنانيٍ[21].

في المجال الدبلوماسي ، بدأت العلاقات الثنائية رسمياً في عام 1945، بعد عامين من الاستقلال اللبناني، ومنذ عام 1920، كان لدى البرازيل قنصليةٌ في بيروت، والتي تم رفعها إلى رتبة قنصليةٍ عامةٍ في عام 1946، ثم في عام 1954 افتتحت السفارة البرازيلية في بيروت والسفارة اللبنانية في البرازيل[22]، كما تميزت تلك السنة نفسها بأول زيارةٍ إلى البرازيل لرئيس دولةٍ لبنانيٍ، الرئيس كميل شمعون.[23]

بعد الفترة المضطربة من الحرب الأهلية اللبنانية (1975 إلى 1990) ، استؤنفت العلاقات الطبيعية، حيث زار رئيس الوزراء رفيق الحريري البرازيل في عام 1995، وتبعته بعد عامٍ زيارةٌ من قبل الرئيس إلياس الهراوي، وجاءت المشاركة البرازيلية عبر زياراتٍ المستشار لويس فيليبي لامبريا في عام 1997 ثم الرئيس لولا دا سيلفا في عام 2003[24]، ومنذ ذلك الحين تكررت هذه الزيارات رفيعة المستوى بانتظامٍ معينٍ، في عام 2005 استقبلت البرازيل مرةً أخرى رئيس الوزراء اللبناني نجيب

20 غطاز، 2012، ص 75-58.
21 بيرسيتو، 2015.
22 البرازيل، 2017ج.
23 هيار، 2015، ص 15.
24 المرجع السابق.

ميقاتي، في حين أن نائب الرئيس البرازيلي آنذاك، ميشال تامر ذوي الأصول اللبنانية، زار لبنان في عام 2011، وقد سجل جدول الأعمال الثنائي في السنوات الأخيرة عدة زياراتٍ أخرى قام بها وزراء الخارجية ووزراء ورؤساء الجيش، وكثيرٌ منهم كانوا حاضرين على متن السفن البرازيلية التي هي جزءٌ من طائرة القوات المسلحة البحرية.[25]

وفيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي، وبالأخص العلاقات التجارية، ظلَ التبادل بين البرازيل ولبنان عند مستوياتٍ متواضعةٍ وغير متماثلةٍ بوضوحٍ مع وجود فائضٍ قويٍ لصالح البرازيل، بين عامي 2011 و 2016 تقلصت التجارة الحالية بين البلدين بنسبة ٪ 7.5، من 305 مليون دولار إلى 282 مليون دولار، بقيت وارداتنا عند مستوى 2 مليون دولار مما يجعل الصادرات البرازيلية تمثل في المتوسط ٪ 99 من التجارة بين البلدين، لبنان اليوم هو شريكنا التجاري العالمي الـ 76.[26]

الجوانب الثقافية هي عنصرٌ أساسيٌ في العلاقات بين البرازيل ولبنان، تتزامن المرحلة الأولى من الهجرة اللبنانية إلى البرازيل مع الحركة الثقافية العربية المعروفة باسم النهضة، وهي حركة تحديثٍ فكريٍ كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على الأدب العربي المعاصر، من بين الكثير من المهاجرين اللبنانيين الأوائل متعلمين ومثقفين ويتألفون من النخبة المسيحية المثقفة والتي كانت تسعى في الدولة الجديدة إلى حرية الفكر التي لم يُسمح بها في ظل الحكم العثماني التركي[27]، في البرازيل ظهر عددٌ كبيٌر من الدوريات والمنشورات باللغتين العربية والبرتغالية، وكذلك المجموعات الأدبية مثل (العصبة الأندلسية) ومقرها في ساو باولو.[28]

25 المرجع السابق، ص 16.
26 البرازيل، 2016غ، ص 4، 2017ب.
27 خوري، 2017، ص 7-6.
28 المرجع السابق، ص 13.

لم يقتصر البحث عند هؤلاء المهاجرين من أجل الحفاظ على الهوية العربية عبر الأدب فقط، فقد تم إنشاء العديد من النوادي والجمعيات والمؤسسات لهذا الغرض، بالإضافة إلى تقديم المساعدة للشتات اللبناني في البرازيل، اليوم ليس من غير المألوف أن تجد في المدن البرازيلية الرئيسية نادي مونتي لبنان أو سوري لبناني، والمستشفيات التي تحمل نفس الأسماء، الكنائس المارونية أو الملكية أو الأرثوذكسية ، وكذلك غرف التجارة والجمعيات الخيرية والمعاهد الثقافية[29]، وكنتيجةٍ للهجرة الإسلامية الأكثر حالية، فقد انضمت المساجد الحديثة والمراكز الإسلامية إلى تلك المؤسسات أيضاً[30]، كما أن التأثير اللبناني محسوسٌ في أكثر المجالات تنوعاً كالطبخ حيث الأطباق الشهية مثل الكباب والتبولة والحمص، من بين كثيرٍ غيرهم حظيت بالمذاق الوطني، إضافةً للموسيقى التي حسبت لصالح أحفاد لبنانيين لامعين مثل ديفيد ناصر وعائلة قايمي وألمير ساتر.[31]

لم تقتصر المبادرات الرامية إلى تعزيز العلاقات الثقافية بين البلدين على الأراضي البرازيلية فقط، ففي نيسان من العام 2011، افتتحت السفارة البرازيلية في بيروت المركز الثقافي البرازيلي اللبناني في حفلٍ حضره نائب رئيس الجمهورية آنذاك، ميشيل تامر الغرض منه «تكوين رابطٍ بين البرازيل ولبنان في مجال الثقافة وتقوية الاتصالات بين شعوبها».[32]

وسّع المركز أنشطته منذ ذلك الحين، وتجري حالياً دوراتٌ في اللغة البرتغالية وورش عملٍ للرقص والكابويرا وعروضٍ سينمائيةٍ بالإضافة إلى العديد من الفعاليات والمعارض مدعومةً من أطقم قباطنة القوات المسلحة البحرية.

29 هيار، 2015، ص 22.
30 كاردوزو، 2014.
31 هيار، 2015، ص 21-20.
32 برازيليبان، 2017أ

لذلك خلصت إلى أنَ العلاقات بين البرازيل ولبنان تاريخيةً ومتعددة الأوجه، ومع ذلك لم ينعكس ذلك الترابط الاجتماعي والثقافي القيم في كلا البلدين بنفس النسبة في المجال الاقتصادي، و الذي لا تزال أرقامه متواضعةً مقارنةً بإمكانيات التبادل والفرص، والذي إذا ما تمَ استخدامه بشكلٍ صحيحٍ من خلال التنسيق الفعال بين القطاعات المعنية، مثل الدفاع والشؤون الخارجية والصناعة والتجارة، فإنَ الوجود البرازيلي في قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان يمكن أن يسهم في نشر منتجاتنا، وبالتالي زيادة التجارة الثنائية.

4. اليونيفيل:

يعود تاريخ إنشاء قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان إلى الفترة المبكرة من الحرب الأهلية اللبنانية وإلى الأعمال التي قام بها أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية، عندما تمَ إخراج منظمة التحرير الفلسطينية، من أراضي المملكة الأردنية نهائياً بدءاً من أيلول 1970 في واقعة تعرف باسم (أيلول الأسود)، انضم الآلاف من المقاتلين الفلسطينيين إلى المواطنين الفلسطينيين الذين استقروا بالفعل في لبنان في سنواتٍ سابقةٍ، مما أدى إلى زيادة النعرات الطائفية وهدد التوازن الهشَ الذي قد تحقق مع الميثاق الوطني[33]، ساهم هذا الوضع بشكلٍ حاسمٍ في اندلا ع الحرب الأهلية في البلاد.[34]

33 اتفاقٌ غير مكتوب وقعه القادة اللبنانيون خلال عملية الاستقلال في عام 1943، والتي أسست لبنان كدولةٍ متعددة الأديان وشكلت البلاد منذ ذلك الحين، وفقاً للاتفاق، سيكون الرئيس دائماً مسيحياً مارونياً، رئيس الوزراء مسلمٌ سنيٌ وزعيم البرلمان مسلم شيعي (هاريس ، 2012 ، ص 196-202).

34 هاريس، 2012، ص 227-223.

أدت هجمات منظمة التحرير الفلسطينية من مقراتها على الأراضي اللبنانية إلى شنَ إسرائيل هجوماً عسكرياً كبيراً في آذار من العام 1978، غزوا جنوب لبنان ودفعت احتجاجات الحكومة اللبنانية مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلى الموافقة على القرارين (425، 426) حيث يجب على إسرائيل أن تكفَ فوراً عن العمل العسكري ضد السلامة الإقليمية لجارتها الشمالية، فضلاً عن إنشاء قوةٍ مؤقتةٍ لجنوب لبنان من أجل تأكيد انسحاب القوات الإسرائيلية، واستعادة السلام والأمن الدوليين، ودعم الحكومة اللبنانية لاستئناف سلطتها الفعلية في هذا المجال، وستكون الولاية الأولية ستة أشهرٍ قابلة للتجديد وفقاً لمقرر مجلس الأمن[35]، وزاد قوام البعثة الأصلي، البالغ قوامه 4000 فردٍ عسكريٍ، إلى 6000 فردٍ في أيار من العام 1978[36].

من أجل إخراج منظمة التحرير الفلسطينية بشكلٍ نهائيٍ من لبنان، شرعت إسرائيل في هجومٍ جديدٍ في حزيران 1982، أطلق عليه (السلام في الجليل)، وغزت الأراضي اللبنانية وحاصرت بيروت في آب من العام نفسه، وافق حينها رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسرعرفات على مغادرة لبنان، يرافقه أكثر من عشرة آلاف مقاتل.

في نهاية العملية، كفت قوات الدفاع الإسرائيلية عن حصارها لبيروت، لكنها بقيت في الأراضي اللبنانية تتراجع تدريجياً إلى ما يسمونه بالمنطقة الأمنية في جنوب لبنان، حيث سيبقى لأكثر من ثمانية عشر عامًا مدعومًا بميليشيا مسيحية تسمى جيش لبنان الجنوبي[37]، ومع ذلك، وفي عام 1982، وبدعمٍ من النظام

35 الأمم المتحدة، 1976أ و1978ب.
36 الأمم المتحدة، 1978ج.
37 هاريس، 2012، ص 264.

الشيعي ورداً على الاحتلال الإسرائيلي، سيظهر ممثلٌ جديدٌ للعب دورٍ مهمٍ في المنطقة منذ ذلك الحين: حزب الله[38].

تجاوزت القوات الإسرائيلية خلال عملية (السلام في الجليل) قوات اليونيفيل حيث أنها بقيت في الوضع الصعب تتقاسم منطقة عملياتها مع قوات جيش الدفاع الإسرائيلي وقوات جيش تحرير لبنان الجنوبي حتى الانسحاب الإسرائيلي بين نيسان وحزيران من العام 2000[39]، الفراغ الذي أعقب الانسحاب استحوذه حزب الله، الذي زاد نفوذه في جنوب لبنان.

مع عودة القوات الإسرائيلية إلى أراضيها بدأت اليونيفيل في إعادة تعيين الخطَ الأزرق بالتنسيق مع البلدين المعنيين، وينبغي التأكيد على أنَ هذا الخط لا يفترض الاعتراف بالمطالبات الإقليمية لأيٍ من الدولتين، لكونه مجرد إشارة لفصل القوات المتحاربة خلال مرحلة وقف الأعمال العدائية في غياب اتفاق حدودٍ معترف به، كان الخط الأزرق يقوم على ذات حدود الوصاية الفرنسية بين (سوريا ولبنان) والمحمية الإنجليزية (فلسطين)، التي أنشأتها تلك القوى في عام 1923، وكما كان متوقعًا، فقد أدى ذلك إلى ظهور عدة نقاط خلافيةٍ تحتمل توتراً عالياً[40].

رداً على تحركٍ من جانب حزب الله عبر الحدود، شنت إسرائيل هجوماً جديداً على لبنان في 12 تموز 2006، تميز الهجوم بغاراتٍ جويةٍ مكثفةٍ وتقدمٍ أكثر نحو ضواحي بيروت، في المقابل كثف مقاتلو حزب الله المقاومة في جنوب لبنان باستخدام الصواريخ ضد القوات الإسرائيلية وسفنها وأراضيها[41].

38 هيار، 2015، ص 27.
39 اليونيفيل، 2017ب.
40 اليونيفيل، 2017ب، هيار، 2015، ص 29-28.
41 بلوشنك-ماستي، 2006.

نسقت الأمم المتحدة المفاوضات من أجل وقف الأعمال العدائية، وتم التوصل إليها في 14 من آب 2006، لكنَ إسرائيل أبقت على الحصار البحري للموانئ الرئيسية في لبنان، مما دفع برئيس الوزراء اللبناني آنذاك فؤاد السنيورة إلى دعوة الأمم المتحدة إلى إنشاء قوةٍ بحريةٍ لحراسة الساحل اللبناني، وإزالة الحجة الإسرائيلية في الإبقاء على الحصار[42].

أدى نزاع عام 2006 بمجلس الأمن إلى الموافقة على القرار رقم 1701، في 11 آب من العام نفسه، والذي زاد قوات اليونيفيل إلى حوالي 15000 من الأفراد العسكريين، ومددت ولايتها، وبالإضافة إلى المنصوص عليه في القرارين 425 و 426:

مراقبة وقف الأعمال العدائية:

- رصد ودعم نشر القوات المسلحة اللبنانية في جنوب لبنان وعلى طول الخط الأزرق، إلى جانب انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية.
- تنسيق الأنشطة المذكورة في الفقرة السابقة مع حكومتي لبنان وإسرائيل.
- توسيع دعمها لضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى السكان المدنيين، فضلاً عن العودة الطوعية والآمنة للمشردين.
- دعم القوات المسلحة اللبنانية في إنشاء الخط الفاصل بين الخط الأزرق ونهر الليطاني في منطقة خالية من الأفراد المسلحين و الأصوليون ومعدات الأسلحة باستثناء حكومة لبنان وقوات اليونيفيل المنتشرة فيها.

42 اليونيفيل، 2017ف.

- دعم حكومة لبنان بناءً على طلبها، وأمن حدودها وغيرها من نقاط الدخول من أجل منع دخول الأسلحة والمواد المرتبطة بها عبر أراضيها بدون موافقتها[43].

كما مدد القرار التفويض لمدة سنةٍ أخرى بحيث يمكن تجديده لفتراتٍ متساويةٍ بموجب قرارٍ من مجلس الأمن، والجاري منذ ذلك الحين، بالإضافة إليه وبناءً على التماس الرئيس الأسبق لمجلس الوزراء السنيورة، سمحت الأمم المتحدة بإنشاء الوظيفة المسلحة البحرية، وهي مبادرةٌ لم يسبق لها مثيلٌ في عمليات حفظ السلام ، وحينما أوقفت إسرائيل نهائياً حصارها البحري في 8 من أيلول من العام نفسه وإلى أن تمّ تنظيم العنصر البحري لليونيفيل، بدأت فرقة عملٍ بقيادةٍ مؤقتةٍ إيطاليةٍ بدورياتٍ في المياه اللبنانية منذ 18 من أيلول، وبعد أقلّ من شهرٍ بقليل في 15 من تشرين الثاني، بدأت القوات العسكرية البحرية عملياتها[44].

وقد عدّلت الولاية الجديدة بشكلٍ ملحوظٍ صورة اليونيفيل من خلال تكليفها بمهام تتطلب تنسيقاً ماهراً مع الطرفين المشاركين في النزاع لإتاحة تمكين هذا الجهد التنسيقي ، نفذت البعثة هيكلاً متيناً من الاتصالات، التي لعبت دوراً رئيسياً في حل سوء الفهم ونبذ الأزمات التي يمكن أن تؤدي إلى تصاعدٍ سريعٍ للعنف بين الطرفين، إن أحد عناصر التنسيق المعتمدة منذ آب أغسطس 2006 هو ما يسمى الآلية الثلاثية التي تتألف من اجتماعات دورية بين القادة العسكريين من لبنان وإسرائيل ، بتنسيق من اليونيفيل، بهدف مناقشة القضايا المتعلقة بتنفيذ الولاية للوضع على طول الخط الأزرق، والتقارير المتعلقة بانتهاك الأراضي الإقليمية والمجال الجوي.

في حين أنه ليس من حقهم التعامل مع قضايا خارج نطاق القرار 1701، مثل تعريف الحدود الوطنية أو مفاوضات السلام، فإنَ الاجتماعات الثلاثية لها ميزةٌ

43 الأمم المتحدة، 2006.

44 اليونيفيل، 2017.

كونها المنتدى الوحيد الذي يكون فيه الممثلون الرسميون من كلا البلدين على نفس الطاولة، لموضوعاتٍ ذات اهتمامٍ مشتركٍ[45].

ومن المبادرات القيمة الأخرى الإجراءات الاجتماعية المعروفة باسم التعاون المدني العسكري، والتي تشمل الأنشطة التي تقوم بها الوحدات العسكرية مثل الدورات وإصلاح الطرق والمستشفيات والمدارس، الإضاءة العامة من بين أمور أخرى ، من أجل إثارة تعاطف السكان المحليين وزيادة قبول وجود الخوذات الزرقاء، وهذا ما أصبح وثيق الصلة بالموضوع نظراً لتقلب الوضع في المنطقة وشدة المواجهات بين الأطراف المعنية والذي أسهم بكل تأكيدٍ في خفض عدد موظفي اليونيفيل والبالغ 312 لمعاناتهم، وهو الأعلى عدداً بين جميع بعثات حفظ السلام الأخرى[46].

يضم التكوين الحالي لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان تسع كتائب مقسمةً على قطاعين، قوةٌ احتياطيةٌ على مستوى الكتيبة والأخرى فرقة العمل البحرية،في اليونيفيل يمارس اليوم قائد القوات الأيرلندية منصب قائد القوات أو القائد العسكري للبعثة ورئيسها[47]، وكثمرةٍ للتبادل بين الجيشين البرازيلي والإسباني، سبعة جنودٍ من قواتنا البرية شكلوا جزءاً من الوحدة الإسبانية في اليونيفيل منذ 2014، التي تتخذ قيادتها من مدينة مرجعيون في القطاع الشرقي من منطقة البعثة[48].

يمكن ملاحظة أنه في هذه السنوات الأربعين تقريباً من الوجود في جنوب لبنان، كانت اليونيفيل عاملاً في الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة، وإذا كان التقدم المحرز نحو سلامٍ باقٍ ظل متواضعاً فإنَ ذلك يرجع إلى خصائص الصراع بين الأطراف والقيود الملازمة للوصاية أكثر من أيَ قصورٍ في تكوين البعثة أو في أداء أيٍ

45 اليونيفيل، 2017غ.
46 اليونيفيل، 2017ج.
47 اليونيفيل، 2017إي.
48 عبدالنور، سوخاتشيفسكي، 2016.

من مكوناتها، ومع ذلك فإنَ الدور الناجح الذي تلعبه اليونيفيل في احتواء المواجهات المحتملة أو التخفيف من آثارها على السكان المحليين أمرٌ لا خلاف عليه.

5. البرازيل وفرقة العمل البحرية:

> إن وجود مهمة القوة البحرية هو ما يميز اليونيفيل عن أي عمليةٍ أخرى لحفظ السلام، وقد وفرت ممارسة قيادتها لأكثر من ست سنوات خبرةً عمليةً قيَمةً لأفراد الوحدات البرازيلية المتعاقبة، ويشهد ذلك أيضاً على فعالية العمل الذي تضطلع به قطاعات وزارة الدفاع والبحرية البرازيلية المشاركة في إعداد ودعم السفن المشاركة في العملية، وأكثر من ذلك بكثيرٍ، ومع كلَ هذا فإنَ قيادة بعثة القوة البحرية تثبت بشكلٍ ملموسٍ، التزام البرازيل بالسلام العالمي مع مبادئ سياساتنا الخارجية.

مهمة بعثة القوة البحرية هي القيام بدورياتٍ بحريةٍ محددةٍ تسمى عمليات الحظر البحري من أجل المساهمة في جهود الحكومة اللبنانية لمنع دخول الأسلحة والمواد المرتبطة بها بشكلٍ غير قانونيٍ إلى أراضيها عن طريق البحر ودعم تدريب القوات البحرية اللبنانية، كما أنها مسؤولةٌ عن ممارسة دورها لا سيما على الساحل الجنوبي للبنان وفقاً للوصاية الأصلية للقوة، على النحو المحدد في القرار 425.[49]

كما أنَ لفرقة القوة البحرية مهمتان فرعيتان تستحقان اهتماماً خاصاً بسبب طبيعتها الإنسانية، الإسهام في حماية المدنيين وإجراء عمليات بحثٍ وإنقاذٍ دعماً للسلطات اللبنانية في المنطقة البحرية الواقعة تحت مسؤوليتها، إنَ حماية المدنيين

49 الأمم المتحدة، 1978أ، اليونيفيل، 2017ف.

موضوعٌ توليه الأمم المتحدة أولويةً عاليةً دعماً لإجراءات البحث والإنقاذ اللازم في ضوء الموارد المحدودة المتاحة للبحرية اللبنانية للوفاء بهذا الالتزام الدولي[50].

حتى أنَ الدراسات الأولية حين تكوين بعثة القوة البحرية اقترحت قوةً من ثماني عشرة سفينة وخمس طائراتٍ مروحيةٍ، منها فقط ثلاثة عشر تم تشغيلها فعلياً[51]، قدمت التعديلات اللاحقة المتتالية تكوين القوة من السبع المتوفرة حالياً[52]، يتم تمويل هذه السفن الآن من قبل ستة بلدانٍ مساهمةٍ: ألمانيا والبرازيل واليونان وإندونيسيا وتركيا، مع سفينةٍ واحدةٍ لكلٍ منها وبنغلادش مع وحدتين، يبلغ إجمالي قوام القوة حوالي 850، من الحد الأقصى المسموح به حالياً 1200 جندي[53].

منذ تأسيسها عملت مهمة القوة البحرية في مناسباتٍ عدةٍ مع سفن من 15 دولةٍ مساهمةٍ، الست الحالية وأيضاً كلٌ من بلجيكا وبلغاريا والدنمارك وإسبانيا وفرنسا وهولندا وإيطاليا والنرويج والسويد، وإلى أن تولت البرازيل قيادة هذه القوة قادتها، بالتناوب كلٌ من ألمانيا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا[54].

بعد انتهاء فترة الرئاسية الأخيرة على تولي رئاسة لجنة تقصي الحقائق في آب 2010، لم تقم إيطاليا بنقل الأمر إلى دولةٍ أخرى، مما دفع قائد القوة إلى السيطرة المباشرة على القوة البحرية، وهو وضعٌ بعيدٌ عن كونه مثاليًا بالنسبة للأمم المتحدة، في تقريره حول تنفيذ القرار 1701 الصادر في تشرين الأول من العام 2010، ذكر

50 الأمم المتحدة، 2015، ص 16.
51 كير، 2015، ص 43.
52 اليونيفيل، 2017ف.
53 اليونيفيل، 2017د.
54 اليونيفيل، 2017ف.

الأمين العام للأمم المتحدة أن (القيادة المستقبلية لفرقة العمل البحرية لا تزال تشكل مصدراً للقلق)[55].

أخذت الأمم المتحدة في تكريس جهودها بحثاً عن دول مشتركة قادرة على قيادة قوة اليونيفيل البحرية. وبحكم الاعتراف بها كأمة محبة للسلام وغير متحزبة في علاقاتها، وكذلك بفضل الكفاءة التي أبدتها في قيادة مهمة الأمم المتحدة للاستقرار في هايتي، قبل البرازيل الدعوة لقيادة القوة البحرية، وأصبح الدولة الأولى غير المنضمة الى منظمة حلف الأطلسي الشمالي ان تقوم بهذه الرسالة[56].

وهكذا في كانون الأول من العام 2010، أذنت الحكومة البرازيلية بمشاركة البلاد في اليونيفيل[57]، كونها تتولى قيادة القوة البحرية، يفترض بفعالية من قبل اللواء البحري للبحرية البرازيلية في 24 من شباط 2011[58]، ومنذ ذلك الحين بدأت المناقشات للإقرار على سفينةٍ برازيليةٍ كرائدٍ لهذه القوة، من أجل تجنب الانتقادات المحتملة لحقيقة أن البلاد تحتفظ بأمرها دون المشاركة عبر وبأيَ وسيلةٍ وطنيةٍ، وأخيراً تمَ عكس هذا الإطار في أيلول 2011 بموافقة شحن سفينةٍ تابعةٍ للبحرية البرازيلية بطائراتٍ عضويةٍ إلى لبنان[59]، في تشرين الثاني من نفس العام رست فرقاطة الاتحاد في بيروت لتولي منصب الرائد البرازيلي الأول من القوة البحرية[60]، ومنذ ذلك الحين، ساهمت البرازيل بالفعل بسبعة من قادة القوات وستة سفن مختلفةٍ، تناوبت مع ثلاث عشرة مهمة.

55 الأمم المتحدة، 2010أ، ص 13.
56 هيرست، ناصر، 2014، ص 5.
57 البرازيل، 2010.
58 البرازيل، 2011أ.
59 البرازيل، 2011ج.
60 البرازيل، 2011ب.

من أجل تحقيق مهامها، تعمل مهمة القوة البحرية في منطقة العمليات البحرية التي تمتد على طول الساحل اللبناني بأكمله، حتى مسافة أقصاها 48 ميلاً بحرياً[61] من الأرض المقابلة لمساحة إجمالية تبلغ حوالي تسع مرات مساحة أراضي العمليات التابعة لليونيفيل، ويلاحظ أيضا أن جزءاً من منطقة العمليات البحرية يقع في المياه الدولية حيث لا يوجد أيَ قيودٍ على حركة الملاحة البحرية، بما في ذلك السفن الحربية من الدول الأخرى، وهذا يمثل تحدياً إضافياً لمهمة القوة البحرية، المسؤولة عن جميع ذلك في هذا المجال كله[62].

فيما يتعلق بمنطقة العمليات البحرية فمما تستحق الإبراز مسألة الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، حيث تتداخل المناطق الإقليمية والبحرية الخاصة لهذه البلدان[63] في منطقة نزاعٍ تبلغ 874 ألف كيلومترٍ مربعٍ، مُطالبةً بالاحتياجات الأمنية قامت إسرائيل من جانبٍ واحدٍ بإنشاء خطَ عوامَاتٍ (غير معترف به من قبل لبنان أو الأمم المتحدة) على طول العتبة التي تدعيها[64]، وبوجود احتياطيات كبيرة من النفط والغاز على وجه الخصوص في المنطقة المتنازع عليها يزيد من إمكانيات التوتر حول هذا الموضوع، الحوادث التي تنطوي على سفنٍ دوريةٍ تابعةٍ لجيش الدفاع الإسرائيلي وسفن الصيد اللبنانية التي تحاول عبور خطَ العوامات شائعة، إنَ لبنان يعترف بتلك المنطقة تحت سلطته القضائية ويفسر وجود سفنٍ إسرائيليةٍ جنوب خط العوامات على الفور انتهاكاً لسيادته.

61 تقريبا تسعون كيلومترا.

62 مارتينز، 2016، ص 37.

63 بموجب اتفاقية الأمم المتحدة للحقوق على البحر (1982)، كل دولة لها الحق بأن تثبت عرض مياهها الإقليمية لغاية حد لا يتجاوز 12 ميلاً بحريًا تقاس انطلاقًا من خطوط أساسية وفقاً للاتفاقية الخاصة بها.

64 مارتينز، 2016، ص 38.

فيما يتعلق بالمهام التي طورتها فرقة العمل البحرية، كانت عمليات الحظر البحري مسؤولةً منذ عام 2006 عن حوالي 80000 سفينةٍ استجواباً وتعريفاً، تمَ إرسال أكثر من 9000 منها إلى السلطات اللبنانية للتفتيش[65]، لاستيلاء على الأسلحة وقع عام 2012 نتيجةً لمراجعة قامت بها البحرية اللبنانية في سفينةٍ تجاريةٍ راسيةٍ في ميناء طرابلس الشمالي[66]، وفي الآونة الأخيرة في حزيران من العام 2016 أدى عمل الفرقاطة البرازيلية المدعوة (الاستقلال) في اعتراض سفينةٍ مشتبهٍ بها إلى الاستيلاء على 2,5 طنٍ من المخدرات من قبل البحرية اللبنانية[67]، وفي حين أنَ هذا النوع من الشحنات غير المشروعة ليس محطَ تركيز وصاية اليونيفيل، فقد أوضحت هذه الواقعة كيف أن وجود سفن فرقة العمل البحرية يمكن أن يسهم في فرض القوانين اللبنانية في بحرها.

فيما يتعلق بمهمة تدريب البحرية اللبنانية، فعلى الرغم من التقدم المعترف به والاحترافية المحفزة لموظفيها، إلا أنها تفتقر إلى البنية المناسبة والوسائل الكافية، تبذل الحكومة اللبنانية واليونيفيل جهوداً لتشجيع المساعدات المالية و/أو تبرعات المعدات العسكرية للبلاد، على الرغم من التقدم المتواضع في توريد المواد للقوات البرية[68]، إلا أنَ التكاليف المرتفعة المرتبطة عادةً بالمعدات والمرافق البحرية لم تتمكن من تحقيق النتائج نفسها من حيث إعادة الجاهزية البحرية.

من بين المهام الفرعية، تعمل إجراءات البحث والإنقاذ على إبراز الرؤية الإيجابية لبعثة القوة البحرية واليونيفيل بسبب طبيعتها الإنسانية البارزة، يتم تنشيط بعثة القوة البحرية في البحر المتوسط مرتين في السنة لمساعدة السلطات اللبنانية عبر

65 اليونيفيل، 2017ف.
66 شرارة، 2012.
67 بلافيتز، 2016.
68 اليونيفيل، 2017أ.

نوعٍ من عمليات الإخلاء أو الإخلاء الطبي الجوي، أحد الأمثلة الأخيرة كانت عملية الإنقاذ التي قامت بها الفرقاطة الليبرالية في 28 من أيلول من العام 2016، لأحد أفراد طاقم السفينة التجارية (tneliS) التي تحمل العلم التركي في المياه اللبنانية، وتم نقل عضو الطاقم الذي كان يعاني من مشاكل في القلب بحراً بواسطة الطائرة العمودية التابعة للسفينة وتم نقله بأمانٍ إلى مستشفىٍ في بيروت[69].

مع الإشارة بشكلٍ خاصٍ إلى مشاركة البرازيل في قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، فقد كانت هذه تجربةٍ عمليةٍ فريدةٍ للمنظمات المشاركة في الإعداد والتوظيف والدعم لأعضاء بعثة القوة البحرية، شارك هذه العملية عدة قطاعاتٍ تابعةٍ لوزارة الدفاع والمنظمات العسكرية التابعة للبحرية البرازيلية[70]، وأخيرًا تحتفظ سفارة البرازيل في بيروت بعلاقةٍ وثيقةٍ مع قيادة بعثة القوة البحرية وسفينتها، من خلال العمل المباشر للسفير، بالإضافة إلى الأداء المتواصل لملحق الدفاع والمركز الثقافي البرازيلي اللبناني.

من ناحيةٍ أخرى، قدمت المشاركة في بعثة القوة البحرية دروساً قيمةً للبحرية البرازيلية وقطاع الدفاع، وقد تم تحسين الإجراءات الغيرعملية والتكتيكية على أساس التجربة الحاصلة في لبنان، وقد أتاح التحدي اللوجستي المتمثل في الحفاظ على القدرة التشغيلية التامة لسفينة حربية لمدة ثمانية أشهرٍ من قاعدتها، تحسين التنسيق بين مختلف الهيئات المعنية، فضلاً عن اعتماد حلولٍ مبتكرةٍ وفعالةٍ للمشاكل التي واجهتها، في المقابل يعود العاملون وطاقم السفن إلى البرازيل بتجربةٍ غنيةٍ من التسامح واحترام التنوع الذي توفره الحياة الدولية والمتعددة الثقافات.

ومن ثم يلاحظ أن ممارسة قيادة بعثة القوة البحرية من قبل البرازيل ولأكثر من ست سنواتٍ، تشهد على ثقة الأمم المتحدة، وكذلك على البلدان الأخرى المعنية، ليس فقط في كفاءة الوحدات البحرية البرازيلية، ولكن بشكلٍ خاصٍ في التزام

69 ديفيزانيت، 2016.

70 البرازيل، 2015ب.

البلاد باحترام مسؤولياتها تجاه المجتمع الدولي والإسهام في تحقيق السلام والاستقرار في الأمة التي تربطها بها روابط تاريخية وثقافية مهمة.

6. المساهمة في العلاقات بين البرازيل ولبنان:

تساهم قيادة بعثة القوة البحرية في العلاقات بين البرازيل ولبنان في العديد من الجوانب ومن خلال الأنشطة المختلفة، ويمكن تصنيف هذا بدوره إلى نوعين: تلك التي تنفذ في إطار اليونيفيل، امتثالاً للولاية المحددة في القرار 1701 ، وتلك على الصعيد الثنائي من أجل توثيق العلاقات بين البلدين، بغضَ النظر عن النوع الذي يتمَ تأطيره، تؤكد هذه الأنشطة في ضوء مفهوم دبلوماسية الدفاع، فعالية استخدام القوة العسكرية في وقت السلم لتحقيق أهداف السياسة الخارجية.

تسهم الأنشطة المنفذة في إطار بعثة اليونيفيل في العلاقات الثنائية بقدر ما يكون من غرضها تحقيق السلام والاستقرار في لبنان، كشرطٍ أساسيٍ لتنمية العلاقات الداخلية والخارجية الأخرى لتلك الدولة، وبهذا المعنى فإنَ المساهمة الأولى للمشاركة البرازيلية في بعثة القوة البحرية هي إنشاء بيئةٍ بحريةٍ آمنةٍ ومستقرةٍ مما يؤدي إلى انخفاض تكاليف الشحن والتأمين، مع تطوراتٍ إيجابيةٍ في النشاط الاقتصادي اللبناني بشكلٍ عامٍ.

وبالنظر إلى السلسلة بين عامي 2005 و 2013[71]، لوحظ أنه في حين أن الناتج المحلي الإجمالي اللبناني نما بنسبة ٪108.3[72]، فإن تجارته بحراً زادت بنسبة ٪127.2[73] في الفترة نفسها، مما يشير إلى تقدمٍ في النشاط البحري أعلى بكثيرٍ من ذلك الذي حققته الاقتصاد ككل، على الرغم من أنَ هذه النتائج لا يمكن أن

71 لم ندرج هنا السنوات ما بعد 2015 بسبب التشويهات التي ولدتها الحرب في سوريا.

72 البنك العالمي، 2017.

73 مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، 2017.

تنسب فقط إلى عمل بعثة القوة البحرية، إلا أنَ المساهمة التي قدمها وجود سفن الأمم المتحدة في المياه اللبنانية لا يمكن إنكارها.

وأثناء القيام بمهامها في إطار بعثة القوة البحرية، تسهم الوحدة البرازيلية أيضاً مع الحكومة اللبنانية في إنفاذ القانون في مياهها الإقليمية، كما يتضح عبر استيلائها على المخدرات غير المشروعة في عام 2016، بمشاركة الفرقاطة المسماة بال (الاستقلال)[74]، كما أنَ إجراءات البحث والإنقاذ التي تقوم بها بعثة القوة البحرية لدعم السلطات المحلية لها تأثيرٌ إيجابيٌ على العلاقات الثنائية منذ أن شاركت السفينة البرازيلية بسبب قدراتها وتوافر المروحيات العضوية في معظم هذه الإجراءات، عادةً ما يكون للجانب الإنساني لهذا النشاط جاذبيةٌ كبيرةٌ للسكان المحليين والصحافة.

إن إنقاذ 220 لاجئاً من قبل كورفيت باروسو في وسط البحر الأبيض المتوسط في 4 من أيلول من العام 2015 أثناء انتقالهم لتولي المهمة في لبنان حظي بتغطيةٍ واسعةٍ وودودةٍ من قبل الصحافة الوطنية والأجنبية، وعند منح السفينة لشارة وسام النهر الأبيض، في احتفال في ميناء بيروت قام الوزير ماورو فييرا بتوليف مساهمة هذا الإجراء في السياسة الخارجية البرازيلية:

خلال مسار كورفيت باروسو للانضمام إلى القوة المؤقتة للأمم المتحدة في لبنان، عرف أسطولنا عندما واجهته حالةٌ طارئةٌ أن يترجمها إلى عملية إنقاذٍ وتضامنٍ، التزام لا شك فيه لبلدنا بتعزيزه وحمايته لحقوق الإنسان والقانون الإنساني. يدل التعاون البرازيلي في قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان على عزمنا الثابت على المساهمة في صون السلام والأمن الدوليين[75].

74 بلافيتز، 2016.

75 البرازيل، 2015ج.

تمثل مساعدات أنشطة اللجنة الدولية للصليب الأحمرنوعاً آخر من المساهمة في العلاقات البرازيلية مع لبنان، على الرغم من أنها أجريت في إطار التنسيق العام لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، في العام 2012 على سبيل المثال، تبرعت وحدتنا بمجمداتٍ إلى مجتمع صيد الأسماك في بلدة الناقورة، التي تضمَ مقرَ البعثة[76]، وتجدر الإشارة إلى أنه وفقاً للقواعد التي اعتمدتها الأمم المتحدة، لا يعتبر مجلس الخدمات المشتركة بين الوكالات سوى الأنشطة المضطلع بها في منطقة عمليات البعثة[77]، لذلك لا تحسب الكثير من المبادرات الأخرى للوحدة البرازيلية على هذا النحو لأنها وقعت في منطقة بيروت.

أما بالنسبة إلى المجموعة الثانية من الأنشطة، تلك التي نفذت بشكلٍ مباشرٍ من جدول الأعمال الثنائي، فهناك العديد من الأمثلة على مساهمة الوحدة البرازيلية في بعثة القوة البحرية، منذ وصولنا إلى لبنان في عام 2011 ، نشطت قواتنا العسكرية بالتعاون مع السفارة البرازيلية، وخاصةً في قطاعها الثقافي لتطوير مبادراتٍ مشتركةٍ تظهر البلد ومشاركته في اليونيفيل، سنوياً وفي اقتراب فترة يوم البحار في 13 من كانون الأول ويوم 11 من حزيران يوم البحرية الشهير، الكبير الجليل، تقام المعارض أو المسابقات في المركز الثقافي البرازيلي اللبناني بمشاركةٍ من المجتمع المحلي مثل معارض التصوير الفوتوغرافي التي أقيمت في كانون الأول من العام 2014 وحزيران من العام 2016[78]، والمسابقات في كل من التصميم الجرافيكي الذي عقد في كانون الأول 2015 وآخر في الشعر في حزيران من العام 2017[79].

76 كير، 2015، ص 56.
77 الأمم المتحدة، 2016ب، ص 11.
78 البرازيل، 2014، برازيليان، 2016.
79 كاريري، 2015، برازيليان، 2017ب.

بدورها، شاركت القوات البرازيلية في مشاريع مجموعةٍ من المدارس والمستشفيات، وكذلك قدمت إنجازات عملٍ مجتمعيٍ بالتنسيق مع المجموعات الخيرية المحلية، في عام 2015 على سبيل المثال، ساعد البحارة لدينا في تنظيم ورشةٍ فنيةٍ مع للمواد المعاد تدويرها في ملجأ الراهبات التبشيرية القربان المقدس[80]، كما يساهم تعيين القباطنة البحريين لدمج أطقم سفن البحرية التابعة للبحرية البرازيلية الأعضاء في فرقة العمل البحرية في التفاعل مع مجتمع لبنان البرازيلي من خلال الأحداث الدينية والمساعدات الاجتماعية، إظهارً لهذا المعنى فقد أقيم قداسٌ إلهيٌ على متن السفينة كورفيتا باهوسو في شباط من العام 2015، ترأسه السفير البابوي في لبنان وحضره السفير البرازيلي وعدة أعضاء في ذلك المجتمع[81].

في السنوات الأخيرة، ألقى قادة فرقة العمل البحري محاضراتٍ في جامعة الروح القدس في الكسليك بدعوةٍ من معهد العلوم السياسية ومركز الدراسات الثقافية لأمريكا اللاتينية في تلك الجامعة[82].

بالإضافة إلى المساهمة المباشرة لأفعال الوحدة البحرية البرازيلية في اليونيفيل، تستفيد العلاقات بين البرازيل ولبنان أيضاً عبر عديدٍ من الأنشطة الأخرى التي جرت في كلٍ من البلدين، كنتيجةٍ للمشاركة في تلك المهمة، في حزيران من العام 2012 أثناء زيارته للبرازيل، أدرج رئيس الوزراء اللبناني السابق نجيب ميقاتي في جدول أعماله زيارة لقيادة البحرية[83]، وكذلك فإن العلاقات الأوثق بين البحرية البرازيلية ونظيرتها اللبنانية أدت إلى زيارات القادة المتعاقبة للبحرية اللبنانية إلى البرازيل، مثل تلك التي

80 وكالة الانباء البرازيلية–العربية، 2015.
81 البرازيل، 2016هـ، ص 18.
82 سانتوس، 2016.
83 الصحيفة العسكرية، 2012ب.

نفذت في تشرين الثاني من العام 2011 وأيار وحزيران من العام 2014 وتشرين الثاني من العام 2016.[84]

في المقابل زار العديد من الوفود الوزارية البرازيلية من قطاعي الدفاع والخارجية لبنان، فمنذ توليه القيادة قام الوزير ماورو فييرا بزيارةٍ إلى لبنان في عام 2015، ومؤخراً وزير الدفاع راؤول جونجمان في تشرين الثاني 2016، يرافقه أعضاءٌ من البرلمان وقائد البحرية، خلال الاحتفالات بالذكرى الخامسة للقيادة البرازيلية في فرقة العمل البحرية[85].

التواصل المكثف مع قوة العمل البحرية والجودة المهنية لجيشنا شجع البحرية اللبنانية على السعي للتعاون مع البرازيل في تدريب ضباطها، وهكذا في آذار سنة 2012، استجابةً للمفاوضات التي بدأت في نطاق فرقة العمل البحرية وبموافقة وزارة الدفاع، وافقت البحرية البرازيلية على استقبال أول الطامحين اللبنانيين للمشاركة في الدورة الجامعية في المدرسة البحرية[86]، حالياً خمسةٌ منهم مسجلون في هذه المؤسسة، ثلاثةٌ في السنة الرابعة والأخيرة واثنان في الثالثة، وقد تم تكرار هذه التجربة الإيجابية في دورات الدراسات العسكرية العليا، في عام 2015 أكمل اثنان من كبار ضباط القوات المسلحة اللبنانية دورةً عليا للدراسات السياسية والاستراتيجية للمدرسة الحربية الاولى[87]، في العام التالي التحق ضابطٌ لبنانيٌ برتبة عميدٍ في نفس الدورة[88].

غير أن هناك مجالات نشاطٍ لم تستغل بعد العلاقات الثنائية فيها الإمكانات الكاملة المرتبطة بالمشاركة البرازيلية في قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، وفيما يتعلق

84 الصحيفة العسكرية، 2012أ، ص 7، باديليا، 2014، البرازيل، 2016ب.
85 البرازيل، 2016إي.
86 البرازيل، 2012.
87 البرازيل، 2015أ.
88 البرازيل، 2016أ.

بالتجارة وخاصةً تجارة المنتجات الدفاعية، فقد حققت البرازيل نجاحاتٍ في الآونة الأخيرة في بيع درعٍ غواراني وطائرة سوبر توكانو، التي ذكرها وزير الدفاع الأسبق سمير مقبل في مقابلةٍ له مع الوزير راؤول جونجمان أثناء الزيارة المذكورة أعلاه إلى لبنان في تشرين الأول 2016[89]، هذه النتائج على الرغم من إيجابيتها، فإنها لا تزال متواضعةً مقارنةً بالطلب اللبناني على المعدات العسكرية، ويمكنها الاستفادة من جهودٍ منسقةٍ أكثر بين قطاعات الدفاع والخارجية والصناعة والتجارة.

بطريقةٍ عامةٍ، وفوق كلَ ذلك فإنَ مساهمة الوجود البرازيلي في اليونيفيل في العلاقات بين البرازيل ولبنان أمرٌ لا يمكن دحضه، تماشياً مع مفهوم دبلوماسية الدفاع يتمَ تقديم هذه المساهمة، كما يقترح دو بليسيس 2008 ليس بصيغةٍ ضيقة، بل كملحقٍ للنشاط الدبلوماسي بطريقةٍ تآزريةٍ عبر توسيع مجموعة الخيارات المتاحة للسياسة الخارجية وفق مصلحة الدولة، وهكذا ومن خلال أنشطتها في إطار اليونيفيل أو من خلال جدول أعمالها الثنائي، فإنَ الوحدة البرازيلية في لبنان هي محلَ تركيز دبلوماسية الدفاع، ومثالٌ ناجحٌ لاستخدام القوة العسكرية لتقريب الدول من بعضها البعض وتعزيز الثقة المتبادلة.

7. الخاتمة:

الممارسة المتواصلة لقيادة قوة اليونيفيل البحرية لأكثر من نصف وجود هذه القوة قدمت للبرازيل فرصة فريدة في المجال المتعدد الأطراف لإثبات للمجتمع الدولي التزام بالمبادئ التي توجه سياستنا الخارجية والثنائية، للمساهمة في العلاقات التاريخية بين البرازيل ولبنان.

تعتزم هذه الورقة تحليل هذه المساهمة في العلاقات الثنائية، وفقاً للأساس النظري لمفهوم دبلوماسية الدفاع، والذي بموجبه يتم استخدام القوة العسكرية بطريقةٍ

89 البرازيل، 2016إي.

غير قسريةٍ وباعتبارها أداةً ذات أهميةٍ إضافةً إلى الجانب الدبلوماسي، تحقيقا لأهداف السياسة الخارجية وبهذا المعنى يتم التحقق من أنَ وثائق الدفاع الوطني تعترف بالعلاقة التي لا يمكن فصلها بين قطاعي الدفاع والشئون الخارجية، مع الاعتراف من ناحيةٍ أخرى، بأن هناك شيئاً يجب تحسينه فيما يتعلق بآليات الحوار بينه وبين الوزارات الأخرى المعنية.

يحافظ كلٌ من لبنان والبرازيل على علاقةٍ علمانيةٍ عنصرها الرئيسي عبر التاريخ هو الهجرة المسؤولة عن الجالية اللبنانية على أراضينا، والتي باتت تفوق السكان في لبنان نفسه في الوقت الحالي، كان للمهاجرين وأحفادهم تأثيرٌ قويٌ على الثقافة والعلوم والسياسة البرازيلية، ومع ذلك وعلى الصعيد الاقتصادي فإنَ التجارة لا تزال بين كلٍ من البلدين تظهر أقلَ من إمكاناتها.

وبهذا المعنى، فإنَ مشاركة الوحدة البحرية البرازيلية في اليونيفيل تجلب بعداً ملموساً لخطاب الهوية الثقافية مع لبنان والمشاركة في السلام في تلك المنطقة، سمح التفاعل المجدي مع السفارة البرازيلية والمركز الثقافي البرازيلي اللبناني بتطوير العديد من الأنشطة مع السكان المحليين، وبالمثل فإنَ ممارسة قيادة فرقة العمل البحرية تسهم في زيادة العلاقات في مجال الدفاع كما يتضح ذلك عبر الزيارات الأخيرة للجان الوزارية وتبادل الأفراد، لا سيما تدريب ضباط البحرية اللبنانية في مدرستنا البحرية.

إنَ تطور هذه النشاطات، سواءً إن تعلقت بقطاع الدفاع اللبناني أو بالعلاقة مع السكان المحليين، يوضح مدى كفاية الاستخدام الغير القسري للقوة العسكرية تحقيقاً لأغراض السياسة الخارجية، ووفق ما يتماشى مع مفاهيم الدبلوماسية الدفاعية، توفر عمليات حفظ السلام أرضيةً خصبةً لمثل هذا التوظيف، تتجاوز حدود الثنائية وتوطد مكانة البرازيل كطرفٍ مسؤولٍ في المشهد العالمي.

ومع كلَ هذا فإنه من دون الاستغناء عن تألق أو قيمة المبادرات سعياً للتقريب الثقافي وتمكيناً للروابط التاريخية للصداقة، يمكن الاستنتاج بأنَ أهم مساهمة

من المشاركة البرازيلية في اليونيفيل في العلاقات الثنائية هي على وجه التحديد من خلال الجهد اليومي لوحدتنا في فرقة العمل البحرية من أجل السلام والاستقرار في المنطقة عبر تنفيذها لوصاية القرار 1701 في البحر، وهذا الجهد الذي يضطلع به بكلَ فخرٍ وكفاءةٍ السفن البرازيلية وأطقمها ممَا يوفر بيئةً بحريةً مستقرةً وآمنةً، ومفتاحاً لتنمية التجارة وبالتالي النشاط الاقتصادي في لبنان، كأحد الشروط الأساسية بدورها لتقدم ذلك البلد ورفاه سكانه.

المراجع:

ABDENUR, A. E.; SOCHACZEWSKI, M. O Brasil e a UNIFIL: A participação de militares brasileiros junto ao contingente espanhol. *Ipsis Libanis – Revista do ICBL*. Rio de Janeiro, v. 1, n. 1. 2016. Disponível em: <http://www.icbl.com.br/ipsislibanis/admin/uploads/artigo201609022053268010.pdf>.

ANBA (AGÊNCIA DE NOTÍCIAS BRASIL-ÁRABE). *Exposição mostra trabalho social da Marinha no Líbano*. São Paulo: Redação, 2015. Disponível em: <http://www.anba.com.br/noticia/21868851/artes/exposicao-mostra-trabalho-social-da-marinha-no-libano/>.

BANCO MUNDIAL. *GDP Data*. Washington, 2017. Disponível em: <http://data.worldbank.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?end=2013&start=2005>.

BERCITO, Diogo. No Congresso, 8% dos parlamentares têm origem libanesa. *Folha de S. Paulo*, São Paulo, 14 jun. 2015. Disponível em: <http://www1.folha.uol.com.br/poder/2015/06/1642001-no-congresso-8-dos-parlamentares-tem-origem-libanesa.shtml>.

BRASIL. Constituição (1988) *Constituição da República Federativa do Brasil*. Brasília-DF, 1988. Disponível em: <https://www2.senado.

leg.br/bdsf/bitstream/handle/id/518231/CF88_Livro_EC91_2016.pdf?sequence=1?concurso=CFS%202%202018>.

BRASIL. Escola Superior de Guerra (ESG). *Encerramento do Curso de Altos Estudos de Política e Estratégia. ESG*. Sítio Institucional. Rio de Janeiro, 2016a. Disponível em: <http://www.esg.br/index.php/br/blog/641-encerramento-do-curso-de-altos-estudos-depolitica-e-estrategia>.

BRASIL. Escola Superior de Guerra (ESG). *Sítio Institucional*. Rio de Janeiro, 2017a. Disponível em: <http://www.esg.br/index.php/es/cursos/cursos-regulares?id=375>.

BRASIL. Exército Brasileiro. *Encerramento do Curso de Altos Estudos de Política e Estratégia*. Exército Brasileiro. Sítio Institucional, Brasília, 2015a. Disponível em: <http://www.eb.mil.br/web/midia-impressa/noticiario-do-exercito/-/asset_publisher/IZ4bX6gegOtX/content/encerramento-do-curso-de-altosestudos-de-politica-e-estrategia>. Acesso em: 28 ago. 2017.

BRASIL. Marinha do Brasil. *Comandante da Marinha do Líbano visita o Arsenal de Marinha*. Marinha do Brasil. Sítio Institucional, Brasília, 2016b. Disponível em: <https://www.marinha.mil.br/ content/comandante-da-marinha-do-l%C3%ADbano-visita-oarsenal-de-marinha>. Acesso em: 28 ago. 2017.

BRASIL. Marinha do Brasil. Gabinete do Comandante da Marinha. Ofício no 30-268/GCM-MB, de 2 de maio de 2012. *Solicitação de vagas na Escola Naval*. Brasília-DF, 2012.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Brasileiros que vão integrar missão de paz no Líbano entram em preparação na Defesa*. Ministério da Defesa. Sítio Institucional. Brasília-DF, out. 2015b. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/noticias/17148-brasileiros-quevao-integrar-missao-de-paz-no-libano-entram-em-preparacao-nadefesa>.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Estratégia Nacional de Defesa – Versão sob apreciação do Congresso Nacional*. Brasília-DF, 2016c. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/arquivos/2017/mes03/pnd_end.pdf>.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Livro Branco de Defesa Nacional – Versão sob apreciação do Congresso Nacional*. Brasília, DF, 2016d. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/arquivos/2017/mes03/livro_branco_de_defesa_nacional_minuta.pdf>.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Brasil assume comando da Força-Tarefa Marítima da ONU no Líbano*. Ministério da Defesa. Sítio Institucional. Brasília-DF, fev. 2011a. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/index.php/noticias/3665-25022011-defesa-brasilassume-comando-da-forca-tarefa-maritima-da-onu-no-libano>.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Ministro Jungmann visita o Líbano e fortalece cooperação em defesa com o Brasil*. Ministério da Defesa. Sítio Institucional. Brasília-DF, 2016e. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/noticias/25840-ministro-jungmann-visita-o-libano-e-fortalece-cooperacao-em-defesa-com-o-brasil>.

BRASIL. Ministério da Defesa. *Política Nacional de Defesa – Versão sob apreciação do Congresso Nacional*. Brasília-DF, 2016f. Disponível em: <http://www.defesa.gov.br/arquivos/2017/mes03/pnd_end.pdf>.

BRASIL. Ministério da Indústria, Comércio Exterior e Serviços. *Estatísticas de Comércio Exterior – Balança dos Países: 2016 – Líbano, jan. a dez. 2016*. Brasília-DF, 2017b. Disponível em: <http://www.mdic.gov.br/index.php/comercio-exterior/estatisticasde-comercio-exterior/balanca-comercial-brasileira-mensal-2?layout=edit&id=2225>.

BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. *Brasil-Líbano –Relações Comerciais*. Brasília- DF: Departamento de Promoção Comercial e Investimentos – Divisão de Inteligência Comercial, 2016g.

Disponível em: <https://investexportbrasil.dpr.gov.br/arquivos/IndicadoresEconomicos/web/pdf/INDLibano.pdf>.

BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. *Inaugurada exposição da Marinha Brasileira no Centro Cultural Brasil-Líbano*. Brasília-DF: Rede Brasil Cultural – Divisão de Promoção da Língua Portuguesa – DPLP, 2014. Disponível em: <http://redebrasilcultural.itamaraty.gov.br/noticias2/13-beirute/454-exposicao-sobre-a-marinhabrasileira-no-libano>.

BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. Ministro das Relações Exteriores – Discursos: *Discurso do Ministro Mauro Vieira por ocasião da imposição da insígnia da Ordem do Rio Branco à Corveta Barroso – Beirute, 15 de setembro de 2015*. Brasília, 2015c. Disponível em: <http://www.itamaraty.gov.br/pt-BR/discursos-artigos-e-entrevistas-categoria/ministro-das-relacoes-exteriores-discursos/11593-discurso-do-ministro-mauro-vieirapor-ocasiao-da-imposicao-da-insignia-da-ordem-do-rio-branco-acorveta-barroso-beirute-15-de-setembro-de-2015>.

BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. *Relações Bilaterais: Líbano*. Brasília, 2017c. Disponível em: <http://www.itamaraty.gov.br/index.php?option=com_content&view=article&id=5373&Itemid=478&cod_pais=LBN&tipo=ficha_pais&lang=pt-BR>.BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. *Sítio Institucional*. Brasília, 2017d. Disponível em: <http://www.itamaraty.gov.br/>.

BRASIL. Ministério das Relações Exteriores. Vice-Presidente da República Federativa do Brasil – Discursos: *Discurso do Vice-Presidente da República, Michel Temer, por ocasião da cerimônia de recepção da Fragata "União" – Beirute, 21 de novembro de 2011*. Brasília, 2011b. Disponível em: <http://www.itamaraty.gov.br/pt-BR/discursos-artigos-e-entrevistas/vice-presidente-darepublica-federativa-do-brasil-discursos/9584-discurso-dovice-presidente-da-republica-michel-temer-por-ocasiao-

dacerimonia-de-recepcao-da-fragata-uniao-f-45-beirute-21-denovembro-de-2011>.

BRASIL. Senado Federal. Decreto Legislativo no 296, de 29 de setembro de 2011. Autoriza o envio de um navio da Marinha do Brasil para compor a Força-Tarefa Marítima da Força Interina das Nações Unidas no Líbano – UNIFIL. *Diário Oficial da União*, Brasília-DF, 30 set. 2011c. Seção 1, p. 1.

BRASIL. Senado Federal. Decreto Legislativo no 741, de 10 de dezembro de 2010. Autoriza a participação brasileira na Força Interina das Nações Unidas no Líbano – UNIFIL. *Diário Oficial da União*, Brasília, DF, 13 dez. 2010. Seção 1, p. 1.

BRASIL. Serviço de Assistência Religiosa da Marinha (SARM). Informativo – Março 2016. Rio de Janeiro, 2016h. Disponível em: <http://www.avcfn.com.br/wp-content/uploads/2016/03/Informativo-do-SARM-MAR2016.pdf>.

BRASILIBAN – Centro Cultural Brasil-Líbano. *Apresentação*. Beirute: 2017a. Disponível em: <http://brasiliban.itamaraty.gov.br/pt-br/Main.xml>.

BRASILIBAN – Centro Cultural Brasil-Líbano. *Brazilian Navy Day*. Beirute, 2017b. Disponível em: <https://www.facebook.com/media/set/?set=a.1413539845400425.1073742063.100639716690451&type=3>.

BRASILIBAN – Centro Cultural Brasil-Líbano. *Navy of Brazil: past glories, future accomplishments*. Beirute: 2016.Disponível em: <https://www.facebook.com/media/set/?set=a.1054325801321833.1073741992.100639716690451&type=3 >.

CARDOSO, Rodrigo. Os Caminhos do Islã no Brasil. *Isto É*, Rio de Janeiro, n. 2309, 26 fev. 2014. Disponível em: <http://istoe.com.br/349181_OS+CAMINHOS+DO+ISLA+NO+BRASIL/>.

CARRIERI, Marcos. Brasil terá concurso de design gráfico no Líbano. *Agência de Notícias Brasil-Árabe*, São Paulo, 2015. Disponível em: <http://anba.com.br/noticia/21869465/artes/brasil-teraconcurso-de-design-grafico-no-libano/>.

CHARARA, Nasser. Lutfallah 2: Smugglers of the Mediterranean. *Al-Akhbar*, Beirute, 17 maio 2012. Disponível em: <http://english.al-akhbar.com/node/7408>.

CURI, Guilherme O. Literatura e Imprensa Árabe no Brasil: identidades reinventadas, o Al Mahjar também é aqui. *Ipsis Libanis – Revista Eletrônica Acadêmica do ICBL*. Rio de Janeiro, v. 3, n. 3, p. 6-18, ago./nov. 2017. Disponível em: <http://icbl.com.br/ipsislibanis/admin/uploads/artigo201708021524352293.pdf>.

DEFESANET. *Navio da Marinha do Brasil socorre tripulante de navio mercante durante patrulha no Líbano*. Defesanet Agência de Notícias, 3 out. 2016. Disponível em: <http://www.defesanet.com.br/naval/noticia/23671/Navio-da-Marinha-do-Brasil-socorre-tripulantede-navio-mercante-durante-patrulha-no-Libano/>.

ESPANHA. Ministerio de Defensa. *Revisión Estratégica de la Defensa*. Madrid: Ministerio de Defensa – Centro de Publicaciones, 2003. Disponível em: <http://www.defensa.gob.es/Galerias/defensadocs/revision-estrategica.pdf>.

FOLHA MILITAR. *Centro de Instrução Almirante Wandenkolk recebe visita do Comandante da Marinha do Líbano*. Rio de Janeiro, jan, 2012a. Disponível em: <http://folhamilitar.com.br/wp-content/uploads/2012/07/Folha-Militar-Janeiro1.pdf>.

FOLHA MILITAR. *Visita do Primeiro-Ministro do Líbano à Marinha do Brasil*. Rio de Janeiro, jul. 2012b. Disponível em: <http://folhamilitar.com.br/2012/07/visita-do-primeiro-ministro-dolibano-a-marinha-do-brasil/>.

FONTOURA, Paulo R. C. Tarrisse da. *O Brasil e as Operações de Manutenção da Paz das Nações Unidas*. Brasília: Fundação Alexandre de Gusmão, 1999, 409 p.

GATTAZ, André. *Do Líbano ao Brasil: história oral de imigrantes*. 2. ed. Salvador: Editora Pontocom, 2012, 172 p.

HARRIS, William. *Lebanon: A history, 600-2011*. New York: Oxford University Press, 2012, 360 p.

HIRST, M.; NASSER, R. M. Brazil's *involvement in peacekeeping operations: the new defence-security foreign policy nexus*. Oslo: Norwegian Peacebuilding Resource Centre (NOREF), set. 2014. Disponível em: <http://brasilnomundo.org.br/wp-content/uploads/2014/10/Hirst-e-Nasser.pdf>.

HYAR, Albert Z. *O Papel do Brasil na UNIFIL*. Orientador: Antonio Ruy de Almeida Silva. 2015. 65 f. Monografia (Curso de Altos Estudos de Política e Estratégia) – Escola Superior de Guerra, Rio de Janeiro, 2015.

KERR, Gilberto S. *A Participação da Marinha do Brasil na Missão de Paz da ONU no Líbano:* Implicações político-estratégicas. Orientadores: José Claudio da Costa Oliveira; José Luiz Ferreira Canela. 2015. 76 f. Monografia (Curso de Política e Estratégia Marítima) – Escola de Guerra Naval, Rio de Janeiro, 2015.

KHATLAB, Roberto. *As Viagens de D. Pedro II* – Oriente Médio e África do Norte, 1871 e 1876. São Paulo: Benvirá, 2015, 392 p.

MARTINS, Antonio C. R. *A UNIFIL, o Brasil e seus condicionantes de defesa*. Orientador: Antonio Ruy de Almeida Silva. 2016. 81 f. Monografia

(Curso de Altos Estudos de Política e Estratégia) – Escola Superior de Guerra, Rio de Janeiro, 2016.

MINIX, Dean A.; HAWLEY, Sandra M. *Global Politics*. Belmont: Wadsworth Publishing Company, 1998, 559 p.

MUTHANNA, K. A. Military Diplomacy. *Journal of Defence Studies*. v. 5, n. 1. Jan. 2011.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Conselho de Segurança. *Fourteenth report of the Secretary-General on the implementation of Security Council resolution 1701 (2006)*. New York, 2010a. Disponível em: <http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/2010/565>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Conselho de Segurança. *Resolução nº 425, de 19 de março de 1978*. New York, 1978a. Disponível em: <https://undocs.org/S/RES/425(1978)>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Conselho de Segurança. *Resolução nº 426, de 19 de março de 1978*. New York, 1978b. Disponível em: <https://undocs.org/S/RES/426(1978)>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Conselho de Segurança. *Resolução nº 427, de 3 de maio de 1978*. New York, 1978c. Disponível em: <https://undocs.org/S/RES/427(1978)>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Conselho de Segurança. *Resolução nº 1.701, de 11 de agosto de 2006*. New York, 2006. Disponível em: <https://undocs.org/S/RES/1701(2006)>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). *Convenção das Nações Unidas sobre o Direito do Mar, de 10 de dezembro de 1982*. Montego Bay, 1982. Disponível em: <http://www.un.org/depts/los/convention_agreements/texts/unclos/unclos_e.pdf>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). Department of Peacekeeping Operations (DPKO). *Policy – Civil-Military Coordination in UN Integrated Peacekeeping Missions (UNCIMIC)*. New York, 2010b. Disponível em: <http://dag.un.org/bitstream/handle/11176/89511/2010.02UNCIMICPolicy.pdf?sequence=1&isAllowed=y>.

ORGANIZAÇÃO DAS NAÇÕES UNIDAS (ONU). *United Nations Peacekeeping Missions Military Maritime Task Force Manual*. New York, set. 2015. Disponível em: <http://dag.un.org/bitstream/handle/11176/387297/United%20Nations%20Peacekeeping%20Missions%20Maritime%20Manual.pdf?sequence =1&isAllowed=y>.

PADILHA, Luiz. *Comando de Operações Navais recebe visita do Comandante da Marinha do Líbano*. Defesa Aérea & Naval. Rio de Janeiro, jun. 2014. Disponível em: <https://www.defesaaereanaval.com.br/comando-de-operacoes-navais-recebevisita-do-comandante-da-marinha-do-libano/>.

PLAVETZ, *Ivan. Fragata Independência ajuda apreender entorpecentes no Líbano*. Tecnologia & Defesa, 21 jun. 2016. Disponível em: <http://tecnodefesa.com.br/fragata-independencia-ajudaapreender-entorpecentes-no-libano/>. Acesso em: 29 ago. 2017.

PLESSIS, Anton du. Defence Diplomacy: Conceptual and Practical Dimensions with Specific Reference to South Africa. *Strategic Review for Southern Africa*, Pretoria, v. 30, n. 2, p. 87-119, nov. 2008. Disponível em: <http://repository.up.ac.za/bitstream/handle/2263/10381/DuPlessis_Defence%282008%29.pdf?sequence=1&isAllowed=y>.

PLUSHNICK-MASTI, Ramit. Israel: Iran Aided Hezbollah Ship Attack. *The Washington Post*, Washington, DC, 15 jul. 2006. Disponível em: http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/07/15/AR2006071500189.html.

REINO UNIDO. Defence Committee. *The Strategic Defence Review* – Modern Forces for a Modern World. London: The Stationery Office, 1998. Disponível em: <http://webarchive. nationalarchives.gov.uk/20121018172816/http://www.mod.uk/NR/rdonlyres/65F3D7AC-4340-4119-93A2-20825848E50E/0/sdr1998_complete.pdf>.

REINO UNIDO. Ministry of Defence. *Policy Paper No. 1 – Defence Diplomacy*. London: The Stationery Office, 2000. Disponível em: <http://webarchive.nationalarchives.gov.uk/20121018172741/http://www.mod.uk/NR/rdonlyres/BB03F0E7-1F85-4E7B-B7EB-4F0418152932/0/polpaper1_def_dip.pdf>.

SANTOS, Aurea. Missão de paz é tema de palestra no Líbano. *Agência de Notícias Brasil-Árabe*. São Paulo, 2016. Disponível em: <http://www.anba.com.br/noticia/21871202/diplomacia/missaode-paz-e-tema-de-palestra-no-libano/>.

SILVA, Antonio Ruy de A. A Diplomacia de Defesa na Política Internacional. *Revista da Escola de Guerra Naval*. Rio de Janeiro, v. 21, n. 2, p. 179-202, jul./dez. 2015.

UNCTAD (UNITED NATIONS CONFERENCE ON TRADE AND DEVELOPMENT). *Maritime Profile: Lebanon*. Genebra, 2017. Disponível em: <http://unctadstat.unctad.org/CountryProfile/MaritimeProfile/en-GB/422/index.html>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNAssets worth $400k Donated to LAF and LAF Intel*. UNIFIL oficial site – Public Information Office (PIO), 2017a. Disponível em: <https://unifil.unmissions.org/un-assets-worth-400k-donatedlaf-and-laf-intel>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL Background*. Naqoura: UNIFIL official site – PIO, 2017b. Disponível em: <https://unifil.unmissions.org/unifilbackground#Para1>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL Facts and Figures*. UNIFIL official site – Public Information Office (PIO), 2017c. Disponível em: <http://www.un.org/en/peacekeeping/fatalities/documents/stats_3jun.pdf>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL FAQS*. UNIFIL official site – Public Information Office (PIO), 2017d. Disponível em: <https://unifil.unmissions.org/faqs>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL Leadership*. Naqoura: UNIFIL official site – PIO, 2017e. Disponível em: <http://www.un.org/en/peacekeeping/missions/unifil/leadership.shtml>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL Maritime Task Force*. Naqoura: UNIFIL official site – PIO, 2017f. Disponível em: <https://unifil.unmissions.org/unifilmaritime-task-force>.

UNIFIL (UNITED NATIONS INTERIM FORCE IN LEBANON). *UNIFIL Operations*. Naqoura: UNIFIL official site – PIO, 2017g. Disponível em: <https://unifil.unmissions.org/unifil-operations>.

المجتمع اللبناني في السياسة البرازيلية والعلاقات البرازيلية اللبنانية.

كارلوس مارون*

1. اعتباراتٌ أوليةٌ:

بصفتي برلمانياً ومواطناً برازيلياً وسليلاً للبنانيين، أمتلك الوعي التام بالقيمة الباهظة التي أضافتها الجالية اللبنانية في البرازيل لتطوير مجالاتٍ عدةٍ في حياتنا الوطنية، اقتصادياً، وثقافياً وأكاديمياً من بين مجالاتٍ عدةٍ أخرى، إنَ الدفعات المتتالية للمهاجرين المنحدرين من بلد الأرز الذين انتقلوا إلى أرضنا وإلى أماكن أخرى من القارة الأمريكية وحتى في إفريقيا وإقيانوسيا لم ينجحوا فقط في مسارهم الشخصي والمهني، متجاوزين كلَ الصعوبات المفروضة بسبب وضعهم كتاركين لبلادهم، لكنهم تقلدوا مناصب ذات شانٍ في نسيجنا الاجتماعي.

النشاط السياسي ليس استثناءً بل على العكس! من جاليات المهاجرين الحاليين في البرازيل، الأحفاد المنحدرين من أصول لبنانية هم الأكثر مشاركةً، وبالفعل على مدى عقودٍ شاركوا بحماسٍ فريدٍ في هذا المجال، وأدرجوا أنفسهم في الطبقات الوطنية للمشاورة واتخاذ القرارات، هناك أعضاء مجالس ورؤساء بلديات، والمحافظون، ونوابٌ عن الولاية، ونوابٌ اتحاديون، وأعضاء مجلس شيوخٍ، ووزراءٌ وغيرهم من الفئات

* كارلوس مارون: نائبٌ اتحاديٌ عن ولاية ماتو جروسو دو سول، لحزب الحركة الديمقراطية البرازيلية.

العليا في الإدارة الاتحادية ونظرائهم في الولايات والبلديات جميعهم يحملون جذوراً لبنانية.

والأكثر إثارةً للدهشة هو أنَ هؤلاء النساء والرجال، في أغلب الأحيان، هم من الجيلين الأول والثاني من الشتات، أو من الذين ولدوا في لبنان وجاءوا إلى هنا، أو من السلالة الأولى لعائلةٍ نشأت في البرازيل، تؤكد هذه الحالات فكرة القدرة الاستثنائية للبنانيين وأحفادهم على التكيف بسرعةٍ مع البلد المضيف، على الأقلَ في البرازيل وفي وقتٍ قصيرٍ نسبياً، اكتسبوا ثقة المواطنين البرازيليين على مواهبهم الشخصية وقدراتهم الإدارية، واستعدادهم للحوار وللقيادة مما يؤهلهم للسعي من أجل أن يتمَ انتخابهم لمناصب عامة.

من المستطاع أن أكتب صفحاتٍ وصفحاتٍ بقائمةٍ لا تنضب تقريباً من البرازيليين ذوي أصولٍ لبنانيةٍ والذين برعوا وتفوقوا في الوظائف العامة، وبالنظر إلى حقيقة أنَ هذا المنشور يهدف إلى تحديد الخطوط الأساسية والمحاور الرئيسية للعلاقات بين البرازيل ولبنان، أودَ أن أهتم بالنقطة التالية:

دور المؤسسة التي أفتخر بأن أكون عضواً فيها، وهي المجلس الوطني لتكثيف العلاقات الثنائية الذي يظهر كما سأفصله أدناه عبر التبادل الحيوي والمتزايد للمهمات البرلمانية بين برازيليا وبيروت.

قبل الدخول في صميم تحليلي يتوجب عليَ استطرادٌ بالنسبة للعلاقات بين السلطتين التنفيذية والتشريعية فيما يخص النشاط السياسي الخارجي، فمن المعروف إلى حدٍ بعيدٍ أنَ صياغة السياسة الخارجية والعمل الدبلوماسي وقيادتهما يعزوان إلى السلطة التنفيذية، وأنَ السلطتين المذكورتين تعملان كقوتين قائمتين بذاتيهما، في البنية المؤسساتية البرازيلية، ومن جهةٍ أخرى نشاهد درجة التفاعل والتعاون المتزايدين بين هاتين المؤسستين، وهو على أيَ حالٍ واجبٌ في عالمٍ تؤثر به وبشكل متصاعدٍ

الدينامكية الدولية على الحياة اليومية للمواطنين الذين يختارونا نحن البرلمانيون لنمثلهم ونجسد مطالبهم وتطلعاتهم.

وبشكلٍ أكثر تفصيلاً وفيما يخصَ العلاقات بين البرازيل ولبنان، يجب أن نبرز أن مجلس الشيوخ والنواب وخلال الكثير من السنوات برز بين برلمانيهم أن نسبة 5% إلى 10% منهم من اللبنانيين.

هؤلاء النساء والرجال وهم ينحدرون من كلَ ولايات اتحادنا والمنتسبون إلى صفوفٍ حزبيةٍ وإيديولوجيةٍ متعددةٍ في ديمقراطيتنا والناطقون (كزملائهم الآخرين) عن تطلعات البرازيليين كافة لديهم فكرةٌ عما يمكن أن يعمل لتقوية الصلات بين البلدين، مستخدمين المنتديات البرلمانية المناسبة كلجنة العلاقات الخارجية والدفاع القومي لمجلس النواب وسميتها في مجلس الشيوخ، وكذلك القنوات الأكثر مناسبة لدى السلطة التنفيذية مثل الاتصالات المثمرة دوماً مع وزارة الخارجية لنطرح ونفحص مبادرات تؤدي إلى تقوية حوارنا مع هذا البلد الصغير في مساحته ولكن الحاسم في الشرق الأوسط. أستطيع أن أؤكد حجم تقدير البرازيل للبنان، وأن التزام الكونغرس بتوسيع علاقاتنا مع الحكومة اللبنانية يتجاوز مجموعة البرلمانيين اللبنانيين، أنا أعمل مع العديد من الزملاء الذين رغم عدم وجود روابط مباشرة مع بلد الأرز فإنهم يناضلون مع النواب وأعضاء مجلس الشيوخ من أصولٍ لبنانيةٍ لتعزيز العلاقات الثنائية، والتي من شأنها أن تسمح لي أن أؤكد أنَ هذه القضية هي بالفعل من قضايا التشريع البرازيلي الداخلي، وهو الأمر الذي تعيه السلطة التنفيذية بشكلٍ تامٍ للغاية، وبالتالي يعطيه الأولوية بجدولة الأعمال الموسعة لأجندته الدولية.

أضيف أن أعضاء الكونغرس ذوي الأصول اللبنانية وزملائهم المكرسين أنفسهم طوعيا للمساعدة في تقدم العلاقات الثنائية يذهبون إلى أبعد من مجرد المواضيع الثنائية البحتة، يحاطون علماً ويتجادلون حول أهم المواضيع على المسرح الجيوسياسي في الشرق الأوسط، باهتمامٍ حادٍ ومسؤوليةٍ في الأحكام، القضية

الفلسطينية، الحرب في سوريا، والتنافس بين سلطات تلك المنطقة كلَ هذه العوامل التي تؤثر بشكلٍ حسَاس على استقرار لبنان، وبالتالي قدرته على الحوار مع الخارج، بما في ذلك البرازيل.

وما يثبت أنَ الأمر كذلك هو أنه خلال سنة 2006 عندما شاهدنا ببالغ من الحزن والأسى، بين شهري تموز وآب، الاعتداء الإسرائيلي على الأراضي اللبنانية، وفي تلك اللحظة التي حشدنا فيها بلا هوادةٍ وبصوتٍ موحدٍ مع السلطة التنفيذية لإدانة الحرب والمطالبة بالسلام لتسهيل ظروف اللبنانيين والبرازيليين لأقصى حدٍ والذين كابدوا لأكثر من ثلاثين يوماً من جراء القصف العنيف.

إن لجأنا إلى نظرة تاريخية سنعي أنه مهماً كان شديداً وبليغاً ما قمنا به لكي يثبت اهتمام السلطة التشريعية وبقية الحكومة إلى بلد الأرز، فإنَ حادثة 2006 هي في الحقيقة مرحلةٌ أخرى وهي مرحلةٌ أساسيةٌ بدون شك لسلسلةٍ طويلةٍ من المبادرات الدبلوماسية البرلمانية الموجهة إلى لبنان والتي يقوم بها البرلمان، وكما أوضح أدناه تعود تلك المبادرات إلى العقود الأولى قبيل الاستقلال اللبناني وتمتد لغاية اليوم.

2. زياراتٌ برلمانيةٌ برازيليَةٌ لبنانيَةٌ:

في سنة 1959 قام جانيو دا سيلفا كوادروس وقد كان لا يزال نائباً اتحادياً في البرلمان بزيارةٍ خاصةٍ إلى الجالية «البرازيلبنانية» المقيمة في لبنان، عبر جانيو كوادروس عن إعجابه الكبير باللبنانيين وسجل آنذاك أنه قال: أحيي اللبنانيين الذين أقاموا في البرازيل والذين طالما ساهموا بجهدهم الدءوب والمثمر لتعمير وطننا العظيم.

وبعدها بسنتين عام 1961 عندما كان جانيو قد أصبح رئيساً للجمهورية فإنَ النائب عبده صعب المولود في بعبده والعضو في اللجان البرلمانية للشؤون الخارجية والمالية اللبنانية زار البرازيل بين 5 و 15 آب سنة 1961، التقى النائب بسلطاتٍ مدنيةٍ عديدةٍ وبأعضاء الجالية اللبنانية.

في حزيران عام 1966 سجل ذهاب بعثةٍ اقتصاديةٍ ترأسها النائب الاتحادي جيسيه بينتو فريري إلى لبنان، عام 1985 في غضون الحرب الأهلية زار لبنان النائب الاتحادي في ذلك الوقت باولو معلوف، وهو من ساو باولو مدعواً من الرئيس اللبناني أمين جميل بغية التعرف على حدث بعلبك في سهل البقاع وهي أرض أسلافه، في أيلول 1993 وبدعوةٍ من رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري زار لبنان وفدٌ من أعضاء مجلس الشيوخ البرازيلي مكونٌ من إسبيريدياو أمين وجوزيه ريشة ورشيد درزي وأونوفري كنان وآنجيلا أمين، علاوةً على رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري ،استقبل الوفد رئيس الجمهورية اللبنانية الياس هراوي ورئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري ووزير الشؤون الخارجية فارس بويز وقد أشار البرلمانيون في تصريحاتهم إلى دعم الحكومة البرازيلية وخاصة السلطة التشريعية للبنان خلال كامل الفترة التي أصبحت فيها البلد مستهدفةً من قبل الحوادث الخارجية والداخلية.

وبعد شهرين أقيم في بيروت الاجتماع الأول للبرلمانيين ذوي الأصول اللبنانية، ترأسه كذلك رئيس مجلس النواب البرلماني نبيه بري، شارك في الحدث برلمانيون من الأرجنتين وأستراليا والبرازيل وكندا وقبرص وكولومبيا والمكسيك والبيرو، وكان هدفه توطيد الروابط بين البرلمان اللبناني والبرلمانيون ذوي الأصول اللبنانية مع زملائهم من بلادٍ أخرى، بالإضافة إلى تشجيع التنظيم والتطوير لمجموعاتٍ عدةٍ وجمعياتٍ صديقةٍ مع لبنان.

تكون الوفد البرازيلي من النواب التالية أسمائهم، الياس مراد، إدلسون معلوف، ماريانو كلينجر، وجيسوس طجرة، وكارلوس خياط ونايف جبور وجورج معلولي نيتو وشفيق فرحات وسمير طنوس وبيت عزيزى، وعند نهاية اللقاء تعهد الوفد البرازيلي بأن يستقبل النشرة الثانية لاجتماع البرلمانيون ذوي الأصول اللبنانية، والذي كان يحتمل أولاً أن يحدث سنة 1994، في السنة ذاتها أعيد في البرازيل تنشيط

المجموعة البرلمانية البرازيلية اللبنانية وبذلك زادت من قوة القضية اللبنانية في مجال المجلس القومي البرازيلي عبر أعضاء مجلس الشيوخ والنواب ذوي الأصول اللبنانية.

وبالمناسبة يجب الإصرار على أن المجموعة البرلمانية المشار إليها التي أنشأها قرار مجلس النواب رقم 79/30 الصادر في السادس من أيلول عام 1979، يجب أن تعاد إلى كلَ هيئةٍ تشريعيةٍ وبالتالي، في دورة المجلس التشريعي الخامس والخمسين، تألفت المجموعة من الأعضاء التاليين: الرئيس: النائب ريكاردو عازار، النائب الأول للرئيس سيزار حلوم، النائب الثاني جورج تاديو مدلن، والنائب الثالث باولو أبي عقل.

وهناك مجموعة صداقةٍ لبنانيةٍ برازيليةٍ تتكون من المجلس الوطني، وهيئةٍ تشريعيةٍ تضم ممثلين عن مختلف المجموعات السياسية اللبنانية، وظيفتها الرئيسية هي دعم زيارات البرلمانيين وتسهيل تبادل وجهات النظر حول السياسة والعلاقات الثنائية.

إنَ وجود مجموعة للصداقة البرازيلية اللبنانية ذو قيمة كبيرة للاتصالات في سياق زيارات السلطات البرازيلية سواء التشريعية أو التنفيذية، تكوينه المتنوع يسمح للمهمات البرازيلية الاستماع إلى آراء المجموعات السياسية والدينية التي تشكل فسيفساء المجتمع اللبناني.

الاجتماع الثاني للبرلمانيين ذوي الأصول اللبنانية لم يحدث إلا سنة 1996، ولكن في فترة ما بين 29 تشرين الثاني و الخامس من كانون الأول 1995، فإن الوفد البرازيلي قد زار لبنان ليناقش تجهيزات الحدث، تكون الوفد من النواب ريكاردو عازر، جورج تاديو مدلن، إليسيوني زحلوت بربالیو ولويس فرناندو نيقولا.

مرةً ثانيةً عومل البرازيل بحفاوةٍ بالغةٍ واستقبل الوفد رئيس جمهورية لبنان الياس الهراوي، ورئيس الوزراء رفيق الحريري ورئيس مجلس النواب البرلماني نبيه بري

ووزير الشؤون الخارجية فارس بويز ووزير المغتربين علي خليل، إضافةً إلى سلطات مدنية أخرى.

هكذا في آذار 1966 كان دور رئيس المجلس اللبناني النائب نبيه بري أن يزور البرازيل مصحوباً بنائبه في المجلس إيلي فرزلي، كذلك عشر نوابٍ آخرين للمشاركة بالاجتماع الثاني للبرلمانيين ذوي الأصول اللبنانية، عند وصوله إلى البرازيل علق بري: إن كان صحيحاً أن من الأربع عشرة مليون لبناني في العالم سبعة منهم في البرازيل إذن تستحق زيارتي أن تقام، الاجتماع الذي ترأسه النائب نبيه بري والنائب البرلماني لويس إدواردو ماغاليانيس رئيس مجلس النواب البرازيلي وكذلك من أشهر المتحدرين من أصول لبنانية، وكذلك شارك فيه برلمانيون حضروا من اثني عشرة دولة.

ومن بين ارتباطاتٍ ولقاءاتٍ أخرى مع سلطاتٍ مدنيةٍ ودينيةٍ استقبل نبيه بري من قبل الرئيس فرناندو إنريكي كاردوزو، الذي لفت في خطابه إلى العدد المعبر عن البرلمانيين وشخصيات عامة أخرى برازيلية تعتبر أن لبنان وطناً بعيداً آخر لها.

في وقت الحدث كان المؤتمر الوطني يضم أكثر من 40 برلمانيًا من أصل لبناني بين النواب وأعضاء مجلس الشيوخ، وكانت أربع ولايات يحكمها أعضاء من الجالية، إلى جانب العديد من رؤساء البلديات، وفي تموز عام 1997 حدثت زيارة مهمة ومثيرة للنائب وقتها ورئيس مجلس النواب في البرازيل ميشيل تامر الذي جذوره اللبنانية من بتعبورة / الكورة شمال لبنان، بدعوة من نظيره نبيه بري، كان تامر مصحوبا بوفد من نواب المجموعة البرازيلية اللبنانية، ريكاردو عازر وجورج تادو مودلن ونيلسون أوتك ونيلسون تراد ولويس كارلوس حولي.

استقبل البرازيليون رسمياً وبتشريفٍ عسكريٍ من قبل النائب نبيه بري يرافقه وزير الداخلية ميشيل المر وبمجموعةٍ من البرلمانيين اللبنانيين، في المطار احتفى النائب نبيه بري في خطابه بالحكومة البرازيلية مشيراً إلى دعم البرازيل للقرار 425 للأمم

المتحدة الذي اشترط الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، استحضر بري الروابط البرلمانية بين الدولتين ذاكراً أنَ المؤتمر الثاني كان قد نظم منذ سنة (في العام الفائت).

رئيس الجمهورية المستقبلي ميشال تامر، بالإضافة إلى ذكره 45 نائباً وخمسة من أعضاء مجلس الشيوخ من أصل لبناني كانوا جزءًا من المؤتمر الوطني البرازيلي، سلط الضوء على عاطفته زيارته للبنان لأول مرة بعد أن غادر والديه البلاد للمجيء إلى البرازيل.

عُقد المؤتمر الدولي الثالث للبرلمانيين اللبنانيين في بيروت في نيسان 1998، وحضر الاجتماع السيناتور رامز ثابت والنواب نيلسون طراد وروبنز كوساك وماركو أنطونيو ناصيف أبي شديد ولويز فرناندو نيكولاو وجاندیرا فيغالي وبيدرو إيف سيماو وجميعهم من أصلٍ لبنانيٍ، في نهاية نفس العام، سافر النائب ريكاردو إيزار إلى بيروت من أجل تنصيب الرئيس المنتخب إميل لحود.

في السنوات الأخيرة، تجدر الإشارة إلى أن مجموعة من اللبنانيين في عام 2010 تشكلوا من قبل السيد ريناتو أمارى، رئيس المجموعة البرلمانية الذين قابلهم رئيس الجمهورية ميشال سليمان والأمين العام لوزارة الخارجية السفير وليام حبيب، ونواب لبنان من مجموعة الصداقة اللبنانية البرازيلية، كذلك ذهب السيناتور ادواردو ماتارازو سوبليسي إلى لبنان في كانون الثاني من العام 2012 للمشاركة في «الاجتماع رفيع المستوى حول الإصلاحات والانتقال الديمقراطي» الذي نظمته لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا).

كان السناتور أحد أكثر الأصوات نشاطًا ومشاركةً في الاجتماع الذي حضره الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون. المستشار التركي أحمد داود أوغلو، وزير الخارجية التونسي رفيق عبد السلام، المستشار البلغاري نيكولاي ملادينوف، والرئيس السابق لجامعة العربية عمرو موسى، الرئيس السابق لتشيلي ميشيل باشيليه، الرئيس السابق لسيراليون أحمد تيجان كباح، رئيس لاتفيا السابق فايرا فيكي فريبرجا،

الرئيس السابق لموريتانيا علي ولد محمد فال، رئيس الوزراء اليمني السابق عبد الكريم العرياني، مستشار تشيلي السابق والمبعوث الخاص السابق للأمم المتحدة في هايتي خوان جابرييل فالديز وكذلك العديد من الشخصيات السياسية المحلية والإقليمية والدولية.

في هذه الأجواء كانت لدى سوبليسي الفرصة لتبادل الخبرات بشكل تفاعلي ونشط مع قادة من مناطق مختلفة من العالم، فضلا عن منح القيام بمقابلات وسائل الإعلام اللبنانية مما أسهم بكل تأكيد في انتشار صورة البرازيل في البلاد.

وأخيراً، يجدر تسجيل المشاركة البرازيلية الفاعلة في الإصدارات المتعددة لمؤتمر «الطاقة الاغترابيَة اللبنانيَة» مشروعٌ أطلقه الوزير اللبناني جبران باسيل في عام 2014 بعد توليه وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين، وكان هدفه إقامة منتدى دوري مخصص لزيادة الروابط بين لبنان وبين شتاته، إن الدافع لزيادة التفاعل بين الجاليات اللبنانية في الخارج وبلدها الأم لا ينبع ببساطة من توليه المؤسسية عن المحفظة المسؤولة عن ملف المغتربين، ولكن أيضا عبر الصيغة الموصى بها من رئيس الدولة العماد ميشال عون الذي يسعى لإيجاد صيغة يلعب المهاجرون فيها دورا أكثر وعيا وديناميكية في لبنان ما بعد الحرب الأهلية و بعد الوصاية السورية.

شارك رجال الأعمال والبرلمانيون البرازيليون بحيوية في جميع قضايا المؤتمر حول إمكانيات المهجر، الوفد البرازيلي كان الأكبر بينها جميعا، كان من دواعي سروري الانضمام إلى الوفد الذي ذهب إلى هذا الحدث في عام 2015.

الوفد الذي حضره أكثر من خمسين شخصاً، ضم كذلك نواباً فيدراليين جاندیرا فغالي، وريكاردو عازر، وسيزار حلوم، وجورج تادو مودالن وبيتو منصور، في افتتاح المؤتمر الذي استقبل حوالي 1200 متحدث من الشتات اللبناني، من 73 دولةٍ، ضعف عدد ضيوف المؤتمر الأول الذي جرى عام 2014، تمكنت حينها من مساعدة الوزير جبران باسيل لمناصرة فكرة اللبنانية، مفهوما عبر الرابط الثقافي القائم

بين عامة الناس من أصلٍ لبنانيٍ حول العالم أجمع والوطن الأم، منسجمين باستمرار مع السياقات الاجتماعية التي تحتفي بهم في الخارج.

في جلسة المؤتمر الأولى، المخصصة للمسارات الناجحة لأعضاء الجالية اللبنانية في الخارج، استطعت على حد سواء أن أرحب بمساهمة الممثل ريكاردو عازر، الذي لخص خبرته الفردية والمهنية، إضافة إلى تعزيزه وجهة نظر «اللبنانية» للتأكيد على أنه طوال حياته المهنية كشخصية عامة كان باستمرار يلزم نفسه بلبنان كمرجعية ثقافية وعائلية ذات صلة، واختتم البرلماني بالتعبير عن التزامه بتطبيع العلاقات بين البرازيل وهذا البلد.

وفي اختتام المؤتمر، سلط الوزير باسيل الضوء على الطموح في صياغة حوار منظم بين البرلمانيين وغيرهم من السياسيين اللبنانيين أو ذوي الأصول اللبنانية على نطاق عالمي، وارتأى أنه لا بد من البدء في تنفيذ ممارسات التشاور العامة مع المهجر.

تم الاحتفال بالمؤتمر الثاني «إمكانيات المهجر اللبناني» في أيار من عام 2015، وكان الوفد البرازيلي المدعو للمؤتمر أكبر عما كان عليه في دورته السابقة للحدث، أتذكر أنه في البرنامج المكثف الذي اتبعناه، إضافة لاتصالات خلال المنتدى وعلى هامشه، شملت زيارة قام بها بعض أعضاء الوفد من البرلمانيين إلى رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، مرةً أخرى قدم هذا البرلماني الخبير لنا بادرة صداقة ونزوع لإقامة علاقاتٍ مع البرازيل، تمَ اتخاذ إجراءات غير متوقعة من جانبنا، والتي أسست للحظة ثمينة للدبلوماسية البرلمانية بين بلدينا.

أروي بتفصيلٍ، الاستماع بعناية إلى تعليقات الزملاء والزميلات حول النقص الحالي في الخطوط الجوية المباشرة بين البرازيل ولبنان، تحسس الرئيس بري عبر الهاتف حاكم مصرف لبنان المركزي رياض سلامة طالباً منه استقبالنا بأسرع وقتٍ ممكن لتحليل المسألة، يعتبر رياض سلامة شخصيةً رائدةً في مجال الخدمات الجوية في لبنان لأنَ شركة الخطوط الجوية اللبنانية تعود إلى شركة طيران الشرق الأوسط وجميع

أسهمها تقريباً تحت حيازة المصرف المركزي اللبناني، الأمر الذي يجعلها في واقع الأمر شركة طيرانٍ عائدة للدولة.

وبالفعل، وبفضل المساعي الحميدة للأستاذ نبيه بري، فقد تمكنا من الوصول إلى كبير صانعي القرار بشأن مسألة الاتصالات الجوية، ومع خالص التقدير زود الحاكم سلامة الوفد البرازيلي بكل التفاصيل الفنية المتعلقة بجدوى خط بيروت ساو باولو والذي بدأ العمل به في العقد الأخير، ووعد بتحديث الدراسة التي أصدرتها شركة طيران الشرق الأوسط والتي أشارت إلى إيجابيات وسلبيات إعادة هذه الخدمة، الذي تم باستنتاجاتٍ ذات موضع ترحيب، لا تزال خطوط طيران الشرق الأوسط تفتقر إلى الموارد اللازمة للحفاظ على مسارها عبر الأطلسي، وهذا مناسب بالنسبة لعاصمة ولاية ساو باولو وكذلك بالنسبة إلى نيويورك وغيرها من النقاط في نصف الكرة الأمريكي.

في المؤتمر الثالث للطاقة الاغترابية اللبنانيَة، والذي عقد في أيار من عام 2016، جمع أكثر من 2000 ممثل للجاليات اللبنانية في الخارج من 88 دولة، وهو ما تجاوز الرقم القياسي الذي بلغه العام السابق، وكما في الدورتين الأوليتين، برز الوفد البرازيلي على أنه الأكبر من نوعه، مرة أخرى كان لي شرف أن أكون جزءًا من مجموعة تضم 127 عضواً، من بينهم النائبان الاتحاديان أنطونيو جولارت، ويواكيم باسارانو، وخورخي تاديو مدومال، وروموولو غوفيا، بالإضافة إلى النائب عن ولاية ساو باولو بيدرو توبياس.

في الخطاب الافتتاحي للمؤتمر، عزز الوزير باسيل المفهوم الدقيق لل (اللبنانية) في دورتيه الأوليتين، وأعرب عن عزمه على التنفيذ الفعال للقانون المتعلق باسترداد الجنسية والمبرم في عام 2015، بعد خطاب الوزير باسيل كان لي شرف أن أغتنم هذه الفرصة لأذكر مركزية نائب الرئيس البرازيلي آنذاك ميشال تامر، والذي كان فعلياً

حينئذٍ في منصبٍ كرئيسٍ للجمهورية، سعياً لتكثيف العلاقات بين البرازيل ولبنان، نظرا لأصوله اللبنانية.

في هذه المناسبة، اتصل بي ممثلون من مكتب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في بيروت، يرغبون مساعدتي في اختيار «سفير النوايا الحسنة» في المهجر البرازيلي، والذي سيتمكن مع انتقاله في بلدنا بغاية جمع التبرعات لدعم مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية في لبنان، أعتقد أن الفكرة جيدة جدًا وآمل عما قريب العثور على مرشحا ملائم وفق التصور الذي قدمه البرنامج.

في ختام المؤتمر الثالث «الطاقة الاغترابيَة» ألقى ممثل المجلس التشريعي لولاية ساو باولو بيدرو توبياس نيابةً عن إدارة حكومة الولاية، وأكد أنه سيتم توفير جميع التسهيلات لتنظيم المؤتمر الإقليمي لأمريكا اللاتينية الخاص بالمغتربين في ساو باولو والذي سينطلق في نهاية العام نفسه.

في الواقع دعمت الحكومة البرازيلية منذ البداية مبادرة وزارة الخارجية والمغتربين في الجمهورية اللبنانية، بما في ذلك المساعدة في تنظيم بعدها الإقليمي، عقد المؤتمر الأول «إمكانات شتات أمريكا اللاتينية» في ساو باولو في أكتوبر عام 2016 بمشاركة الرئيس ميشال تامر وعدد من وزراء الدولة، ساهمت البرازيل في جدولة أعمال الاجتماع وكشف إنجازاتها لكل من الضيوف والسلطات، بالنسبة للبرازيل كانت مبادرةً إيجابيةً لتعزيز العلاقات الثنائية مع لبنان لا سيما عبر تفعيل واحد من أكثر عناصرها الحاضرة والديناميكية (المهجر)، إلى جانب البعد السياسي للمؤتمر الذي يمكنه أن يساعد في الجهود المبذولة لتعزيز العلاقات الثنائية في هذا المجال، وكمثال على ذلك اقترن المؤتمر بزيارة وفد كبير من رجال الأعمال اللبنانيين إلى البرازيل.

عقدت الدورة الرابعة من المؤتمر في أيار من عام 2017، وحضرها حوالي 2000 مندوب من أكثر من 70 دولة، الوفد البرازيلي الذي تألف من حوالي 320 عضوًا (مرةً أخرى بعددٍ أكبرٍ من المؤتمرات السابقة)، ترأسه رئيس مجلس النواب

رودريغو مايا، وتألف أيضا من روبنز بوينو وسيزار حلوم وماريو هرينج وحماه أبراو وإلمار ناسيمنتو وألكسندر بالدي وخورخي تادو مودالن، التقت المجموعة خلال جدول أعمال الاجتماعات مع الرئيس اللبناني ميشال عون ومع رئيس الوزراء سعد الحريري كما جرى بالتوازي مع اختتام فعاليات المؤتمر إحياء ذكرى الصداقة بين البرازيل ولبنان بحضور أكثر من 3 آلاف شخص.

3. خاتمةٌ:

مقالتي الصغيرة حول تاريخ العلاقات بين البرلمانيين والسياسيين البرازيليين الآخرين، من أصل لبناني أم لا، مع بلد الأرز، بعيدا عن الرغبة في أن تكون شاملة لا نعتزم إلا إيضاح القيمة الدبلوماسية البرلمانية والاتحادية لتعميق الحوار مع هذه الدولة الشقيقة، والتي ستبقى دائما واحدة من المداخل الرئيسية للبرازيل، وأجرؤ على القول من أمريكا اللاتينية إلى الشرق الأوسط أنني على يقين من أن التزام الهيئة التشريعية البرازيلية بمهمة مضاعفة قنوات التواصل مع لبنان ملخصة أعلاه مع قائمة الرحلات والمبادرات من جانبنا ومن جانب المفوضين اللبنانيين، سيتم الفوز في السنوات القادمة من خلال المزيد من الأنشطة المكثفة والعديدة بين المشرعين بين كلا البلدين.

حرب 2006

سيرجيو إدواردو موريرا ليما*

يمثل هذا المقال وجهة نظر بناءً على تجربتي كسفيرٍ في إسرائيل من 2003 إلى 2006 فيما يتعلق بما يسمى بحرب لبنان الثانية أو ببساطة حرب 2006، في الواقع لم تكن الحكومة اللبنانية طرفاً في هذا الصراع بل ميليشيا حزب الله الشيعية، التي تأسس جناحها المسلح على المنطقة الحدودية مع إسرائيل، أشعل الصراع هجوم على مركبةٍ إسرائيليةٍ تقوم بدوريات على الحدود واختطاف جنديين منها، فردت طائرات حربية تابعة للقوات الجوية الإسرائيلية من طراز أف 15 على الهجوم وأدى ذلك إلى تصعيد النزاع، الأمر الذي كان محتملاً لأن يكون مجرد مناوشة أخرى قد تحول إلى حملة عسكرية مكثفة استمرت 34 يوماً، وتسببت في تدمير فوري للبنية التحتية في لبنان، ووفاة عدد كبير من المدنيين اللبنانيين، وازدادت الحاجة إلى تعزيز إجلاء المواطنين البرازيليين من بين آخرين يعيشون في سهل البقاع على الحدود اللبنانية مع سوريا، في وقت مبكر من القصف الإسرائيلي، أصبحت عائلة من البرازيليين في جنوب لبنان أول حالة قتل فيها مدنيون برازيليون في صراعٍ عسكريٍ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ومن الجانب الإسرائيلي فاجأ عدد الصواريخ التي أطلقها حزب الله من الحدود اللبنانية، والتي وصلت إلى القرى وهددت مدناً في محيط بقرب من تل أبيب.

من منظورٍ أكثر من عقدٍ، وإن كان هناك درس يمكن استخلاصه من هذه الحلقة من الصراع في الشرق الأوسط، هو أن الوضع الراهن الذي بات شرعياً

* سفير ورئيس مؤسسة آليشاندري دي غوسماو.

وأخلاقياً لا يعتبر مقبولاً ويمثل صراعاتٍ جديدةٍ بأسلحةٍ أكثر قوة بحيث يخلق معضلةً إقليميةً متزايدة الأهمية للسلم والأمن الدوليين.

قدّمتُ أوراق اعتمادي كسفيرٍ للبرازيل في إسرائيل في آذار 2003 قبل أيامٍ من اندلاع حرب العراق، في ذلك الوقت مرت الاستحابة بشكلٍ تراكميٍ للتمثيل الدبلوماسي للأراضي الفلسطينية المحتلة، بين شخصيات تاريخية مثل آرييل شارون شيمون بيريز من جهة ، ياسر عرفات ومحمود عباس من جهة أخرى، كانت فترة من التغييرات في إسرائيل لا سيما سياسياً مع نهاية الانتفاضة الثانية والضعضعة الحادثة للمتطرفين، تأسس حزب كاديما سنتر مع أعضاء محترمين يمنيين ويساريين مثل شارون (من الليكود) وبيريز (من حزب العمل)، لقد كان انسحاب المستوطنين اليهود من قطاع غزة في عام 2005 إنجازا رمزيًا أعطى أملاً في الاستمرار بإنهاء الاحتلال وخلق ظروف مواتية لاستئناف عملية السلام، لكن هذا التطور لم يحدث، شارون الذي بات خلافاً لجميع التوقعات الضامن لإخلاء غزة وتسلسلها الممكن انتهى ضحيةً لسكتةٍ دماغيةٍ وحل محله رئيس بلدية القدس السابق ونائب رئيس الوزراء ايهود أولمرت، الزعيم العمالي عمير بيرتس، الذي يتمتع بالكاريزما لكنه عديم الخبرة، إن الإشغال المتزامن لهذه المناصب الرفيعة من قبل مدنيين ليسوا على درايةٍ بالتحديات العسكرية الشائعة في تاريخ إسرائيل الوعر سيحفز الفصائل العربية المتناحرة سواء على الحدود مع قطاع غزة أو مع حماس وعلى الحدود مع لبنان كميليشيا حزب الله لاختبار تصميم القيادة السياسية العسكرية الإسرائيلية الجديدة، في ذلك الوقت كانت هناك تكهنات حول وجود خطة استراتيجية من قبل إسرائيل لإضعاف حزب الله والسيطرة على تدفق الأسلحة والمساعدات من أولئك الذين يعتبرون مموليهم الرئيسيين سوريا وإيران.

عنت الحروب التي رافقت تشكيل الدولة اليهودية أن إسرائيل مستعدة دوما للدفاع ضد أي هجوم، باتخاذها لتدابير وقائية أو بإشارة منها إلى خصومها، وأحيانا وبشكل غير تقليدي وفي تحد للقانون الدولي استعدادها أو نيتها الحازمة في الرد،

كتكتيك لردع العدو، قلقت سلطات الدفاع الإسرائيلية بشأن إعادة تجهيز الميليشيا اللبنانية مع مزيدٍ من الأسلحة الفتاكة وبالتعبير المفترض بدعمٍ إيرانيٍ ومن جبهاتٍ أخرى، كما كانوا يخشون من دخول أسلحةٍ إيرانيةٍ أكثر تطوراً إلى غزة عبر أنفاق سرية على الحدود مع مصر، بحيث يتم تهريبها بمساعدة سوريا.

كانت إسرائيل تشعر بالقلق من التحرك المتزامن لكل من حماس[1] وحزب الله، والذي من شأنه أن يفتح في وقت واحد جبهتي لقتال شمالاً وجنوباً، وأن يستفز تأثير هذه الأسلحة الجديدة على الشعور بالضعف أمام العامة الإسرائيليين.

نتذكر الاضطراب الحاصل في إسرائيل حين تم القبض على المقاتلين الفلسطينيين على الحدود مع غزة، في 25 من حزيران برقية الإسرائيلي جلعاد شاليط والتحليق الجوي للقوات الجوية الإسرائيلية والذي استمر لثلاثة فوق القصر الصيفي للرئيس السوري بشار الأسد كتحذير لتعاونه المزعوم مع حماس ورسالة حول ضرورة إطلاق سراح الرهينة العسكرية.

مع أن الغرض من غرس الخطر عبر نشاط موحد ضد إسرائيل قد تحقق إلى حد ما من قبل أعداء جيش الدفاع الإسرائيلي[2]، النتيجة طويلة المدى لهذه المخاصمات والإثارات والصراعات الجدية ولّدت في نهاية المطاف واقع إضعاف مشروع تعزيز القوة في قلب الطيف السياسي الإسرائيلي[3] الذي من شأنه دعم عملية

1 كانت حركة حماس قد نجحت في الانتخابات التشريعية للسلطة القومية الفلسطينية يناير/2006، مما أدى الى شرعية سيطرتها على قطاع غزة.

2 واسمه بالعبراني "Tzahal".

3 في نوفمبر 2005، ترك ارييل شارون، رئيس الوزراء الإسرائيلي، الليكود وأسس حزبا جديدا وسطيا اسمه Kadima (الى الامام بالعبراني)، بتأييد بعض مناصريه اليمينيين واليساريين، بشكل خاص من حزب العمل التابع لشمعون بيريز. كان الهدف من تاسيسه التخلص من عدم الاستقرار السياسي التي سببته تطلبات اليمين فتفتح الفرصة لاتخاذ مواقف تقود الى استعادة عملية السلام. إيهود الميرت، الذي خلف شارون، تعهد بأن ينسحب من 80% من الضفة.

السلام، مما يسمح لها بالتقدم من دون شارون، وفي مواجهة تصاعد النزاعات في غزة مع حماس، وعلى الحدود اللبنانية مع حزب الله، فإن مشروع الائتلاف السياسي مع كاديما وحزب العمل سيكون محكوماً عليه بسوء السمعة وفقدان الدعم الشعبي.

في ظل هذه الظروف من الشكوك المتعلقة بقدرة الائتلاف الذي يعتبر المركز اليساري نظراً للوجود العمالي، وعلى الرغم من وسمه أكثر بالديمقراطية الاجتماعية لقيادة البلاد وضمان أمنها، فإن الظروف السياسية ارتأت العودة إلى فترة طويلة من انتشار اليمين المتطرف، من شأن هذا التطور أن يزيل احتمال استئناف عملية السلام، وهو ما يعوقه تعميق الانقسام بين فتح وحماس على الجانب الفلسطيني.

في حزيران من العام 2006، كنت أستعد لشغل منصب جديد عندما اندلعت الحرب مع حزب الله، استمرت 34 يومًا من التوتر وانعكس ذلك على المستوى الوطني حتى بالنسبة للجالية البرازيلية في لبنان، وتم المطالبة بإجراء مفاوضات مع السلطات الإسرائيلية لضمان مرور آمن للبرازيليين الذين غادروا لبنان.

كلياً خدمت لمدة أربع سنوات في السفارة البرازيلية في تل أبيب، شهدت خلالها تحدياتٍ وتغييراتٍ في كلٍ من دول المنطقة وفي علاقاتها مع البرازيل، مدعومةً أحياناً بعلاقاتٍ متينةٍ مع اليهود والعرب، ومعظمهم من السوريين واللبنانيين الذين هاجر أسلافهم إلى بلدنا، وذلك عندما كانوا جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وتشير تقديرات أقل تحفظاً في ذلك الوقت إلى أن هناك أكثر من 10 ملايين عربي وأحفادهم في البرازيل ونحو 150 ألف يهودي إلى جانب السفارديم الذين هاجروا كمسيحيين، حيث اعتقد أن الذين يعيشون في البرازيل من اللبنانيين وأحفادهم يشكل ضعف جميع اللبنانيين المنحدرين من بلاد الشام، تم تشكيل الأغلبية منهم من المسيحيين الموارنة، وفي الآونة الأخيرة من المسلمين الذين استقروا في بارانا وخاصة في منطقة فوز دو إيغواسو.

في حرب 2006 بدأ الصراع في 12 تموز بهجوم من قبل حزب الله المسلح على الحدود بين إسرائيل ولبنان، مما أدى إلى اختطاف جنديين إسرائيليين إلداد ريجيف وإيهود غولدفاسر، ومقتل ثلاثة آخرين، علاوة على آخرين جرحيين لا يمكن اعتبارهما مفصولين عن الحادثة أيضاً، صراع من مثل صراعات أخرى في المنطقة ظاهرة ومرتبطة بالقضايا المركزية وبالأسباب الجذرية للخلافات بين الإسرائيليين والعرب وعلى وجه الخصوص الفلسطينيون.

سبق وأن قال كانط إن الطبيعة تستخدم طريقتين في فصل الناس، اختلاف اللغة واختلاف الدين، مما يؤدي إلى خلق كراهية وحجج متبادلة للحروب، وبين اعتقاده بأن تقدم الحضارة سيسهم في فهم السلام الدائم بين الجميع.

يعتبر الشرق الأوسط فريداً من عدة نواحٍ، حيث ولدت الديانات التوحيدية (اليهودية والمسيحية والإسلام) وانتشرت عبر اللغات المحلية لشعوبها وأتباعها العبرية والأرامية والعربية واليونانية واللاتينية، مثل هذا الخضم توليفاً ثقافياً لمجموعة متنوعة من التقاليد والعادات القديمة، جزء من هذا الفسيفساء لبنان وهو إقليمٌ نشأ منه الفينيقيون القدماء، وحضارة تشكلت قبل 1500 سنة من العصر المسيحي، سكانها ذوو طوائف متعددة ومتنوعون من الناحية العرقية، تشكلوا من بين آخرين غيرهم، من المسلمين (الشيعة والسنة)، والمسيحيين (الموارنة والأرثوذكس اليونانيون) والدروز، وقد رسمت البلاد الفائزة بالحرب العالمية الأولى خريطة المنطقة بشكل تعسفي، في حالة فلسطين، تم تقاسم تلك الأراضي في دولتين، واحدة يهودية وأخرى عربية، وأطيع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، في جلسة ترأسها في عام 1947 وزير الخارجية البرازيلي السابق أوزوالدو أرانها.

لا يعتبر الشرق الأوسط مركزًا استراتيجيًا بسبب موقعه بين الغرب والشرق فقط، ولكن أيضًا لكونه مركزاً للاحتياطيات الضخمة للنفط، وهو منتج أحدث نقلة في العالم من نهاية القرن التاسع عشر، كذلك ويعتبر الشرق الأوسط مهدًا للقطع

الأثرية، وكان مسرحاً للنزاعات بين الحضارات التي ظهرت وبادت تاركة آثارها في سرد الكتاب المقدس والتاريخ.

الشرق الأوسط بؤرة التوترات العالمية المتغذية على الطبائع البدائية وعدم الثقة المتبادلة التي أشار إليها كانط، كما لو أن هذه المشاعر تخطت التقادم الحضاري دون التحول إليه، وذلك بعكس ما توقعه الفيلسوف الألماني، وللصراعات في المنطقة تأثيرٌ أكبر من أي وقت مضى على خطر الأسلحة الأشد خطورةً في الفضاء المادي المخفض، مما يشكل تحدياً وتهديداً متزايداً للسلم والأمن الدوليين.

خلال فترة الإمبراطورية العثمانية، شهد الشرق الأوسط فترات من السلام النسبي والتعايش المألوف بين شعوبها، يرمز النزاع التوراتي بين الفلسطينيين والعبرانيين، والمعبر عنه في الوقت المعاصر في النزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إلى معضلة الأرض المقدسة، لبسط سلطة الشريعة وحل أقدم نزاع حديث، وذلك ما يقابل الوضع الراهن وغيرالمقبول لتجاهل المبادئ والقيم المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة في حالة الاحتلال الإقليمي بالقوة، ويعاكس التطلعات من أجل استعادة الحق في تقرير المصير ومستقبل التفاهم والتعاون والسلام بين الشعوب المرتبطة تاريخياً وجغرافياً، والتي تمتلك قواسماً لإدماجها كدول ذات هوياتٍ وطنيةٍ وشرعيةٍ دوليةٍ.

على الرغم من التحولات والتقدم الحاصل في المنطقة، فلا تزال النزاعات الوطنية والطائفية والدينية تشكل تهديدًا للاستقرار العام مع تداعيات جيوسياسية وتحديات للقانون الدولي والقانون الإنساني، وذلك عقب الآثار المزعزعة للاستقرار لهجرة اللاجئين، العراق وسوريا وليبيا هي أمثلة بليغة عن هذا الخطر، والذي لوحظ أيضا في صراع 2006 بين إسرائيل وحزب الله في لبنان.

حرب لبنان 2006 لم تكن صراعاً بين اثنين من أصحاب السيادة، على الرغم من أن الحكومة الإسرائيلية اعتقدت بخلاف ذلك، كان نزاعًا بين دولة إسرائيل وحركة سياسية وعسكرية إسلامية حزب الله ، أسسها رجال الدين الشيعة عام

1982 لتعزيز المقاومة ضد غزو لبنان من قبل القوات الإسرائيلية، في وقت لاحق أصبح الحزب السياسي مرتبطًا بسوريا مع ذراع عسكرية على أطراف الدولة اللبنانية، الصراع الذي أسفر عن مقتل 1200 مدني لبناني، بما في ذلك سبعة من الجنسية البرازيلية، و 43 مدنيًا إسرائيلياً، بالإضافة إلى تدمير واسع لأحياء بيروت، يقع في سياق النزاعات التي تسم علاقة إسرائيل مع الجيران منذ تأسيس الدولة اليهودية في عام 1948 والحرب الأولى مع العرب من العام ذاته، تبعتها العديد غيرها، أزمة السويس 1956 ، حرب الأيام الستة 1967 ،يوم الغفران 1973، الحرب الأهلية في لبنان 1975، غزو جنوب لبنان 1978 ، غزو لبنان 1982، حدثت خلالها مجزرة صبرا وشاتيلا، وانسحاب القوات الإسرائيلية بعد تنصيب اليونيفيل في عام 2000.

الصراع بين إيران والعراق 1980-1988 ، حرب الخليج 1991، وحرب العراق 2003-2010 توفر مقياسًا لعدم الاستقرار الإقليمي وخصائصه المتقلبة بطبيعته، مع قدرة استثنائية لإشعال مشاكلهم في عالم ينكمش مع تقدم التكنولوجيا ووسائل الإعلام، وفي الآونة الأخيرة الشبكات الاجتماعية.

بدأت حرب 2006 بين إسرائيل وحزب الله في 12 تموز، وقد أجج من ذلك إلى حدٍ ما وزاده تصعيداً الانهيار السياسي للحكومة الإسرائيلية بسبب اختطاف غزة قبل أسابيع للعريف جلعاد شاليط، الذي كان يقوم بدوريات على الحدود الجنوبية لإسرائيل مع قطاع غزة، وأعرب عن قلقه من عدم وجود احتمال فوري لحل المشكلة التي أدت إلى ذلك الاضطراب الوطني، الحادثة على الحدود الشمالية كان من الممكن أن تمر في ظروف أخرى دون أن يلاحظها أحد وتسبب في بدء عملية روتينية أكثر لتداول السجناء بين الميليشيات وإسرائيل، ومع ذلك فإن افتتاح جبهة التوتر الثانية هذه يمثل تحديا للحكومة الجديدة لإثبات قدرتها على رد الفعل واستخدامه ليس فقط لمنع تدفق الأسلحة إلى حزب الله، ولكن أيضا للإشارة إلى

التكلفة العالية للإجراءات الاستفزازية، وتعزيز قدرتها الرادعة، بالإضافة إلى ما كان يمكن أن يبرهن على أن قادة إسرائيل في تلك اللحظة سيكونون صقوراً وليس حماماً، كما يتوقع خصومهم.

كان للرد الإسرائيلي تأثير عالمي فوري لأسباب عدة خصوصاً من الناحية القانونية والإنسانية والأخلاقية، أدى حجم أعمال القصف الإسرائيلية حتى على المناطق المأهولة بالسكان في العاصمة اللبنانية على الفور إلى التشكيك في مبدأ التناسب في استخدام القوة، حيث فوجئ الرأي العام العالمي بمدى ونطاق الهجمات على بيروت رداً على استخدام صواريخ كاتيوشا[4] من قبل حزب الله، وفاجأت الأمم المتحدة بسبب عجزها على فرض وقف فوري لإطلاق النار لتجنب المزيد من الوفيات والدمار، في مواجهة القوة الساحقة للقوات الجوية الإسرائيلية التي وضعت لبنان برمته تحت رحمته.

من أحد أهم أوجه التقدم في القانون الدولي للقرن العشرين هو القدرة من حظر القوة، وينص ميثاق الأمم المتحدة في الفقرة 4 من المادة 2، على المبدأ القائل بأنه «ينبغي على جميع الأعضاء (في المنظمة) أن يتجنبوا في علاقاتهم الدولية التهديد باستخدام القوة أو استعمالها ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي للدول، أو أي عمل آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة وهكذا فرض الميثاق قيوداً على قانون الحرب واللجوء إلى القوة أصبح جريمةً دوليةً يؤدي لعواقب وخيمة على الدولة العضو المخالفة، ويستثنى من القاعدة من له الحق في الدفاع عن النفس، على النحو المصرح به في المادة 51 من الميثاق الخامس[5]، ومع ذلك، فإن سلسلة الافتراضات

4 وهي طلاقات متعددة للصواريخ صنعها وطورها الاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية.

5 «لا شيء في هذا الميثاق يضر الحق الضمني والشرعي للدفاع الذاتي سواء كان فرديا أو جماعيا في حالة حدوث اعتداء مسلحا ضد أي عضو من الأمم المتحدة، لغاية ما يتخذ مجلس الامن الإجراءات اللازمة للمحافظة على السلام والامن الدوليين. إن الإجراءات المتخذة من طرف

لشرعية الاستئناف الاستثنائي في حال كانت الدولة ضحيةً لهجومٍ مسلحٍ ضد أحد أعضاء الأمم المتحدة وحتى يتمكن مجلس الأمن من اتخاذ التدابير اللازمة لصون السلام والأمن الدوليين، كذلك فإن ممارسة الدفاع عن النفس تفترض أيضاً متطلبات ذات طابعٍ زمنيٍ ومباشر، ويجب أن تستخدم القوة بالحد الضروري الأدنى لقمع الاعتداء وإلى أنْ يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لوقف هذا الاضطراب.

وهكذا حتى عندما يمكن تطبيق الدفاع عن النفس، فإن استخدام القوة من قبل الدولة المهاجمة مشروطٌ بمبادئ وقيم ميثاق الأمم المتحدة والقانون الإنساني، في حالة كهذه نوقش أن إسرائيل قد قدَرت شرعيتها في الدفاع عن النفس باستخدام القوة العسكرية لقواتها الجوية مع قاذفات بمعدات متطورة فرضت على لبنان خسائر غير عادية في الأرواح والأضرار المادية، خصوصاً في الظروف التي لم تكن فيها مسؤولية الحكومة اللبنانية في عمل حزب الله واضحة عندما هاجمت سيارات الجيب الجنود الإسرائيليين واقترحت تبادلاً للسجناء، كان هذا عملاً تطوعياً روتينياً في النزاع من قبل الجناح العسكري لحزب الله وبدون دعم من الحكومة اللبنانية، لكن هذه المرة تم تدبير الروتين المفترض بشكل خاطىء، وتفاجىء الجميع من رد الفعل الإسرائيلي.

أثارت حرب عام 2006 أسئلةً أساسيةً ذات طبيعةٍ سياسيةٍ وقانونيةٍ يمكن تفسيرها من وجهات نظر مختلفة وفقاً لمن هم في صدد تحليلها، إنَّ مقال «حرب لبنان الثانية: قانون الحرب وقضية التناسب» للأستاذ الألماني أندرياس زيمرمان[6] من جامعة بوتسدام يوضح ببلاغة، كالعديد من الدراسات الأخرى حول هذا الموضوع، تعقيد القضايا وصعوبة الأحكام القاطعة، من وجهة نظر وزارة الخارجية البرازيلية

الأعضاء القائمين بهذا الحق للدفاع الشرعي سيعلم بها مجلس الامن فورا، ولا يتوجب بأي شكل من الأشكال تمس بالسلطة والمسؤولية اللتين يمنحهما هذا الميثاق الى المجلس كي يقوم، في أي وقت، بالنشاطات التي يعتبرها لازمة للحفاظ على السلام والأمن الدوليين أو لإعادتهما.

6 Max Planck Yearbook of United Nations Law، ج 11، 2007، ص 141-99.

وسفارتها في تل أبيب، كان الشاغل الرئيسي هو تعزيز وقف إطلاق النار بهدف حماية المواطنين البرازيليين المتأثرين بالنزاع، وخاصة سكان سهل البقاع والمناطق المجاورة، لم يتم التعامل مع القضية من مبدأ كونها بعيدةً أو أكاديميةً، بل بالعكس فمنذ بداية الحرب دمرت التفجيرات الإسرائيلية المنازل والقرى التي تسكنها عائلات ذات جنسية مزدوجة، لبنانية وبرازيلية، ورد فعل المجتمع العربي في ساو باولو كان فورياً، مطالباً باتخاذ إجراءات من قبل السلطات الحكومية.

بمناسبة مجادلتي في مجلس الشيوخ، تمكنت من تقييم درجة اهتمام الكونجرس البرازيلي وخاصةً بقيادة برلمانيين من أصل عربيٍ ويهوديٍ، بشأن المساهمة التي يجب على البرازيل تقديمها دائماً لحل النزاع الإقليمي، عكس هذا الموقف ظروف التعايش والاحترام المتبادل بين المجتمعات العربية واليهودية في البرازيل، التعايش المتناغم والنموذج الثابت في قناعة لجنة العلاقات الخارجية والدفاع الوطني بمجلس الشيوخ والمسؤولة عن الموافقة على السفراء المكلفين بمناصب خارج القاعدة الأخلاقية علاوةً على المصالح الإنسانية، والتي تكمن وراء إجراءات البرازيل في هذا الشأن، في الجلسة المفتوحة وفي جزئها السري المغلق، شعرت بهذا الاهتمام الكبير لليهود البرازيليين والبرازيليين ذوي الأصول العربية في الأسئلة المحددة التي تمت صياغتها من قبل أعضاء الكونجرس للعلم بالقضية، ماذا يمكن اعتباره مهماً بالنسبة للبرازيل مما يحدث في الشرق الأوسط، من الوهم أن نفكر بطريقة أخرى، يجب أن تكون الدبلوماسية البرازيلية مستعدة بشكل فعال، إما لضمان إجلاء رعاياها من المناطق المتوترة أو للتجنب في حدود إمكانياتها وعلى أساس أعرافها، اندلا ع الصراعات وتفاقمها في المنطقة.

لهذا السبب، كانت وزارة الدفاع والشؤون الخارجية مهتمةً دوماً بما يحدث في بلاد الشام، ولم تكن أبداً غير معنيةٍ بأزماتها، ولا يمكنها أن تكون كذلك، ومن الأمثلة على هذا الاهتمام أمور منها:

1. في الرئاسة التاريخية لأوزوالدو أرانيا للجمعية العامة للأمم المتحدة، المقرر فيها تقسيم فلسطين[7]، (المطرقة المستخدمة من قبل الدبلوماسي البرازيلي والتسجيل الرسمي للأصوات موجودان في متحف برور شايل الصغير، والمعروف باسم الكيبوتس البرازيليين).

2. في حقيقة أن البرازيل كانت واحدة من أوائل الدول التي اعترفت بدولة إسرائيل في عام 1949.

في مشاركة البرازيل من 1956 إلى 1967 في قوة حفظ السلام في السويس، مع ما مجموعه 6204 من الجنود البرازيليين في ذلك الوقت، (حيث أن شعبية البرازيل في رفح في قطاع غزة على الحدود مع مصر، كانت من قبيل، أن تم تعميد الموقع من قبل فلسطينيي البرازيل، الحي البرازيلي).

في مساهمته عام 1967 كعضو غير دائم في مجلس الأمن في صياغة القرار 242 الذي وضع الأساس لمبدأ ''الأرض مقابل السلام»، علامةٌ بارزةٌ في عملية السلام وأساس مفاوضاتها.

3. الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي للشعب الفلسطيني في عام 1975.

4. عند افتتاح المكتب التمثيلي للبرازيل في رام الله من العام 2004، ودعوة البرازيل لحضور مؤتمر أنابوليس (ماريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية)، أحد آخر الاجتماعات الدولية الرئيسية للتفاوض على السلام في الشرق الأوسط في تشرين الأول من العام 2007.

7 لعب أوزفالدو أرانيا دورا مهما في الموافقة على القرار 181 الذي تم بموجبه تقسيم فلسطين الى دولتين، إحداهما عربية والأخرى يهودية، وحينها لم تزل المنطقة تحت الانتداب البريطاني. من الأصوات الموافقة، وعددها 33، كانت 13 منها من دول أمريكا اللاتينية.

5. في اتفاقية التجارة الحرة بين ميركوسور وإسرائيل، السارية منذ عام 2010، وذات الاتفاق لاحقاً مع الدولة الفلسطينية.

6. الاعتراف بالحكومة الفلسطينية من قبل الحكومة البرازيلية في عام 2010، إظهار الثقة في البرازيل من قبل كل من الإسرائيليين والفلسطينيين بدعوتهم لها لحضور مؤتمر أنابوليس إظهارً لتقدير المساهمة التي يمكن للبرازيل تقديمها بهدف حل المشكلات الإقليمية كلما دعيت من قبل الأطراف.[8]

ومن الأمثلة الأخرى على هذا الاهتمام بالسلام في الشرق الأوسط القيادة البرازيلية منذ عام 2011 لبعثة السلام التابعة لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، واستعادة رغبتها في المساهمة في التحديات الإقليمية التي تهدد السلام والأمن الدوليين، في ضوء كل هذه السوابق، لا يبدو من الصحيح تاريخياً أن نؤكد أن البرازيل ليس لديها استراتيجية توجه سياستها الخارجية تجاه المنطقة[9]، وقد تحققت هذه السياسة ولاحظت دائما المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة ولاحقاً كذلك في المادة 4 من الدستور البرازيلي لعام 1988، يبدأ عبر صيغة تسييرٍ ذاتيٍ شاملةٍ، وفق تعبير ريكوبيرو[10]، المعززة في الفترة بين 1974- 1979 والتي ميزت السياسة الخارجية البرازيلية منذ ذلك الحين، تكمن قوتها في التعايش المتناغم في البرازيل بين

8 لاحظ وزير الخارجية البرازيلي الأسبق سيلسو آموريم، في كتابه «طهران ورام الله والدوحة: ذكريات من السياسة الخارجية»، انطباعاته عن اللقاء المغلق الذي تم بينه وبين رئيس الوزراء اريل شارون في 31/5/2005، والذي نظمتُهُ أنا وشاركتُ به. قال آموريم إن ارفع قيادة إسرائيلية ترى البرازيل محاورا صالحا وقادرا على المساهمة في إيجاد حل للنزاع... (ص 181).

9 أمادو لويز سيرفو، في: نورما بريدا دوس سانتوس (تنظيم): البرازيل وإسرائيل: الدبلوماسية والمجتمع. برازيليا، دار نشر جامعة برازيليا، 2000، ص. 12-9.

10 روبينز ريكوبيرو، محاضرة القيت في معهد ريو برانكو، في مسارات دبلوماسية، منظم من قبل فوناغ، 2017.

المجتمعات الهامة العربية واليهودية في تقاليد الدبلوماسية البرازيلية في تطوير القانون الدولي لبناء التعددية في عالم تسود فيه قيم قانون العدالة في السلام والتعاون الدولي والاحترام المتبادل.

تصاعدت حرب 2006 مع حزب الله، صخب المجتمعات العربية، لم يكن فقط في البرازيل بل في العالم أجمع، وكذلك الاهتمام بمصير رعايا العديد من الدول التي تعيش في لبنان دفع الرأي العام الدولي إلى التشكيك في دور الأمم المتحدة في الحادثة، لم يدخر محللو العلاقات الدولية والمجالات الأخرى ذات الصلة أي انتقاد للفشل الظاهر لنظام الأمن الجماعي في مواجهة تأخر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في التداول في القضية ومنع المزيد من تصعيد النزاع، أدى اتساع نطاق أعمال سلاح الجو الإسرائيلي إلى حالة من الذعر في عدة مناطق في لبنان واضطرت العديد من الدول إلى القيام بسحب رعاياها للحفاظ على سلامتهم.

على الرغم من سجل التدخلات والصراعات الإسرائيلية في لبنان، وتصاعد حرب 2006، فإن كثافة تفجيرات سلاح الجو الإسرائيلي ومدى صواريخ حزب الله قد فاجأت حتى الدارسين الأكثر خبرةً، إن إستراتيجية الحظر الإسرائيلية، شملت بما في ذلك الموانئ البحرية ومطار بيروت والطرق والجسور الرئيسة، مما جعل الطرق الآمنة غير متوفرة للفرار من لبنان، الذي يقع على الحدود مع إسرائيل وسوريا وحدها، وبالإضافة إلى البرازيل، فقد التزمت بلدان مثل ألمانيا وأستراليا وكندا والولايات المتحدة وفنلندا وفرنسا واليونان وهولندا وإيطاليا والمكسيك والنرويج والمملكة المتحدة والسويد وفنزويلا والبرتغال بالحماية لمواطنيها، إما عن طريق القوارب إلى قبرص أو عبر الحافلات إلى سوريا، ثم إلى تركيا كوجهة نهائية لها، استمرار الهجمات على جنوب بيروت وأهداف أخرى في لبنان زاد من عدد القتلى والجرحى بين المدنيين، بما في ذلك قوافل اللاجئين، من جانبها أنتجت ميليشيات حزب الله وابلًا صاروخياً حقيقياً لشمال إسرائيل وصل للمرة الأولى إلى مدن العطلات مثل طبريا، لم تتمكن الدبلوماسية في

الأمم المتحدة من الإجابة حول الصراع، كوفي عنان نفسه الأمين العام السابق للأمم المتحدة قدم انتقادات مبطنة لكلٍ من الولايات المتحدة وإسرائيل، مديناً غلبة انحدار علاقاتهما الخارجية مقتبساً كلوزفيتز بأن الحرب ليست استمراراً للسياسة بوسائل أخرى، بل على العكس فهو يمثل فشلاً كارثياً للخيال وللمهارة السياسية[11].

في حالة البرازيل، فإن حقيقة أن التفجيرات الإسرائيلية الأولى في جنوب لبنان تسببت في مقتل أربعة مدنيين برازيليين اعتبرت صدمةً، ومما أدى إلى مزيدٍ من الاضطراب أنها كانت عائلةً متواضعةً ولديها طفلان، في مقابلة في 41 تموز[12]، أعرب وزير الخارجية سيلسو أموريم عن الشعور العام بالخسارة، وحذر من خطر انتشار الصراع في جميع أنحاء المنطقة، ودلّ عن استعداد الحكومة لإعادة المواطنين البرازيليين الذين كانوا في المناطق المعرضة للخطر، كما أشار الوزير إلى أن السفارة الإسرائيلية في برازيليا قد أصدرت مذكرة عزاءً تنعي فيها وفاة البرازيليين.

من الجدير بالذكر أنه في وسط وضع متوترٍ بالفعل في إسرائيل مع تفاقم الأحداث مع حماس في غزة، أدى هجوم حزب الله إلى قيام رئيس الوزراء إيهود أولمرت بالتأكيد على أنهم لايزالون في اليوم الثاني عشر: «إسرائيل تمر بأوقات عصيبة، يجري اختبارها من قبل أعدائها، وهي تقييم لعزمنا» (في إشارة منه إلى الجبهتين، مع حماس في قطاع غزة إلى الجنوب، و مع حزب الله على الحدود مع لبنان)، وحذر من أنهم سيدفعون «ثمناً باهظاً»، وذكر أن الهجمات «لم تكن فعلاً إرهابياً، لكنها تصرفات

11 تصريح إلى مجلس الامن لدى تبنيه القرار 1701، 11/آب/2006، في: عنان، كوفي. We The Peoples: A UN for the 21st Century. New York: Taylor & Francis, 2014, 181: "War is not – I repeat – the continuation of politics by other means. On the contrary, it representes the catastrophic failure of political skill and imagination".

12 جريدة O Estado de São Paulo، 14/7/2006.

دولةٍ ذات سيادة هاجمت إسرائيل دون سبب ''، هذه الرؤية لا تتوافق مع حكم الأعظمية من المحللين الأجانب والرأي العام الدولي، وأضاف أولمرت أن الحكومة اللبنانية، التي يشكل حزب الله جزءًا منها، ستحاول تقويض الاستقرار الإقليمي وسيكون لبنان مسؤولاً و «يجب أن يتحمل مثل هذه المسؤولية''، وكرر وزير الدفاع عمير بيريتس مسؤولية لبنان عن الحادث وطالب الحكومة باتخاذ إجراءاتٍ فوريةٍ لحل الأزمة، وعلى حد تعبيره فإن «الحكومة اللبنانية هي المسؤولة عن مصير الجنود الإسرائيليين ويجب أن تتخذ خطواتٍ عاجلةٍ لتحديد مكانهم وإعادتهم إلى إسرائيل».

بعد ذلك، أخبرني رئيس البرلمان الإسرائيلي رؤوفين ريفلين الذي تحدثت معه في ذلك الوقت أن الحكومة قد تلقت بالفعل من البرلمان جميع خطوط العمل من أجل استجابة حازمة وشاملة، وكان ذلك في بداية اليوم 34 من الحملة الجوية المكثفة.

مع تفاقم الصراع، أصبحت اتصالاتي أكثر تكراريةً مع كلٍ من وزارة الشؤون الخارجية البرازيلية وزميلي في لبنان إدواردو سيكساس، الذي تحدثت معه بشكل يوميٍ تقريباً عبر السكايب، في غياب أية وسيلة اتصالٍ متاحةٍ أخرى، وبذلك تمكنت من التحدث مع سفيرنا في لبنان وسماع أصوات التفجيرات شبه اليومية لمناطق عدة في بيروت بما في ذلك المساكن التي تعتبر ملاجئاً لقادة حزب الله الذي يعتبر حزباً سياسياً ويمتلك هيكلاً خيرياً ومساعدا.

ساعدتنا الاتصالات المتكررة على فهم الوضع والمخاطر المتعلقة بحماية المواطنين البرازيليين بطريقةٍ أفضل، في برازيليا تم تسليم المساعدة المقدمة إلى البرازيليين إلى السفير إيفرتون فارغاس، الذي اتصل بي في وقت مبكرٍ خلال عملياته لتبادل الأفكار والمعلومات، في لبنان، تم تنسيق عملية الإخلاء من قبل القنصلية العامة بدعم من مكتبٍ مخصصٍ في سهل البقاع.

كان معظم البرازيليين من المواطنين الذين يحملون الجنسيتين، والذين يتعين إجلاؤهم يسافرون إلى سوريا عن طريق أقرب وأقصر طريقٍ والذي يمكن القيام به في

أقل من ساعة ومع ذلك فمنذ 17 تموز، أوصت الحكومة الإسرائيلية بطريق مختلفة أطول وأكثر استهلاكاً للوقت، ولكنها تعتبر آمنة من قبل قوات الدفاع البرازيلية.

في اجتماع لمناقشة هذه المسألة، أوضحت القوات المسلحة الإسرائيلية للملحق الدفاعي البرازيلي أن أي مسارٍ بخلاف ذلك المشار إليه سيتعرض لخطر الإصابة من قبل طائرات سلاح الجو الإسرائيلي، تواصلت على الفور مع وزارة الشؤون الخارجية البرازيلية ومع زملائنا في لبنان بشأن المعلومات، كنا جميعاً قلقين من أجل تجنب أي تهديدٍ محتملٍ لحياة البرازيليين المغادرين في قوافل منظمة في الموقع من قبل مكتب سهل البقاع بالتنسيق مع القنصلية العامة، كان هناك في البداية من جانب البرازيليين والقنصلية العامة نفسها تردُّ في اعتماد الطريق الآمن الذي أشارت إليه الحكومة الإسرائيلية، لكن تم التغلب على هذا التردد مقابل المخاطر الجسيمة،

كانت القوائم التي تحمل أسماء البرازيليين وبيانات الحافلات والسائق تسلم من قبلي عادة عند الفجر، حيث أن مغادرة القوافل كانت تتم في حوالي الساعة السادسة صباحاً، وإلى جانب الإحداثيات الجغرافية التي تسمح بتحديد موقعها بدقة، إلى جانب رقم تسجيل الحافلات التي تحمل العلم البرازيلي على سقفها لتسهيل مرور هويتهم.

وعلى الرغم من الاحتراف الذي تم به إعداد ونقل المعلومات، فإن التوتر والحاجة الملحة لأن تكون السلطات الإسرائيلية على يقين تام من أن هذه المركبات لن تستهدف من قبل القاذفات ولد احتكاكات لا مفر منها.

كانت تلك الفترة فترة ليال صافية، وكوابيس في الساعات القليلة التي ينام فيها المرء، حتى تمرير البيانات إلى السفارة في أوقاتٍ مختلفةٍ من الليل وغالباً فجراً، من هناك كانت تتم مهمة إعداد الاتصال إلى مركز مراقبة عمليات سلاح الجو الإسرائيلي، والتحقق من القيادة المناسبة عبر الهاتف

إذا كان كل شيءٍ واضحاً ومحاولة الحصول على كلمة يقين أنه لن يكون هناك أية حوادث.

في اجتماع مع البرازيليين في الخارج، في عام 2016 نظمت من قِبل وزارة الخارجية، بدعم من مؤسسة ألكسندر دي غوسماو، صادفتني امرأةً برازيليّةً متزوجةً من لبناني، سبق وأن كانت مع أطفالها وزوجها في إحدى تلك الحافلات، استطعت سماع التقرير الشخصي المباشر لأحد أعضاء تلك القوائم من الأسماء بدون وجوه كانت تلك هي المرة الأولى التي أقابل فيها أحد هؤلاء الأشخاص، والذين كانوا حتَى ذلك الوقت مجهولي الهوية، أخبرتني عن المأساة التي عانت منها والقلق من قدرتها على الرحيل دون أن تصاب بأذى مع عائلتها في تلك المغامرة الحزينة التي اضطر فيها عدة مئاتٍ من مواطنيها إلى مغادرة لبنان، عندما أخبرتها بوجهة نظري حول القصة تعانقنا كلينا بانفعالٍ، شعرت في تلك اللحظة ببعد المأساة، والذي كان من الممكن أن يعزيني هو الإصرار على سلامة القوافل بسبب الكثير من الانتهاكات في التعامل مع السلطات المحلية.

وتشير التقديرات إلى أن حوالي 1200 من اللبنانيين المقيمين، معظمهم من المدنيين و 159 إسرائيلياً معظمهم من الجنود، كانوا ضحايا لهذه الحرب، في الواقع جعلت إسرائيل لبنان والمجتمع الدولي يدفع أسعارً باهظةً لقاء أفعال حزب الله، وقصفت إسرائيل معاقل للمليشيات في بيروت وجنوب لبنان باستخدام الطائرات والسفن الحربية وقطع المدفعية، في المقابل يقدر أن حزب الله أطلق حوالي 4000 صاروخ على شمال إسرائيل، في تصريحاته للصحافة حمَل الرئيس الأمريكي آنذاك جورج دبليو بوش، الحكومة السورية مسؤولية استخدام نفوذها مع حزب الله لوضع حد للنزاع، بينما قصف سلاح الجو الإسرائيلي الجسور والطرق المؤديَة قرب حدود لبنان الشرقية مع سوريا، والعديد من الأهداف الأخرى في الأراضي اللبنانية.

كان ذلك بمثابة تحذيرٍ آخر لسوريا بسبب دعمها لكلٍ من حزب الله وحماس، حيث كان زعيم حركة المنفى الفلسطينية خالد مشعل لا يزال يعيش في سوريا خلال تلك الفترة، حيث عزت إسرائيل بسبب ذلك المسؤولية الأكبر عن أسر جلعاد شاليط، كانت هناك تقارير في إسرائيل تشير إلى أنَ عناصر من الحرس الثوري الإيراني كانوا سيساعدون في الهجمات الصاروخية على السفن الحربية الإسرائيلية بالقرب من بيروت، والتي أسفرت عن وقوع إصابات في الوحدة البحرية في تاهال، مدنيون إسرائيليون وآخرون لبنانيون يعيشون بالقرب من الحدود انتهوا ضحايا لتبادل إطلاق النار، ووفقاً لمحاوري، فإنَ القصف الإسرائيلي كان دائماً ما يكسر الهدوء المؤقت في بيروت، حيث كانت الطائرات الحربية الإسرائيلية تستهدف مجدداً أحياء جنوب العاصمة، وكان من الممكن أن يُرى على شاشة التلفزة الانفجارات التي هزت الأفق عندما استهدفت الطائرات الحربية الإسرائيلية مبانٍ مرتبطةٍ بمقر حزب الله في حارة حريك.

لم تكن الحوادث المتصلة والناجمة عن الجيش الإسرائيلي بالقليلة، ففي 25 من تموز 2006، أربعة أعضاء من هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة في لبنان يحملون الجنسية النمساوية والصينية والفنلندية والكندية، قُتلوا في غارةٍ جويَةٍ مفاجئةٍ لجيش الدفاع الإسرائيلي على مركز مراقبةٍ للأمم المتحدة في جنوب لبنان، ودفع الهجوم بردَ فعلٍ قويٍ من الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك كوفي عنان، الذي عبَر عن صدمته، واقترح أنَه كان هجوماً متعمداً في ضوء التصريحات التي أدلى بها الأمم المتحدة لضابط الارتباط الإسرائيلي، فيما بعد أظهر مزيداً من الحذرعند تلقيه اتصالاً من رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت الذي أوضح عن مظاهر ندمٍ ووعودٍ بالتحقيق، اعتبرت الرواية الاسرائيلية أن الحادث قد انقضى على مقربة من محطة قاذفات صواريخ لحزب الله، وباختصار كان موظفو الأمم المتحدة ضحيةً لتبادل إطلاق النار، وأعربت السلطات

الكندية بدورها عن عدم تصديقها بأنَ الهجوم قد وقع مع سبق الإصرار على أفراد القوة الأمميَة الإشرافية، وأشارت إلى أن الحكومة الإسرائيلية تتعاون في جهود لإخلاء مواطنون كنديون من لبنان، إلا أنَ المسؤولين الصينيين والنمساويين أدانوا الهجوم وطالبوا بتوضيحاتٍ واعتذاراتٍ، وأعرب المتحدث باسم الدولة الإسرائيلية عن أسفه لوفاة موظفي الأمم المتحدة جنوبي لبنان.

وقال إنهم ليسوا أهدافاً وأنَ إسرائيل بدلاً من ذلك شاركت في هذا جهد إجلاء رعايا دولٍ أخرى، في أعقاب تحقيقٍ داخليٍ شددت الأمم المتحدة على أنَ إسرائيل وجميع الأطراف المعنية عليها التزام بالامتثال لقواعد القانون الإنساني الدولي فيما يتعلق بحماية موظفي الأمم المتحدة.

كانت هناك أيضا العديد من الحوادث التي امتدت حتَى إلى قوات اليونيفيل، بما في ذلك حادثٌ أسفر عن إصاباتٍ خطيرةٍ لدى جندي هندي نتيجةً لهجمات دباباتٍ إسرائيليةٍ، بالإضافة إلى آخرين نتيجة عمليات مقاتلة تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي، وهكذا كانت المخاطر حقيقية وذات مغزى.

وعلى الرغم من محادثات الأمم المتحدة، في اجتماع مجموعة الثمانية في سان بطرسبرج في روسيا، والجلسات الطارئة لوزراء جامعة الدول العربية في القاهرة، إلا أنَ علامات التقدم الدبلوماسي بقيت شحيحة وعابرة، أجَج الصراع من القلق المتزايد من الاضطراب الذي لا يزال يزعزع الاستقرار في المنطقة بشكلٍ كبيرٍ.

بعد الكثير من الدَمار وأكثر من شهرٍ من التوتر المتزايد، حقق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أخيراً، في 11 من آب، الموافقة على القرار 1701 الذي حدد وقف إطلاق النار وشروط الحفاظ عليه.

في مذكرة من وزارة الخارجية، بتاريخ 14 من آب عام 2006، رحبت الحكومة البرازيلية بالإجماع بتبني القرار المذكور، والذي حثَ كلاً من إسرائيل وحزب الله على وضع حدٍ للأعمال العدائية، وأعربت عن ارتياحها وأملها في أن يكون وقف إطلاق النار ساري المفعول من نفس اليوم، وأعربت عن ثقتها في أنَ القرار يمكن أن يمهد الطريق لقيام سلامٍ تفاوضيٍ وعادلٍ ودائمٍ بين إسرائيل ولبنان، وتماشياً مع تقليد التسوية السلمية للمنازعات، أيدت البرازيل الجهود الدبلوماسية الرامية إلى التوصل إلى وقفٍ لإطلاق النار، رغم أنها لم تشكل جزءاً من مجلس الأمن، وتمكنت من متابعة المفاوضات ذات الصلة قدر الإمكان.

وفي مذكرتها، ذكرت وزارة الخارجية أنه في 3 أغسطس، بعث رئيس الجمهورية البرازيلية برسائل إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى رؤساء دول أو حكومات الدول الأعضاء الدائمة وإلى الأعضاء المنتخبين في أمريكا اللاتينية في مجلس الأمن (الأرجنتين والبيرو) بهدف حل الصراع، وفي 8 آب، وجه خطاباتٍ إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية وإلى رئيسي كلٍ من مصر وتركيا للغرض نفسه، وبدوره بعث وزير الخارجية البرازيلي برسائل إلى وزراء خارجية كلٍ من مصر وتركيا وسوريا.

أشارت المذكرة إلى الزيارة التي سيقوم بها وزير الخارجية البرازيلي آنذاك سيلسو أموريم إلى بيروت في 15 من آب، عندما قام شخصياً بنقل رسالة تضامنٍ من الحكومة البرازيلية وشعبها إلى دولة لبنان الشقيقة، وأعرب أيضاً عن أمل البرازيل في أن تضاعف الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي والأطراف المشتركة بشكلٍ مباشرٍ في البحث عن حلٍ شاملٍ للصراعات في الشرق الأوسط، في أعقاب الأحداث المأساوية التي وقعت في شهر تموز السابق.

في كلمته في مؤتمر دعم لبنان الذي عقد في استوكهولم في كانون الثاني من العام 2007، أكد وزير الخارجية آنذاك أموريم أن البرازيل باعتبارها تضمَ أكبر جاليةٍ لبنانيةٍ في العالم، فقد تأثرت بشدة بحرب 2006، على حد تعبيره: لقد كان

البرازيليون ينظرون إلى ألم اللبنانيين على أنه انتهاكٌ يعاني منه بلدنا بشكلٍ خاصٍ، ووفقاً لتعبيره ردت الحكومة والمجتمع البرازيلي بسرعةٍ على ذلك، تنظيم غير مسبوق لإنقاذ نحو ثلاثة آلاف من البرازيليين والرعايا اللبنانيين الذين لديهم روابط عائلية في البرازيل من المناطق اللبنانية الأكثر تضرراً.

وذكر أنه بعد وقتٍ قصيرٍ من وقف إطلاق النار فإن الوزير الثاني للخارجية البرازيلية سيقوم بزيارةٍ إلى بيروت حاملاً 12 طناً من الأدوية والإمدادات الأخرى التي تبرعت بها الحكومة البرازيلية أو جمعتها الجالية اللبنانية في البرازيل، أيضاً خلال مؤتمر استوكهولم من أجل إعادة الإعمار السريع في لبنان، أعلنت البرازيل عن مساهمةٍ بمبلغ 500 ألف دولارٍ أمريكيٍ لصندوق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لتمويل مشاريع إعادة الإعمار في ذلك البلد.

بعد شهرين، أُرسلت لبيروت بعثة تعاونٍ متعددة التخصصات حتى لو كان من الصحيح أن تعزيز المؤسسات الديمقراطية اللبنانية ويجب أن يكون في أيدي مواطنيها، إلا أنَه لإعادة بنائها السياسي فلا يمكنا أن تستغني عن دعم المجتمع الدولي، لقد دافعت البرازيل بقوةٍ عن التنفيذ الكامل للقرار 1701، وأعرب الوزير أموريم عن رغبته في رؤية لبنانٍ متحدٍ في التنوع، يحترم مختلف الطوائف الدينية، مع احترام سلامة أراضيه واستقلاله من قبل الجميع.

كذلك شدد المستشار البرازيلي على فهم بأنه لن يكون هناك حلٌ دائمٌ للقضية اللبنانية حتى يتم حل المشكلة الفلسطينية، على أساس دولةٍ مستقلةٍ وقابلةٍ للحياة، يعيش أفرادها في سلامٍ وأمنٍ إلى جانب إسرائيل، وكرر الاقتراح الذي تقدمت به البرازيل خلال الدورة الحادية والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة بعقد مؤتمرٍ دولي بحضور الأطراف المعنية مباشرةً، فضلاً عن مشاركة بعض الجهات الفاعلة غير الإقليمية، لمناقشة استئناف عملية السلام في الشرق الأوسط.

بناءً على دعوةٍ من الصحفي البرازيلي ناحوم سيروتسكي، جمعت محاضراتي ومقالاتي في كتاب تحت عنوان (زمن التغيير)، نشره ذلك العام الناشر جفانين بتل أبيب، في المقدمة، ذكر شمعون بيريس الحائز على جائزة نوبل للسلام عام 1994 بالاشتراك مع ياسر عرفات، أنني استلمت المنصب على الفور قبل اندلا ع حرب العراق عام 2003، وأنه في نهاية مهمتي واجهت تحدياً آخر: الحرب مع حزب الله، من وجهة نظر بيريس، شكلت مجموعة محاضراتي «شهادةً فريدةً من القدرة على تسليط الضوء على البرازيل كقوةٍ ديمقراطيةٍ».

في الجزء التمهيدي أشرت إلى التوغل في قطاع غزة وفتح جبهةٍ ثانيةٍ نتيجةً لهجوم حزب الله على القوات الإسرائيلية، ثم راقبت رد الفعل القوي لإسرائيل التي فاجأت وفرضت خسائر بشريةٍ وماديةٍ شديدةٍ على لبنان، مما تسبب في أزمةٍ إنسانيةٍ خطيرةٍ، ثم أشار إلى أن السفارة البرازيلية كلياً كانت مكرسةً لمدة شهرٍ كاملٍ للعمل في المساهمة في الإخلاء الآمن للجالية البرازيلية الكبيرة في لبنان، عبر نقل المعلومات ذات الصلة بالقوافل إلى السلطات الإسرائيلية، خاصةً مواقعها وذلك للحيلولة دون استهدافها عن طريق الخطأ من قبل سلاح الجو الإسرائيلي، اختتمت تقديم الكتاب بإعادة صياغة خطاب كوفي عنان الذي أشرت إليه في وقت سابق: «الحرب ليست استمرار السياسة بوسائل أخرى، على العكس إنه يمثل الفشل الكارثي للمهارة السياسية والخيال».

من منظور أكثر من عقدٍ، إن كان هناك درسٌ يمكن استخلاصه من هذه الحلقة من الصراع في الشرق الأوسط، فهو أنه حيثما وُجد الاحتلال وُجد عاملٌ لجيلٍ متنافرٍ وفاقدٍ للثقة ومتباغضٍ، الأمر الذي بات أخلاقياً ومرفوضا شرعياً، لتفاقم خطر نشوب صراعاتٍ جديدةٍ بأسلحةٍ أكثر قوةً وتهديداً للسلم والأمن الدوليين. على حسب تقاليده الدبلوماسية، فإن البرازيل ستقف دوماً إلى جانب كلا الطرفين

لتساعدهما على إيجاد التفاهم الثنائي، وكذلك إلى جانب الجاليات البرازيلية في المنطقة للحفاظ على سلاماتها.

المراجع:

AMORIM, Celso. Teerã, Ramalá e Doha – Memórias da Política Externa Ativa e Altiva. 1ª ed. São Paulo: Benvirá, 2014.

BALIBAR, Étienne et al. Antissemitismo – a intolerável chantagem. Israel-Palestina, um "affaire francês"? Rio de Janeiro: Anima, 2004.

BARBOZA, Mario Gibson. Na Diplomacia, o traço todo da vida. Rio de Janeiro: Francisco Alves Editora, 2002.

BRANT, Leonardo Nemer Caldeira (coord.). Terrorismo e Direito, os impactos do terrorismo na comunidade internacional e no Brasil: perspectivas politico-jurídicas. Rio de Janeiro: Forense, 2003.

BRANT, Leonardo Nemer Caldeira (org.). Comentário à Carta das Nações Unidas. Belo Horizonte: CEDIN, 2008.

CERVO, Amado Luiz. In: SANTOS, Norma Breda dos (org.). Brasil e Israel: diplomacia e sociedades. Brasília: Editora UNB, 2000.

CERVO, Amado Luiz; BUENO, Clodoaldo. História da Política Exterior do Brasil. São Paulo: Editora Ática, 1992.

DUPAS, Gilberto; VIGEVANI, Tullo. (orgs.). Israel-Palestina: a construção da paz vista de uma perspectiva global. São Paulo: Editora Unesp, 2001.

ENDERLIN, Charles. Shattered Dreams: The Failure of the Peace Process in the Middle East, 1995-2002. New York: Other Press, 2002.

FEILER, Bruce. Abraham: A Journey to the Heart of Three Faiths. New York: Perennial, 2002.

FLINT, Guila; SORJ, Bila Grin. Israel, Terra em Transe: Democracia ou Teocracia. Rio de Janeiro: Civilização Brasileira, 2000.

FONSECA JR., Gelson. A Legitimidade e outras questões internacionais: poder e ética entre as Nações. São Paulo: Paz e Terra, 1998.

FRIEDMAN, Thomas L. De Beirute a Jerusalém. Rio de Janeiro: Bertrand Brasil, 1989.

GANOR, Boaz. The Counter Terrorism Puzzle: A Guide for Decision Makers. New Brunswick and London: Transaction Publishers, 2005.

GATTAZ, André. A Guerra da Palestina: da criação do Estado de Israel à Nova Intifada. São Paulo: Usina do Livro, 2002.

HAINES-YOUNG, James. The 2006 Lebanon War: Hezbollah's expensive 'victory' ten years on. Al Arabiya English, 2016

HERZOG, Chaim. The Arab-Israeli Wars: War and Peace in the Middle East from the War of Independence through Lebanon. New York: Random House, 1982.

HUMAN RIGHTS WATCH. Why They Died – Civilian Casualties in Lebanon during the : متوفر على 2006 War. 6 September 2007, v. 19, n. 5(E).<https://www.hrw.org/sites/default/files/reports/lebanon0907.pdf>.

HOURANI, Albert. Uma História dos Povos Árabes. São Paulo: Companhia das Letras, 1994.

HUNTINGTON, Samuel P. The Clash of Civilization and the Remaking of World Order. New York: Touchstone, 1997.

KATTAN, Victor. Israel, Hezbollah and the Conflict in Lebanon: An Act of Aggression or Self-Defense? Human Rights Brief, v. 14, n. 1, 2006, p. 26-30.

KHAN, Mushtaq Husain. State Formation in Palestine: Viability and Governance During a Social Transformation. With George Giacaman and Inge Amundsen. London and New York: Routledge Curzon, 2004.

KISSINGER, Henry. Years of Upheaval. Boston: Little, Brown &Company, 1982.

KOTIA, Emmanuel Wekem; EDU-AFFUL, Fiifi. The Lebanon-Israel War of 2006: Global Effects and its Aftermath. Small Wars Journal, 2014. متوفر على: <http://smallwarsjournal.com/jrnl/art/the-lebanon-israel-war-of-2006-global-effects-and-its-aftermath>.

LAFER, Celso. A Identidade Internacional do Brasil e a Política Externa Brasileira. 2ª ed. São Paulo: Editora Perspectiva, 2004.

LAMPREIA, Luiz Felipe. Diplomacia Brasileira: palavras, contextos e razões. Rio de Janeiro: Lacerda Editores, 1999.

LEWIS, Bernard. What Went Wrong? The Clash Between Islam and Modernity in the Middle East. New York: Perennial, 2002.

LIMA, Sérgio Eduardo Moreira. A Time for Change. Tel Aviv: Gvanim, 2006.

LIMA, Sérgio Eduardo Moreira. Oriente Médio: as credenciais brasileiras. Rio de Janeiro: GAPCOn, IUPERJ, 2010.

MISHAL, Shaul; SELA, Avraham. The Palestinian Hamas: Vision, Violence and Coexistence. New York: Columbia University Press, 2000.

OREN, Michael B. Six Days of War: June 7691 and the Making of the Modern Middle East. New ed. London: Penguin Books, 2003.

OURO-PRETO, Affonso Celso de. Instabilidade política moderna nos países que correspondem aos últimos impérios coloniais europeus... In: MOSCARDO, Jeronimo; CARDIM, Carlos Henrique

(orgs.). O Brasil no Mundo que vem aí. III Conferência Nacional de Política Externa e Política Internacional. Brasília: Fundação Alexandre de Gusmão, 2008.

PEREIRA DE ARAUJO, João Hermes; AZAMBUJA, Marcos; RICUPERO Rubens. Três Ensaios sobre Diplomacia Brasileira. Brasília: MRE, 1989.

QASSEM, Naim. Hizbullah: The Story from Within. London: Saqi, 2005.

RICUPERO, Rubens. Rio Branco: o Brasil no Mundo. Rio de Janeiro: Contraponto Editora, 2000.

SAID, Edward W. The Question of Palestine. New York: Vintage, 1992.

SCHEINDLIN, Raymond P. História Ilustrada do Povo Judeu. Rio de Janeiro: Ediouro, 2002.

SHLAIM, Avi. The Iron Wall: Israel and the Arab World. New York: W.W. Norton & Company, 2001.

SIBONY, Daniel. Oriente Próximo: psicoanálisis de un conflicto. Barcelona: Paidós, 2003.

ZIMMERMANN, Andreas. The Second Lebanon War: Jus ad bellum and the Issue of Proportionality. Revised English version, Joint Annual Meeting of Legal Advisors of the German Red Cross and the German Armed Forces, 9 March 2007, Bad Mergentheim, Germany. Max Planck Yearbook of United Nations Law, v. 11, 2007, p. 99-141.

Netherlands.

الحدود حيث لا مكان الإرهاب

سالم حكمت ناصر*

وصلتُ إلى نقطة الحدود الثلاثية[1] قبيل الثالثة من عمري، وكما يحدث كثيراً للبنانيين، كانت أسرتي تبحث عن بدايةٍ جديدةٍ، وكما هو معتادٌ كذلك، كانت تلك الحدود وعداً لمستقبلٍ مختلفٍ، كان ذلك سنة 1970.

كان أبي قد وصل إلى البرازيل خلال كرنفال سنة 1954، ومرت سنواته الأولى بائعاً متجولاً في ريف ولايتي غوياس وميناس جيرايس، بصحبة أمي التي وصلتْ إلى البرازيل في كانون الثاني من العام 1960، حلّا أولاً في مدينة مورّينيوز في ولاية غوياس، وبعد إقامةٍ قصيرةٍ في العاصمة غويانيا، انتقلا إلى ساوباولو، حيث فتحا مصنع نسيجٍ في حي بْراس.

بعد مرور ستّ سنواتٍ لم ينجح المشروع وسدت أمامهما كلّ الطرق، فتحدّث أحد أصدقاء أبي عن مدينة فوس دو إغواسو في ولاية بارانا، وعن الحدود مع الباراغواي، وفي طبيعة الحال فإنّ اللبنانيين كانوا قد وصلوا إلى هناك (حيث من

* أستاذ منسق في مركز الحقوق العالمية التابع لمدرسة الحقوق في ساوباولو، مؤسسة جيتوليو فارغاس.

1 ثمة نقاش عن كون عبارة «الحدود الثلاثية» من ابتداع التقارير الامريكية التي أصبحت تضع المنطقة في عالم اهتماماتها الأمنية. ولكنني استبقيت استعمالها ها هنا لأنها العبارة المقترحة من قبل الناشرين واستناداً إلى أن الدول المعنية تبنتها في اجتماعاتها الثلاثية.

الصعوبة بمكانٍ أن تكون اللبناني الأول في أي مكان)، مع أن والد ذاك الصديق قد يكون صاحب هذه الميزة (الواصل الأول) في تلك المنطقة.

كان «جسر الصداقة»، الذي يصل بين فوس دو إغواسو والمدينة الباراغوائية المسماة آنذاك بويرتو بريسيدينتي سْتروسْنِر (ميناء الرئيس سْتروسْنِر)، قد بني منذ بضع سنين، وكانت تتدفق إلى هناك أمواجٌ متصاعدةٌ من المسافرين إلى آسونسيون عاصمة الباراغواي، ومن السياح الذين يقصدون زيارة شلالات إغواسو والتبضع من أسواق المدينة.

ذهبت أولاً أمي بصحبتي وإخوتي الثلاثة، ونزلنا خلال عدة أيامٍ في بيت أسرة بركات، الذين لم يعرفونا مسبقاً ولكنهم استقبلونا تلبيةً لطلب ابنهم وأخيه في ساوباولو، وهناك انتظرنا أبي حتى ينهي أعمالنا في حي بْراس لكي نجتمع معاً فنجد سبلنا الجديدة.

قبل وصول أبي، أخذنا مضيفنا في زيارةٍ إلى الباراغواي، حيث توقف هناك ليتحدث مع تاجرٍ محليٍ يعرفه، فأخبره أنه يبغي بيع المحل ليريح نفسه، وإن وجد أحداً يقبل تولي الديون والبضاعة فسوف يسلمه المتجر.

وهكذا بدأنا كلّ شيءٍ من جديدٍ في ذلك المتجر، الذي سماه أبي «كازا برازيليا»، مما يدلّ على حنينه إلى غوياس وعلى الانطباع الذي تركته فيه الحركة المستمرة لتلك المدينة، استخدمنا غرفةً ذات أرضيةٍ ترابيةٍ، وراء المحل مخدعاً ومطبخاً.

بالإضافة الى السلع المتروكة هناك والديون التابعة لها، جاءنا رأسمالنا الأول من سمسارٍ سوريٍ كان قاطناً هناك منذ فترةٍ طويلةٍ، شأنه شأن الكثير من المهاجرين السوريين في عاصمة الباراغواي، وأصبح هذا الرجل، بعد مدةٍ صديقنا على مدى الحياة، وابنه اترث كلا الوضعين، سمسارنا وصديقنا، كان ضمان القرض الأول الذي

لم يصرّ على استيفاءه، الكمبيالات الموقعة من قبل نفس الصديق الذي أشرت إليه في أول هذا النص، وهي الثبت لدَيْن لا وجود له في الحقيقة.

تقتصر ذكرياتي عن تلك الأزمنة الأولى على شذراتٍ، وعلى الأرجح هي إنتاجاتٌ متأخرةٌ لذكرياتٍ أسقطتها على الماضي، لذلك أستحضر تلك السنين انطلاقاً من سردياتٍ تتطابق فيما يخصّ الخطوط الرئيسة، ولكنها تختلف بقدر ما يستحضر أناسٌ مختلفون في أذهانهم الماضي ذاته بألوانٍ وأشكالٍ مختلفةٍ.

ما يمكننا أن نطلق عليه الجالية العربية الأولى في المنطقة كان مكوناً من لبنانيين منحدرين من سهل البقاع، وعلى الأقل لبنانيٌ واحدٌ منهم من الجنوب، كانت أغلبية المتاجر متركزةً في الناحية الحدودية البرازيلية، مع أنه كان بإمكاننا أن نعدَ حتى ولو بأصابع اليدين، بعض المحال الأخرى في بويرتو ستروسنر.

في السنين التالية، وصل إلى المنطقة لبنانيون من أماكن أخرى غير البقاع، كبيروت أو من الشمال، وسوريون وفلسطينيون وعائلةٌ مصريةٌ على الأقل، بيد أن الجزء الأكبر من الذين كونوا لاحقاً الجالية العربية وفدٌ بدون شكٍ من الجنوب اللبناني ومن سهل البقاع.

يوجد في الجالية دوماً، أفرادٌ ينتسبون إلى شتى الكنائس المسيحية، وعددٌ معينٌ من العرب اليهود وبعض الدروز، ولكنَ الأغلبية منهم مكونةٌ من مسلمين، السنة والشيعة.

طوال ما يقارب من خمسين سنةً شهدت الازدياد الهائل لعدد اللبنانيين وعربٍ آخرين مع أحفادهم، من ذلك العدد الطفيف من العائلات، التي كان يمكن تعدادها بأصابع اليدين في بداية السبعينيات، أصبحنا اليوم عدداً يقدر بحوالي 20ألفاً إلى 30 ألف نسمةٍ.

ثمة فئتان من الأسباب تفسّر هذا الازدياد لموجات المهاجرين نحو تلك المنطقة، بالرغم من أنَ الكثير منهم وصلوا وافدين من أماكن أخرى، من بينها مناطق برازيلية عدة وكولومبيا وفينزويلا، وليس من لبنان مباشرةً، مما يفسر كذلك بقاء أولئك المهاجرين في ذلك المكان.

تتعلق الفئة الأولى من الأسباب بأوضاع الشرق الأوسط السياسية والاقتصادية، هذا صحيحٌ إجمالاً بالنسبة إلى تاريخ الهجرة اللبنانية الطويل إلى جميع إنحاء العالم، كما يصح بالنسبة إلى البرازيل والى نقطة الحدود الثلاثية تحديداً، ابتداءً من منتصف السبعينيات.

حتماً يعتبر التفسير الجوهري لموجات الخروج هذه هو الاحتياج للبحث عن مكانٍ آخرٍ لإعالة النفس والعائلة، بما فيها ذلك الجزء المتبقي منها في لبنان، تمتزج هذه النواة التفسيرية بظروف المعيشة لبعض الفئات من السكان التي عاشت تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، وتحت سيطرة الانتداب الفرنسي، وتحت سيطرة النظام السياسي الذي فرضته فرنسا بعد جلائها، وتحت التأثيرات السلبية للحربين العالميتين الأولى والثانية الخ.

ابتداءً من السبعينيات امتزجت بهذا التفسير الاقتصادي المستمر بعض الأحداث المهمة للغاية، وهي الحرب الأهلية اللبنانية والاحتلال الإسرائيلي لأجزاءٍ من الأراضي اللبنانية، مروراً بالصدمة الحادة التي سببها الاجتياح الإسرائيلي سنة 1982.

الحرب الأهلية اللبنانية معقدةٌ لدرجة أنها تتحدى أيَ فهم، وحتى لو وجدنا شخصاً ما متفهماً لكلَ أبعادها وموفقاً بين جميع المحاور التي يجوز النظر منها، يبقى ذلك متعذراً عن أيَ محاولةٍ لفهمها عبر سطورٍ قليلةٍ، ولكنَ أظنَ أنني لا أكون مخطئاً إذا قلت أنها كانت في الوقت نفسه مواجهةً بين مواقف متعارضة بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، ونزاع طبقات، وصداماً بين اختياراتٍ عقائديةٍ في سياق الحرب الباردة، ومنافسةً على تقرير مسار النظام السياسي اللبناني.

إذن وبشكلٍ تخطيطيٍ، كان من جهة التحالف المهلهل الذي وحد بين الفدائيين الفلسطينيين والأحزاب القومية العربية والاشتراكيين والشيوعيين والجماعات المتأسلمة، ومن جهةٍ أخرى الأحزاب اليمينية المائلة إلى التطبيع مع إسرائيل والمنحازة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أقول أن هذا التقسيمَ تخطيطيٌّ لأنه حدث داخل كلٍ من المجموعتين، نزاعاتٌ ومناوشاتٌ غير قليلةٍ.

ولأن الاختيارات المتضاربة حصلت في دولةٍ متعددةٍ للغاية فيما يخص الاعتقادات الدينية، والذي تأسست ممارساته السياسية دوماً بشكل ديني، فأضيفت إلى خطوط الكسر هذه، أي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، خطَ كسرٍ آخر ذو طابعٍ طائفيٍ لم يتصادف تماماً مع الخطوط الأخرى، التي تؤثّر عليه أكثر مما هو يؤثر عليها، ولكن هذا السبب الذي جعل الحرب الأهلية اللبنانية تعرف إلى حدٍ ما، كنزاعٍ يتعارك خلاله المسلمون والمسيحيون.

تسبّب النزاع بخروج الكثيرين، لاسيما الشبان الذين استبعدوا من المشاركة بالأحزاب المسلحة والميليشيات، الآتين من شتى المناطق والمنتمين الى جميع الطوائف، كان أولئك الشبان يغادرون إلى عدة أماكن في العالم، بما فيها البرازيل ونقطة الحدود الثلاثية تحديداً، ووجد الكثير منهم من يستقبله في البرازيل، المرور من الباراغواي لم يكن إلا باباً للدخول إلى البرازيل، مرّ العديد منهم من بيتنا ونزل البعض منهم هناك.

كان الباراغواي أو أصبح بالنسبة إلى كثيرين آخرين المحطة الأخيرة، لاسيما شبان الجنوب اللبناني وسهل البقاع وأطراف بيروت، الفارين من الحرب ومن التورط بالأعمال المسلحة، مع أنهم، ابتداءً من العام 1982، أخذوا يفرون خصوصاً من الاجتياح الإسرائيلي واحتلاله للجنوب، الذي دام حتى سنة 2000.

وهكذا بقيت الجالية خلال العقود التالية على ما كانت عليه في بداياتها: جاليةً مسلمةً أساساً، مكونةً بشكلٍ متوازنٍ بين السنة والشيعة الآتين من الطبقات

الأشدّ فقراً من اللبنانيين، لا يفصلهم عن البيئة الزراعية شبه الإقطاعية السائدة هناك سوى جيلٍ واحدٍ، مع الفرق أن هذه الجالية أخذ عددها يتضاعف بالمئات.

أما الفئة الثانية من الأسباب التي تفسر وصول اللبنانيين وبقائهم في المنطقة، فلها علاقة بمجموعة الظروف المتوالية أو المشتركة التي أدت الى ازدهارهم الاقتصادي على مدى السنين.

إنَ العامل الأول الآنف الذكر يسبق وصولنا، وهو «جسر الصداقة»، الذي كان قد أعفى من أراد اجتياز الحدود بين البرازيل والباراغواي مِن الاستخدام المتعب دوماً للعبّارات النهرية، سهّل الجسر كثيراً على السكان المقيمين في فوز دو إغواسو، بما فيهم جنود النقطة العسكرية الموجودة هناك والسياح أيضاً للقيام ببعض مشترياتهم من الباراغواي.

أما العامل الثاني الذي من شأنه أن يكثف هذا التيار البشري ذهاباً وإياباً، فهو البناء الذي بدأ سنة 1974، لمحطة «إيتايبو» الكهرومائية، وتأثيره الفوري في مضاعفة عدد سكان المنطقة وبالتالي عدد الأفراد المحتاجين إلى شراء ما يلزمهم.

كان الباراغواي آنذاك، وما زال مكاناً مغرياً للمشتريات، وهذا أساساً، بسببِ الانغلاق النسبي للاقتصاد البرازيلي، ففي زمن كانت القيود على الاستيراد شديدةً جدّاً في البرازيل سمح الباراغواي بشراء أنواعٍ محدودةٍ من السلع المرغوب بها: مشروباتٌ وسجائرٌ ومستحضرات تجميلٍ وألعابٌ أطفال، سراويل جينز وأدوات مطبخ، أخذت هذه الأنواع تزداد تدريجياً لتحتوي على كلَ ما هو إلكترونيٌ أيضاً، كذلك الحال بعد أن فتحت البرازيل أسواقها، إذ بينما ينمو ذلك في البرازيل ويزداد عدد الذين تتصاعد رغباتهم بكلَ سلعةٍ أخذت تتعرض تلك لضرائب باهظةٍ عند دخولها مباشرةً إلى بلدنا، في عبارة أخرى فإنَ تجارة الباراغواي، كما هو الأمر عند نقاطٍ حدوديةٍ أخرى، كانت دوماً المتنفس للضغوط الاستهلاكية البرازيلية على المنتوجات المستوردة.

وفي طبيعة الحال، فقد ساعد هذه السياحة التجارية كون مدنيتي فوز دو إغواسو وبويرتو إغواسو، في الجانب الأرجنتيني تتقاسمان ظاهرةً طبيعيةً من أروع وأجمل ما في العالم ألا وهي شلالات إغواسو، وبالإضافة إلى هذا، فبعد بضع سنين بنى البشر ظاهرةً أخرى رائعةً، من أضخم المشاريع الهندسية التي عرفها العالم، ألا وهي محطة «إيتايبو» الكهرومائية.

إذن، ثمة منطقةٌ جاهزةٌ طبيعياً للسياحة، وضعت فيها الجغرافيا سوقاً يزود بالمنتوجات الرخيصة جمهوراً متشوقاً إلى الاستهلاك، في بعض اللحظات سمح هذا المزيج من العوامل بنمو المنطقة المدوِّخ، واليوم لا تبدو مدينة «سيوداد ديل إيستي»، في الباراغواي كشيءٍ مما عهدتْه ذكريات طفولتي.

اللبنانيون الهاربون من الحرب والاحتلال، الذين كانوا على غرار الكثير من أقرانهم، يبحثون عن معيشةٍ أفضل وعن فرصٍ جديدةٍ، حضروا هناك بأعدادٍ غفيرةٍ، وإلى جانب الصينيين والكوريين وآخرين أقاموا في المنطقة خلال السنين التالية، اغتنموا الرياح المناسبة وبنوا نشاطاً تجارياً ذا أبعادٍ مدهشةٍ.

طوال حياتي، عن بعدٍ أو عن كثبٍ، شاهدتُ هذا التطور في نقطة الحدود الثلاثية، خصوصاً في مدينتي فوز دو إغواسو وسيوداد ديل إيستي، وحظيتُ مراراً بالتعليقات والقراءات التي تمثل الباراغواي كبلدٍ التهريب والتزوير، وبما أنَ هذه الصورة متبقيةً حتى اليوم بشكلٍ أو بآخرٍ، فإنه يتوجب عليّ أن أُعالجها الآن.

لا شك عندي أنه وُجِد دوماً وما يزال، تهريبٌ يدخل إلى البرازيل من الباراغواي، وكذلك وُجِدتْ دوماً منتوجاتٌ مزورةٌ يُتاجَر بها هناك، يرتبط شكّي فيما إذا كان يوجد أيَ مكانٍ من العالم خالٍ من التهريب والتزوير، من المعقول جدّاً أن تكون المناطق الحدودية مناسبةً بشكلٍ خاصٍّ للتهريب والتزوير، كما أنَ من المعقول والطبيعي أن يتحوَّل سوقٌ مثل سوق سيوداد ديل إيستي، الذي طالما جذب هذا

الكم الهائل من الطلب على منتوجاتٍ مستوردةٍ أرخصٍ، إلى سوقٍ مهمٍّ كذلك للمنتوجات المزورة.

كثيرٌ من الأشخاص هناك، ولا نستثني البعض من العرب، قد تورطوا بكلتا الممارستين، أي التهريب والتزوير، ولكن النشاط التجاري الذي عرفتْه في المنطقة يتكوّن في جوهره من بيع منتوجاتٍ أصليةٍ مسلَّمةٍ إلى المشترين في الباراغواي.

الحقيقة أنه، بقدر ما تريد الدول تنظيم التجارة في الحدود وردع التهريب والتزوير، يتوجّب عليها تحضير سياساتٍ عامةٍ تراها ملائمةً لهذا الغرض، أنا شاهدتُ طوال تاريخي الشخصي مبادراتٍ عديدةً في هذا المضمار.

من المستحيل العلم الشامل عن تفاصيل التفهم البرازيلي لهذه المواضيع، ولكن الانطباع المهيمن هو أنه رغماً من الكلام التبسيطي الذي تغذيه غالباً مجموعاتٌ لها مصالح خاصةٌ بالأمر، فإنَ المشاكل المرتبطة بتجارة سيوداد ديل إيستي ليست لبَّ القضايا بين البلدين في المنطقة، بل العكس! فإلى جانب القضايا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتسم بها العلاقات الثنائية بين البلدين في المنطقة ذات الجغرافيا المشتركة، فإني مقتنعٌ أن في الأمر َنوعاً من الإدارة البرازيلية كمتنفسٍ ضروريٍ إلى حدٍ ما لاقتصادنا، الذي كان وما زال منغلقاً بشكلٍ جزئيٍ.

على أية حالٍ، حتى وإن لم يكن الأمر كذلك، فإنَ استمرارية المشكلات الناجمة عن التزوير والتهريب قد تُفَسَّرُ أساساً بنفس الأسباب التي تُفَسِر التهريبَ الذي يدخل مباشرةً إلى البرازيل عبر طرقٍ أخرى، وهو ما يزيد أضعافاً على التهريب الذي يدخل من الباراغواي، وهذا ما يوضح من جهته العرض الغفير لشتى المنتوجات المقرصنة في شوارع مدننا أجمع، والتي لا يكوِّن ما هُرِّب من الباراغواي إلا جزءاً تافهاً منها.

فلا معنى إذن من الإشارة بأصبع الاتهام إلى الطرف الباراغوائي في نقطة الحدود الثلاثية، إذ أنَ النقاش المجدي للموضوع يتطلّب النقاش حول البنية الضرائبية لاقتصادنا والميزة التنافسية الضعيفة لمصانعنا والسلع التي لا يستطيع اقتنائها المواطن الفقير إلا في السوق السوداء، وحقّ المتضررين من البطالة بإيجاد طريقةٍ لإعالة أنفسهم وذويهم إلخ.

ترعرعتُ إذن في حضن جاليةٍ لبنانيةٍ ذي أغلبيةٍ سنيةٍ آتيةٍ من البقاع، والأخرى من الجنوب وأغلبيتهم من الشيعة، لم أكن أعرف خلال زمنٍ طويلٍ، ما معنى «سني» ولا ما معنى «شيعي»، وخلال سنين كثيرة عاشرت جيراناً لم أعلم إن كانوا من السنة أو أنهم بسبب ذلك يجب أن يكونوا مختلفين عني بأيَ شكلٍ من الأشكال.

لم أكن أعرف لأنه لم يكن ذا أهميةٍ، وحتى بعد ما عرفت لم تكن هذه المعرفة سبباً بأي تغييرٍ في الأمر والذي لم يزل عديم الأهمية، كنا أصدقاءً وجيراناً، والذين ساندونا واستقبلونا لدى وصولنا إلى هناك كانوا كلهم تقريباً من السنة، والبعض منهم نصارى.

لم يكن الفرق مهمّاً، أو ربما لم أشعر إلى أيَ مدى بقي شيءٌ من الفرقة الإسلامية في ذاكرة الأعضاء البالغين لتلك الجالية، وذلك لأنه بمطلق البساطة، لا أحد يُظْهر أيَ دليلٍ على حياةٍ موسومةٍ بالتدين والالتزام بالطقوس الدينية، لم أرَ أحداً يُصَلّي بانتظامٍ، وكان استهلاك المشروبات الكحولية اعتيادياً، حتى أنه كان متكرراً بالنسبة إلى البعض، والقليلون منهم من يصوم، كما أنه يندر التحدّث عن الدين.

تغير الأمر جذرياً في الثمانينيات، كانت الثورة الإيرانية العلامةَ الأولى لهذا التحول، وما تعقبها من ترسيخ الجمهورية الإسلامية، أعني تماماً أن ما يمكن أن يسمى بعودة الإسلام كما عرفه العالم في أواخر القرن العشرين، والذي توافق مع ظاهرة أكثر شمولاً ألا وهي تقوية الشعور الديني، المتجاوز لحدود الدين الإسلامي، لم تجد في الثورة

الإيرانية نقطة انطلاقها، مع أنها كانت مع كلَ تأكيدٍ الموجةَ الأقوى التي أصابتنا نحن في فوز دو إغواسو وسيوداد ديل إيستي، بعد انتشارها في العالم.

في لحظتها الأولى، وقبل كلَ شيءٍ، بدا أن للثورة تأثيراً ذكَّرنا جميعنا أننا مسلمون، علاوةً على كوننا عرباً، اكتسب ذلك التأكيد المرتبط بالهوية قوةَ سحبٍ عظيمةٍ في العالم الإسلامي، وحدث الشيءُ نفسه في منطقتنا، ذلك لأن هذه الهوية جريحةً منذ أمدٍ طويلٍ، مما أثّر عليها تجزئة الأراضي العربية لمستعمراتٍ والمحنة الفلسطينية والكيان الإسرائيلي والانهزامات العسكرية المتكررة، تاركةً شعوراً قوياً بالعجز، أرادتْ الثورة الإيرانية، التي جعلت القضية الفلسطينية إحدى راياتها الرئيسية، أن تُعيد للمسلمين قيادةَ مصيرِهِم. من المحتّم على الثورة، التي عرّفت نفسها بأنها إسلاميةً، أن تبرز النقاش عن «الإسلام الحقيقي» وعن عقيدته وتأويلها، وكون الثورة الإسلامية تبرز علاماتها الشيعية بتشددٍ جعل إعادة اكتشاف الهوية الإسلامية يأتي مصحوباً بالتأكيد التدريجي للخصوصية الشيعية أو السنية لأعضاء الجالية من بين أمورٍ أخرى، لأن النقاش حول صحة الممارسات المتَّبعة حتى ذلك الحين أصبح أكثر إلحاحاً، لم يدفع هذا بالفعل الى كسر وحدة الجالية، التي بقيتْ مترابطةً بروابط الصداقة والتضامن ولم يزل التعايش اليومي يسير بشكل عادي، مع أنَ شيئاً من الحزازات قد وجد.

كانت سنون الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988) الأكثر صعوبةً، امتزجتْ الخلافات المتعلقة بالعقيدة والممارسة الدينية بمواقف متعارضة تجاه الوضع السياسي في الشرق الأوسط: مال السنة إلى التماهي مع العراق بصفته بلداً عربياً يحكمه رئيسٌ سنيٌ، بالرغم من أن مُعظم سكانه من الشيعة، بينما نزع الشيعة إلى الانحياز مع إيران بصفته رمزاً لإنقاذ الإسلام وللكفاح ضد الامبريالية، من الجلي أن الانقسام في الجالية قد غذّته مشاعر الطائفية التي كانت في حدّ ذاتها توقد نفسها، ولكن لم يحدث في أي لحظةٍ من اللحظات كسرٌ للتعايش أو شكلٌ من القطيعة، وما

حصل أن الصداقة تزعزعتْ شيئاً ما ولكنها لم تختفِ، فبقيت تجري المنافسات في بيئةٍ ما زال جوارُها طيباً.

أثمرتْ يقظة الشعور الديني ثماراً جليةً في كلا جانبي الحدود، حتى ذلك الحين كانت المبادرة الرئيسة لتكامل الجالية وتعايشها عبر نادي الوحدة العربية في فوز دو إغواسو، ويجري النقاش المستمرّ عن المشاريع لبناء مدارس تسمح بإبقاء اللغة العربية بين أبناء الجالية، وحدث الأمر نفسه بالنسبة إلى بناء مسجدٍ، من أسباب تجسيد كلَ هذا كذلك ازدهار وقوة جالية هجرتها حديثة العهد تحافظ على علاقتها مكثفةً مع لبنان، كما هو الأمر حتى أيامنا هذه.

بُنيتْ المؤسسات بطريقةٍ أو بأخرى، وهي تعمل لغاية اليوم بموجب خطوطٍ تسمح بالتمييز بين المكونين الأساسيين للجالية، مع أنها ليست خطوط فصلٍ، قد أُسِّسَتْ في فوز دو إغواسو وفي سيوداد ديل إيستي حسينياتٌ تجمع شمل الشيعة وتضمه، وكذلك جمعياتٌ خيريةٌ للسنة، ترتبط كل حسينيةٍ بمدرسةٍ تعلم اللغة العربية والديانة الإسلامية، بالإضافة إلى المناهج الوطنية لكلٍ من البرازيل والباراغواي، يدير المركز الثقافي الخيري الإسلامي في فوز دو إغواسو مدرسةً تشبه المدارس الرسمية الحكومية، وهو أيضاً مسؤولٌ عن المسجد هناك، تتعايش المجموعتان في هذه الأماكن و يلفت النظر بشكلٍ خاصٍ وجود طلابٍ من كلا المجموعتين في المدارس التي تديرها المجموعة الأخرى.

هذا وتلوح من حينٍ إلى آخر بعض الاختلافات، رغم التعايش المستمرّ والمتآلف إلى حدٍ بعيدٍ، في السنين الأخيرة، أحيتْ الحرب في سوريا اختلافاتٍ أصَلها في كون الجالية تتابع وتعكس الانقسامات السياسية التي تتسم بها السياسة اللبنانية، وهي من حينها تعكس وتصادي الانقسامات التي يتسم بها الشرق الأوسط عموماً.

أسمح هنا لنفسي بجرعةٍ من التبسيط، تخطيطياً من الممكن تصور المنطقة على أنها منقسمةٌ بين مشروعين كبيرين، أو رؤيين كبيرتين، فمن ناحية الدول العربية

المسماة بالمعتدلة، المتفقة مع الولايات المتحدة والمائلة أكثر فأكثر إلى التطبيع العلني مع إسرائيل، حتى وإن لم ينته بأي فائدةٍ للفلسطينيين، ومن الناحية الثانية من سمى نفسه بمحور المقاومة، الذي يجمعه الاعتراض على السياسات الأمريكية والكفاح ضد إسرائيل، تترأس المجموعة الأولى المملكة العربية السعودية، والثانية إيران، وتشمل كذلك سوريا وحزب الله والمقاومة المسلحة الفلسطينية والعراق، وهذا الأخير بطريقةٍ متصاعدةٍ.

من السهل أن نلاحظ كم هو واردٌ ومغرٍ للكثيرين تمثيل المعارضة بين هذين الصعيدين، على أنَ جوهرهما عقائديٌ طائفيٌ، من ناحيةٍ السعودية التي تدعي الزعامة السنية والمحافِظة للعالم العربي والإسلامي، ومن ناحيةٍ أخرى إيران التي يظنها البعض قائدةً لهلالٍ شيعيٍ وجاهزةً لتصدير ثورتها إلى بقية العالم الإسلامي.

ينعكس في لبنان هذا الانقسام بألوانه المحلية، مارستْ هناك سوريا دوماً تأثيراً سياسياً بالغ الخطورة، وكان لها حضورٌ عسكريٌ مهمٌ بدأ خلال الحرب الأهلية ولم ينته إلا سنة 2005، سمحتْ سوريا بأن يحتكر حزب الله تدريجياً المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وحزب الله له علاقاتٌ عميقةٌ مع إيران، التي تدعمه بالمال والأسلحة والتدريب، عَرفتْ هذه المقاومة نجاحاً متصاعداً وحصلتْ على انتصاراتٍ لم تخطر على بال أحدٍ من قبل، وفي سنة 2000 أجبرت إسرائيل على الانسحاب غير المشروط من أكثر الأراضي اللبنانية التي احتلتها، وفي سنة 2006 استطاعت أن تحوز على قدرٍ ما من توازن الأسلحة في حربٍ مع إسرائيل استغرقت 33 يوماً، لم تستطع إسرائيل خلالها أن تبقي على أيَ قطعةٍ من الأراضي اللبنانية أكثر من بضع ساعاتٍ، اليوم حزب الله هو مع كلَ تأكيدٍ العدو القريب الأخطر لإسرائيل، مما جعله أقوى مجموعةٍ سياسيةٍ لبنانيةٍ، الأمر الذي يخيف ويقلق إلى حدٍ ما مجموعاتٍ أخرى من المجتمع اللبناني وفي السياسة اللبنانية.

وللحدثٍ الصادم في شباط عام 2005، دورٌ مهمٌّ للغاية في الانقسامات اللبنانية المتصاعدة، عندما قتل إثر انفجارٍ في بيروت رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري والسنيَ أيضاً، صاحب الثروة الهائلة التي حصل على معظمها في السعودية.

ذلك الجزء من المجتمع اللبناني المستاء من التواجد السوري الطويل في البلد وجه الاتهام بالقتل الى سوريا، متبعاً في ذلك الولايات المتحدة وبعض القوى الغربية والدول العربية المسماة بالمعتدلة، أما الجزء الآخر من اللبنانيين المتشكرين لدور سوريا في مساندة المقاومة، فصدقوا أن الاغتيال لا يمكن إلا أن يكون عملاً قامت به إسرائيل، محاولةً بذلك تحديداً إيهان سوريا، وبالتالي إيران وحزب الله، وفعلاً أُحرز هذا الهدف جزئياً، إذ أنه اضطرّ سوريا بعد شهورٍ قليلةٍ على الانسحاب من لبنان وفقدت ببضعة سنين الكثير من نفوذها هناك، قد رأى الكثير من هؤلاء حرب 2006 نفسها كمحاولةٍ لاستئصال المقاومة اللبنانية نهائياً.

ليس من الصعب هنا أن نلاحظ كيف أنَ موت ذلك الذي في كان وقتَها الشخصية السنية الأهم في السياسة اللبنانية والاتهام الموجّه إلى سوريا وفيما بعد إلى حزب الله مباشرةً[2] يمكن أن يقدم على أنه فصولٌ من نزاعٍ طائفيٍ يغذي الحزازيات ما بين الجاليات.

2 بعد تحريا قامت بها لجنة دولية ، تكونت محكمة خاصة للتحقيق في الحكم على هذه الجريمة وجرائم أخرى لها علاقة بها. حاليا ثمة الدعاوي التي لم تتم بعد تتهم عناصر من حزب الله. تتعرض التحريات و المحكمة، على حد سواء، لانتقادات لها ما يبررها. عبرت عن انتقاداتي في مقالي: International Law and Politics: International Criminal Courts and Judgements – The Case of The Special Tribunal for Lebanon ، الموجود في: https://www.law.gonzaga.edu/gjil/2012/05/international-law-and-politics-international-criminal-courts-and-judgements-the-case-of-the-special-tribunal-for-lebanon/.

بغض النظر عن موقف الجماعات السياسية المهيمنة في الدول العربية المكونة لما يسمى بالمجال المعتدل، لا يمكن بأمانةٍ أن يقال إنَ سُنّة لبنان وكذلك سُنّة الجالية الإسلامية في نقطة الحدود الثلاثية قد اشتركوا بالظلم الذي تمارسه إسرائيل، أو أنهم اكتشفوا أنفسهم حلفاء طبيعيين للولايات المتحدة، ولكن ليس من أدنى شكٍ على أنَ جزءاً كبيراً منهم يخاف ما يتصوره تدخلاً إيرانياً متصاعداً في العالم العربي، ومحفوفاً بالمخاطر، يُفهم ذلك على ضوء الأحداث في سوريا والعراق واليمن والبحرين وأيضاً في لبنان.

يكاد يكون ضرورياً القول أنَ للأغلبية الساحقة من الشيعة رؤىً تتعارض تماماً مع رؤى السنة، هكذا وأكثر من مرة، تمتزج المشاريع والخيارات السياسية بمفتاح الفهم الطائفي الملائم بسهولةٍ لتوظيفه في الإنشاءات السياسية والمرويات التي تفرض علينا.

مرةً أخرى، لم تصل هذه الاختلافات في أيَ مقياسٍ كان إلى حدَ منع التعايش المستمرّ والتبادل والمساهمة المشتركة في المناسبات والاحتفالات، وحتى التزاوج بين أفراد الطائفتين، الفروق معروفةٌ لكنها نادراً ما تؤدي إلى مواجهاتٍ مباشرةٍ أو حتى إلى نقاشاتٍ على الملأ.

يدعو ما قيل عن يقظة الشعور الديني وعن تأثيرات الثورة الإيرانية وما لحقها من التأكيد المتصاعد لهوية الشيعة الدينية ولهوية السنة الدينية لدى الجالية العربية في الحدود الثلاثية إلى مواجهة مسألةٍ تلوح من حينٍ لآخر بالنسبة الى المنطقة: الإنشاء الذي يحاول إثبات الصلة ما بين الجالية والإرهاب، المنتسب في هذا الإنشاء، بشكلٍ متصاعدٍ إلى العنف الذي يمكن أن يُسقط بطريقةٍ أو بأخرى على الإسلام.

أبداً، ربما مخالفاً للمنطق بخاتمة محاججتي، لكي لا يبقي أي شك: لا إرهاب في الحدود الثلاثية، وهذا أمرٌ واضحٌ جليٌ للعيان، هكذا ليس للسؤال الذي يطرح نفسه علاقةٌ بوجوده، بل السؤال هو عن سبب وجود الإنشاءات التي تحاول الربط بين هذه وتلك.

إنَ الطريقة الأفضل لابتداء النقاش هي تحديد شروطه، قبل كلَ شيءٍ إذن يتعين علينا بعض الوضوح عما يمكن أن يعني الإرهاب بصفته فكرةً ومفهوماً، وعما يفهمه عنه الذين يتهمون الجالية المحلية، وعمن الذين يصنفوهم كإرهابيين.

لن أقوم هنا بنقاشٍ موسعٍ واختصاصيٍ حول الإرهاب، ولكنه من الواضح والمعروف لدى الكثيرين أنه لا يوجدُ تحديدٌ مجمعٌ عليه لهذا النوع من الجرائم، وإنَ هذا التحديد منعدم الوجود في الحقوق الدولية، وإن التشريعات القومية تقدم تحديداتٍ تختلف بعضها عن بعض، ومع ذلك يمكننا أنْ نقول إنّ الفكرة الأعمّ عنه والمراد تداولها أنه استخدامٌ غير شرعيٍ للعنف بغية تحقيق الأجندات السياسية بغرس الرعب في السكان أو المجموعات.

كما يمكن أن يُرى، فإنَ لمفردات هذا التحديد المعمّم ما يجوز تسميته بالنسيج المنفتح، ويضاف الى اللا يقين الضمني لكلَ مفردةٍ من مفرداته (الرعب والسياسة والشرعية) اللا تناهي للطرق التي يجوز أن تُركَّب من خلالها الأفكار التي تحملها، كلَ هذا الانفتاح لمعاني الكلمات يجعل الاستعمال الإنشائي لعبارات مثل الإرهاب وعملٍ إرهابيٍ ومجموعةٍ إرهابيةٍ ودولةٍ داعمةٍ للإرهاب أكثر ذي مغزىً من دقته التقنية.

في الخطاب السياسي المعاصر، رمي تهمة الإرهاب على أيَ أحدٍ أسهلُ طريقةٍ لخلع الشرعية عنه كمحاورٍ أو كعدوٍ يحمل روايةً تختلف عن روايتنا، وما هو أخطر أنها تصلح لتعرية هذا الإنسان من كافة الحقوق والضمانات الأساسية التي يستحقها كإنسان.

هذا الاستخدام الإنشائي لمثل هذه التصانيف معممٌ ومستعملٌ من قبل كافة الأطراف، مما يجعل الرواية المهيمنة والأكثر تداولاً تميل على حسب السياق الذي نحن فيه، إلى أمرٍ من الأمور التالية: إما أن تلصق على أي نشاطٍ شرعيٍ رغم عنفه (كالمقاومة ضد الاحتلال مثلاً) وصمة الإرهاب، وأما أن تصف خطأً بالإرهاب

نشاطاتٍ عنيفةٍ وإجراميةٍ مع كونها غير سياسيةٍ، وإما أن تكفَ عن وصفها بالإرهاب نشاطاتٍ قد تستحق هذا التصنيف، إن كان الذي يقوم بها من «الأصدقاء»، وإما من حينٍ لآخر، أن تجيد التصوير فتسمي بالإرهاب ما هو حقاً إرهاباً.

القضية إذن، أكثر من أي شيءٍ آخرٍ، قضية إنشاءٍ، لنرى الآن فيما يخص الحدود الثلاثية وجاليتها العربية، من أين تأتي وماذا تتضمن هذه الإنشاءات التي تدعي أن للمنطقة صلاتٍ بالإرهاب، الصحافة الحامل الأول لهذه الإنشاءات، في طبيعة الحال، بين الفينة والأخرى يلوح في وسائل الإعلام البرازيلية تقريرٌ ما يشير إلى صلةٍ مفترضةٍ للجالية العربية في كلٍ من فوز دو إغواسو وسيوداد ديل إيستي بالإرهاب أو بما يسمى بالمجموعات الإرهابية. لا تلعب هذه التقارير إلا دور الإثارة الرخيصة، إذ أنها عادةً ما تمسّها إدماناتٌ لا تغتفر تؤدّي في حال جمعها، إلى تأكيد ما لا وجود له.

من النادر للغاية لا أريد أن أقول إطلاقاً، أن يوجد استثناءٌ ما قد فاتني – أن تكون تلك التقارير نتيجة لتحقيقٍ صحفيٍ عُمِل ميدانياً لهذا السبب عادةً ما تستعيد هذه التقارير خبراً ما نُشر في وسيلة إعلامٍ أجنبيةٍ، وكذلك عادةً ما تستعيد معلومات وتحاليل ليس للصحافة المحلية أيَ سيطرةٍ عليها، في أحيانٍ أخرى عديدةٍ، تشير أو تستعيد الصحافة تحاليل قام بها «ثينك تانْك» زعمٌ يمكن التشكيك بأن أصول تقاريره قد قُرئت، ويزيد التشكيك بأن استنتاجاته قد تم التحقق من صحتها، والأمر الأشد إزعاجاً أنه عادةً ما تكون هذه المواد فاقدةً لأيَ تماسكٍ منطقيٍ، فلا تتحمل أي محاولةٍ لتفكيكها، الخلاصة أنه في الجوهر، تميل الجرائد والأخبار إلى تطبيع الإنشاءات الأشدّ خطراً، مستعيدةً دون تمحيصٍ حججاً وروايات لها أصحابٌ ومغرضةٌ.

الوسيلة الثانية والمصدَرة للإنشاءات التي أتحدّث عنها هي مؤسسات «الثينك تانك» والتقارير التي تنتجها، بعضها مخصصٌ للعرض في الكونغرس الأمريكي أو مؤسساتٍ أخرى لتلك الدولة، تعاني التقارير التي أتيحت لي قراءتها أو سماعها

من المشكلة ذاتها، أي عدم التماسك الداخلي، ولكن علاوةً على ذلك، ثمة مشكلة مصداقية مؤلفيها وعدم انحيازهم، على الأقل ثمة تطبيعٌ للمواقف والحكم، وتقسيمٌ للعالم إلى أخيارٍ وأشرار، مما لا يتصادف بالضرورة مع رؤى الآخرين، التي قد تكون مشروعةً بالقدر نفسه.

يقودنا موضوع تطبيع الحقائق الأحادية الجانب إلى المصدر الأول لكلَ الإنشاءات المتهمة للحدود الثلاثية، إنَ حكومة الولايات المتحدة ومخابراتها، من خلال استراتيجياتها الأمنية وتقاريرها عن أنماط الإرهاب العالمي، هي المنتجة والمروجة الأكثر جهدًا لهذه التهم.

من الواضح أنَ قيمة هذه الانشاءات يجب أن تقاس استنادًا للواقع الفعلي ميدانياً، أي للحقائق، نستطيع أن نجد نقطة الانطلاق (وعليّ أيضاً أن أضيف: نقطة الوصول إلى حدّ بعيدٍ)، فيما يخص الحقائق في الاعتدائين بالقنابل اللذين حدثا في بوينس آيرِس عاصمة الأرجنتين سنة 1992، على السفارة الإسرائيلية، واعتداءٌ آخر سنة 1994 على آميا (الجمعية التعاضدية اليهودية الأرجنتينية).

قد قيل أنَ هذا النوع من الاغتيالات يُعمل بأسلوبٍ يحول دون المعرفة الأكيدة عمن قام به، لا أعلم إن كان هذا القول صحيحاً تماماً، ولكن ما يمكن أن أقوله بمطلق الأمانة هو أنني لا أدري أي يدٍ مِن وراء تلك الجرائم، وانطلاقاً من كل ما استطعت أن أجمعه حول الموضوع فثمة خلافاتٌ جسيمةٌ بين المؤسسات والمحققين والقضاة الارجنتينيين حول ما حدث بالفعل، الموضوع مليءٌ بأمورٍ عديمة اليقين وبالانقلابات منذ 23 سنة.

بما أنه ليس من مسؤوليتنا اكتشاف المذنبين، وبما أنه ليس من قدرتنا القيام بذلك فيمكننا أن نرضى لأغراضنا الخاصة، برسم خريطة العلاقات التي أقيمت خلال فترة التحريات، مع الحدود الثلاثية بيد أننا غير متمكنين من الحكم على قيمة ما يذكر فيها عن المنطقة.

حسناً تدَّعي الحجة الأكثر وروداً أنَ المنفّذ لعملية الاغتيال ضدَّ «آميا» قد يكون مناضلًا في حزب الله، وربما وصل إلى بوينس آيرس بعد مروره بالحدود الثلاثية، هذه بداية الحكاية ونهايتها، لم تسفر التحقيقات في هذا الحدث عن توجيه أي شكٍ نحو أيَ عضوٍ من أعضاء الجالية العربية هناك، وذلك بغض النظر عن عدم التمكُّن من تأكيد بعض الفرضيات أو تكذيبها، علينا أن نلاحظ أيضاً أنه منذ هذا الحدث لم تحصل أي تهمة إرهابٍ أخرى أو أي عمل عنفٍ آخر قابلٍ لهذا التصنيف ضدَ أيَ عضوٍ من أعضاء هذه الجالية.

كلما ذكر، سواءٌ كان في الأخبار أو التقارير، القبض على أي أحدٍ أو التحري عن أيَ موضوعٍ بحجة العلاقة بالإرهاب، ليس الامر، في الحقيقة، إلا تهمةً لها علاقةٌ بنوعٍ آخرٍ من الإجرام، إما تزييف الأموال وغسلها وإما التهرب من الضرائب وإما تهريب الأموال أو حتى تهريب المخدرات والأسلحة، إني لأسلم أن ثمة عرب مزورون ومهربون، ولكن يجب أن نواجه دوافع مَن يريد أن يصنف شخصاً عربياً مهرباً أو مزوراً بأنه إرهابيَ لمجرد كونه عربياً على عكس المهرب والمزور البرازيلي أو الباراغوائي.

عادةً ما تكون العلاقة المزعومة بالإرهاب – أقول مزعومةً لأنها تظهر في الانشاءات فحسب – تشكيكاً بالأموال المحصول عليها بعملياتٍ غير شرعيةٍ والموجهة إلى بعض المجموعات التي تعتبرها الولايات المتحدة إرهابيةً، رغماً من أن هذا لا يظهر صراحةً في الاتهامات الرسمية.

يكفي في بعض الأحيان أن يُحسب أن رجلاً ما متعاطفٌ مع هذه المجموعة أو تلك، وفي أحيانٍ أخرى يكفى أن تكون مسلماً وعضواً في الجالية، حزب الله الهدف الرئيسي بهذه الشكوك، مع أنَ حماس والقاعدة قد يذكران بين الفينة والأخرى، يعتمد هذا مبدئياً على انتماء المشكوك به إلى الشيعة أو السنة، ولكن حتى هذه الفكرة لا تخطر على بال الذين يسرعون بإطلاق التهم فتنقصهم الدقة في التصويب.

ليس هنا مجالاً للدراسة المعمقة حول هذه الكيانات ولرسم تاريخها والحكم على أفعالها بغية تصنيفها إرهابيةً أو إعفائها من هذه الوصمة، ولكنَ السؤال الذي يطرح نفسه قبل أي سؤالٍ آخر: إذا كان التصنيف الذي تقوم به الولايات المتحدة للمجموعات الإرهابية، وإذا كان ما تراه الولايات المتحدة خطراً على أمنها وعدواً لها يتوجب تقبله كحقائق منزلةٍ أو أنه من الجائز أن نستشرف العالم برؤيةٍ مختلفةٍ يا ترى؟ على سبيل المثال، يُصنَّف حزب الله على أنه إرهابي من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل وفي طبيعة الحال من قبل بعض الدول التي قررت أن تشاركهم في ذلك لسببٍ سياسي ما، مع أن الأمر ليس كذلك فيما يتعلق بالاتحاد الأوروبي[3] وبالبرازيل.[4]

في هذه الحالة، إذا كنت تتعاطف مع حزب الله لأنك تعتبره مجموعةً تقاوم الاحتلال الإسرائيلي للأراضي اللبنانية وتحمي لبنان من اعتداءاتٍ محتملةٍ، وإذا كنت متفقاً مع مشروعه السياسي بصفته حزباً لبنانياً وممثلاً شرعياً لإحدى الطوائف اللبنانية الأكثر عدداً في البلد وإذا كنت منحازاً الى رؤية هذه المجموعة وحلفائها تجاه القضية الفلسطينية وإذا كنت في يوم من الأيام قد أرسلت مالاً أو أعنت مدرسةً أو

3 يقيم الاتحاد الأوروبي فرقاً، فحزب الله بصفته حزباً سياسياً خارج الجدول، وأما ما يسمى بذراعه المسلح فداخل الجدول منذ 2013. هذا التمييز مصطنعٌ بشكلٍ واضحٍ، لأنه يضع انقساماتٍ حيث لا وجود لها، وتصلح فقط لتبرير تعاملٍ يراه الاتحاد ضرورياً مع عنصرٍ مهمٍ إلى هذه الدرجة في السياسة اللبنانية، حيث يجد شرعيةً كبيرةً، يشير كذلك إلى أن الإدخال في والإخراج من جداول من هذا النوع يعتمد على مقاييس وضغوطٍ سياسيةٍ أكثر من أيَ اعتبارٍ ذي طبيعةٍ تقنيةٍ.

4 فعلاً لا تصنف البرازيل حزب الله أو حماس كمنظمتين إرهابيتين، والعكس بالنسبة الى القاعدة، بسبب تطبيق البرازيل للقرار 1373/2001 لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، هذا التمييز هامٌ لأنه يدل على الفروق الشاسعة بين المنظمة الأخيرة والمنظمتين الأولى والثانية، بالرغم من أنني أكثف جهودي هنا لتفكيك العلاقات التي يشار إليها عادة مع حزب الله، علي أن أذكر أن هذا النوع من التطرف منعدمٌ في الجالية الإسلامية البرازيلية، بما فيها جالية الحدود الثلاثية، ومن الصحيح أنَ تلك الإنشاءات الاتهامية الأمريكية تجاه الحدود الثلاثية تكاد لا تلفت إلى وجود هذا الجنس من الإسلام المتطرف الذي تمثله القاعدة وأخيرًا داعش.

مستشفىً، منشأةً تعاونيةً لها أي علاقة مع حزب الله، أو حتى إذا كنت قد أرسلت مالاً إلى أقاربٍ لك يسكنون في جنوب لبنان، فمن الوارد أن تتهمك الولايات المتحدة بأنك إرهابيٌ أو مموِّلٌ للإرهاب.

من حقَ الولايات المتحدة أن تصنف هكذا المجموعات والأفعال التي تعتبرها إجراميةً، فهذه امتيازات أي دولةٍ حرةٍ وذات سيادةٍ، ولكنه من الجائز أن ترى الدول الأخرى هذه الأمور بشكلٍ مختلفٍ، من ناحيةٍ ومما لا يمكن تقبله الإرادة في فرض الاختيارات التشريعية والسياسية الأمريكية على البرازيل والباراغواي، وأن تدعا هاتين الدولتين لأنْ تتحولا إلى مجرد منفذتين للسياسات العامة الأمريكية التي تريد اختراق كلَ الحدود، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ لا يمكن أنْ تكون العدسات التي بها ترى الولايات المتحدة العالم الحقائق كما نراها فنبني على حسابها كلَ ما نقوله.

أما بالنسبة إلى الحدود الثلاثية، وبغض النظر عن الموافقات والاختلافات التي قد توجد في إدراك الدول أجمع تجاه الموضوع، فإنه ما زال ضرورياً أن تتأكد على وجه الواقع الاتهامات التي تطلقها الولايات المتحدة ودولٌ أخرى.

الحقيقة أنه لا يُوجد حتّى اليوم أيَ بُرهانٍ قاطعٍ على أنَ المال يسير من المنطقة لتمويل حزب الله أو أيَ مجموعاتٍ أخرى، ولا يبدو من المعقول أن يحتاج حزب الله إلى تمويلٍ من هنا أو أن يبحث عنه، كما سبق أن ذكرنا، عندما تصدر أيَ تهمةٍ ضدَ أيَ عضوٍ من الجالية العربية ينسبه أحدٌ ما إلى الإرهاب، إنما تقتصر فيما يخص الدولتين المعنيتين، أيَ البرازيل والباراغواي، على الحقائق المعتبرة جرائم في أراضيهما: غسيل الأموال وتهربٌ من الضرائب وتزييف للمنتوجات والتهريب.

على السلطات البرازيلية والباراغوائية وأيضاً الأرجنتينية، أن تقمع كلَ نشاطٍ تعتبره قوانينها خارقاً للشرعية، سواءٌ أكان في منطقة الحدود الثلاثية أو في أيَ مكانٍ آخرٍ من أراضيها، وفي حال حدوث أيَ نشاطٍ تجهيزيٍ أو تنفيذيٍ لاعتداءاتٍ

دمويةٍ تصنفها شرعيةُ كلَ من هذه الدول بالإرهابية، فيتوجب كذلك أن تقمع هذه النشاطات وتعاقب المسؤولين، هذا من حق كلَ الدول بما فيها دول الحدود الثلاثية.

ولكن ما معنى أن يشار بأصابع التهمة ودون هوادة إلى هناك، بتلويحٍ مستمرٍ إلى صلةٍ ما للمنطقة بالإرهاب، إذ أن بعد عقدين ونصف منذ بداية هذه الحكاية، لم يتمكن أحدٌ من إيجاد تهمةٍ واحدةٍ متماسكةٍ ضدَ أيَ واحدٍ من أعضاء الجالية العربية في فوز دو إغواسو وسيوداد ديل إيستي أيكون لهذه التهمة أدنى علاقةٍ بهذا النوع من العنف؟

في تينك المدينتين الكثير من المتعاطفين مع حزب الله، وكثيرون آخرون متعاطفون مع حماس، وحتى الذين يختلفون سياسياً مع هاتين المجموعتين ينظرون إليهما بعيونٍ جدَ مختلفةٍ عن عيون الولايات المتحدة وإسرائيل، فالكل هناك ضدَ الظلم الذي تمارسه إسرائيل على أهل فلسطين بمساندةٍ أمريكيةٍ غير مشروطةٍ. لا شيء من هذا يعتبر جريمةً في البرازيل أو في الباراغواي، وحتى في الولايات المتحدة ليست هذه المواقف جرائماً.

ولكن ثمة شيءٌ آخرٌ، لجزءٍ كبيرٍ من الجالية العربية في الحدود الثلاثية جذورٌ في الجنوب اللبناني، ولهم به صلاتٌ مكثفةٌ، يمكن أن يعتبر هذا الجزء من الجالية كذلك جزءاً لما قد يسمى بالقاعدة الاجتماعية لحزب الله بشكلٍ متصاعدٍ، فإن الإستراتيجية الامريكية تجاه هذه المجموعة تضعيفها، فتستهدف هذه القاعدة لكي تسحب مساندتها الأخلاقية والسياسية غير المشروطة للحزب ولنشاطه المقاوم.

من المفهوم، إذن، أن تضع الولايات المتحدة نقطة الحدود الثلاثية في جدولها كمنطقةٍ ذات شأنٍ لأمنها، من أجل اهتماماتٍ مرتبطةٍ بتهريب المخدرات والتزوير، وأيضاً من أجل احتياجها إلى إضعاف حزب الله وتأييده الشعبي في أيَ مكانٍ من العالم، وما يفسر هذا الاحتياج تطور حزب الله ونموه الذي ليس هنا مجال لتفصيلهما، فدور حزب الله الآن دور العدو الأقرب والأخطر لإسرائيل.

يدفع هذا الاحتياج الولايات المتحدة إلى الضغط على دول الحدود الثلاثية التي تسمح لها بالكثير، مراقبة المنطقة باستمرار وتتناقش حوله على حسب الأجندة الامريكية، أي بصفتها منطقةٌ يحتمل حدوث عملياتٍ إرهابيةٍ فيها.

ولكن وفقاً للحقائق، فإنه لم تثبت حتى أصغر التهم على أيَ مستوىً من المحاكم، التي تدعي سير التمويل من المنطقة إلى حزب الله، ولئن أثبتت فإنها في حدَ ذاتها لا تعتبر جريمةً بموجب القانون البرازيلي، والحق أنَ هشاشة التهم تقربها من المحال، وتترك توضيح الأسباب لهذا الإصرار وللبعد الذي يعطى للنقاش.

جزئياً فقط أظن أنَ هذا الفراغ سوف يُملأ فيما إذا اعتبرنا أنه وخصوصاً بالنسبة إلى حزب الله وقاعدة إسناده، فالضغط الذي يمارس تجاه الحدود الثلاثية هو عينه الضغط الذي يمارس على الجاليات الشيعية في إفريقيا، وبشكلٍ أشدَ ضدَ هذه الجالية في لبنان، وفيما يخصَ المسلمين على وجه العموم يجد هذا الميل لنسبهم إلى الإرهاب هدفاً يراه المتسرعون مناسباً في تلك المنطقة.

ولكن لا يكفي هذا الاعتبار وحده، فلم يزل ضرورياً أن نحسب حساب الأسباب التي تجعل الحدود الثلاثية منطقةً ذات أهميةٍ إستراتيجيةٍ للولايات المتحدة والطرق المتعددة التي بها تحاول هذه الدولة إقامة حضورٍ ذي وزنٍ هناك والتوظيف الملائم للتذرع بالخطر الإرهابي الذي قد تكونه الجالية الإسلامية هناك بغرض التوصل إلى أهدافٍ عدةٍ.

ها هي خلاصتي الوجيزة التي أحسبها ذات فائدةٍ: كثيراً مما قلته يعتمد في طبيعة الحال على تجربتي الحياتية الخاصة ويحمل بالتالي النبرة ذاتها الموجودة في الاعترافات، وللسبب نفسه من المؤكد أنَ أناساً آخرين قد يعبروا عن ذكرياتٍ وقراءاتٍ مختلفةٍ عني، ولكن لم تزل هناك حقيقةٌ أساسيةٌ هي كون جالية الحدود الثلاثية تماماً مثل أيَ جالياتٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ أخرى في البرازيل، وفيما يتعلق بالحجج على عدم وجود أيَ خطرٍ إرهابيٍ، قد يشير أحد بريبةٍ إلى أحد المواطنين وإلى هشاشة الحجج

استخرجت من تجربته الحياتية ومن اطلاعاته الخاصة، وقد يكفي لتفكيك هذا وذاك، إنتاج براهين تؤيد الإنشاءات الاتهامية، وهذا ما ينقصها بشكلٍ قويٍ حتى اليوم.

الهجرة اللبنانية إلى البرازيل: التاريخ والوضع الحالي.

موريلو سابي بوميهي*

إنَ تاريخ الهجرة اللبنانية إلى البرازيل سردٌ مألوفٌ تماماً لدى المجتمع المدني البرازيلي، ليس لأنه يختلط بالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي البرازيلي فحسب، بل كذلك لأنّ الكلام عن مجيء هؤلاء المهاجرين كان دوماً، ولا يزال موسوماً بأساطير تُقدِّر بُعداً واحداً لهذا التاريخ، وأيْضًا للاعتراف بمجموعةٍ محدودةٍ من ذوي الأدوار في هذه العملية، السيناريو الرسمي المتوقّع جدًّا للملحمة اللبنانية في البرازيل يكتنف جرعاتٍ معقولةً من المغامرة والإصرار ومن الرومانسية والانتصار المادّي، وهذه المعادِلة كرّرتْ نفسها في مجالاتٍ مُختلفةٍ مِن التكوين الثقافي البرازيلي، إمّا في الجزء الأكبر من الإنتاج الاكاديمي عن الموضوع، وإمّا في الذاكرة الحميمة لسلالهم حول هذه الهجرة، أو حتّى في مخيِّلة البرازيليين عمومًا عمَّن هُم «الأتراك» الذين ساهموا في إعمار البلد.

القضية التي ستُدرس في هذا المقال إذن، لا يجوز أن تُفهم أنها حول تمنع اللبنانيين وسلالهم التاريخي للوطن الذي استقبلهم، ليس الامتنان الثُّنائي بين البلدين ومواطنيهما موضعًا للتشكيك، فلا يُمكن محوه بإدخال منظورياتٍ أُخرى نقدية، لأن ثمار هذه التجربة تتجدّد بشكلٍ متعدّدٍ ومتنوعٍ منذ أن بدأ المهاجرون الأوائل يصلون بانتظامٍ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وممتدةً حتى أيامنا هذه، لا بل النقطة المركزية التي علينا أن نُناقشها هي ضرورة إعادة اكتشاف تاريخ اللبنانيين

* أستاذٌ منسقٌ في هيئة الدراسات العربية واليهودية التابعة لجامعة ريو دي جانيرو الاتحادية.

في البرازيل، انْطلاقًا مِن مفاهيمٍ ومجالات تحليل جديدةٍ، كتفكيك»أُسطورة التاجر الجوال، والاعتراف الأساسي مع كونه متأخّرًا، لدور النساء كشخصياتٍ فعّالةٍ في هذه التجربة الهجرية، والطهي بصفته موروثاً حميمًا ومسارًا ثقافيًا.

1. البائعون المتجوّلون/التجّار: أبعد بكثير من مجرَّد نجاحٍ اقتصاديٍ:

إنَ الحديث عن نجاح المهاجرين في مجال التجارة وبالتالي صُعود سلالهم الاجتماعي لهو الانطباع الأوّل عن الحضور اللبناني في البرازيل، في الأدب على سبيل المثال، صاحَبَ التُّجّارُ «الأتراك» دورات الازدهار الاقتصادي البرازيلي ليدخلوا في مجاهل البلد، في مؤلفات الروائي الكبير جورجي آمادو، شخصياتٌ سوريةٌ ولبنانيةٌ مثل نسيب في روايته غابرييلا القرفة والقُرنفل (1958)، وفضول عبدالله في روايته الكمين الكبير: الوجه المظلم (1984)، ورضوان مُراد في روايته اكتشاف أمريكا من قِبل الأتراك (1994)، من بين آخرين، جميعها شخصياتٌ ماهرةٌ في اشتمام رائحة الثراء في العصر الذهبي لإنتاج الكاكاو في جنوب ولاية باهيا، أما عند الكاتب ميلتون حاطوم، فشخصياتٌ مثل إيميلي في روايته قصة شرقٍ ما (1989)، والزوج زانا وحليم في روايته شقيقان، هي التي تؤسّس العلاقة بين المهاجرين اللبنانيين والتجارة في طرق الازدهار في المنطقة الأمازونية، وهناك روايتان لهما رمزيةٌ خاصّةٌ فيما يتعلّق بحضور التاجر الجوال في الأدب البرازيلي: الفلوس في الطريق: ملحمةٌ للمهاجرين (1987)، لإيميل فرحات، التي حصلت على جائزة جابوتي لسنة 1988، ونورٌ في الظلام (1999) لسليم ميخائيل، وبطبيعة الحال فإنَ ذلك على سبيل المثال لا الحصر.[1]

وخارج النطاق الأدبي، فإنَ تمثيل هؤلاء المهاجرين قد خُلق من خلال العلاقة بالتجارة، وذلك في إنتاجات ثقافيةٍ أخرى، كالبرامج الهزلية في التلفاز البرازيلي، من أشهر المشاهد للممثِّل الهزلي البرازيلي شيكو آنيزيو في برنامجه مدرسة الأستاذ رايموندُ

1 Hassan، 2017، ص ص 550-549.

هو ذلك المشهد الذي كان فيه الممثِّل جواو إلياس يَلعب دورَ تاجرٍ يدعى سليم مُشيبة، الذي يجسّد التعبير الأوضح للرؤى إزاء المهاجرين السوريين واللبنانيين في البرازيل، إذ أنَ الجُمل المنمطة التي تنطق بها تلك الشخصية الهزلية كانتْ تُشير مباشرةً إلى الحنكة التجارية المنسوبة للعرب عامّةً، ومنها عندما يسأله المدرّس سؤالًا ما فكان يبدأ جوابه بـ «اسألْني نقدًا وأنا أُجيبكُ بالتقسيط»، وفي مسلسل لطماتٌ وقبلاتٌ لعب الممثل فلافيو ميلياتشو دور شلّيطة، وهو صاحب مطعمٍ عربيٍ في حي كوباكابانا في الريو دي جانيرو، مورّطٌ دائمًا بحالاتٍ غريبةٍ عجيبةٍ مع زبائنه.

من جانب ما، إن كان يُؤخذ البعد الهزلي لهؤلاء المهاجرين في البرازيل على أنه عنصر يؤيّد استيعابَ اللبنانيين في المجتمع البرازيلي، فَمِنْ جهةٍ ثانيةٍ يَجِبُ أنْ نؤكّد أنّه على غرار تجارب هجرية أُخرى كتجارب اليابانيين والإيطاليين، فإنَ التكامل الاجتماعي قد أحدث أيضًا ردودَ فعلٍ استنكاريةٍ، والحفاظ على الأساطير الأولى، كأُسطورة نجاح البائعين المتجولين اللبنانيين، لهو ردُّ فعلٍ من الجالية نفسها ومن سلالها ضدَ التفرقة الاجتماعية، إنّ مسيرة استغراب المجتمع المدني البرازيلي بالنسبة إلى المهاجرين اللبنانيين قد اتسمت بعلامة عدم الثقة، وعلى حدِّ قول المؤرخ بوريز فاوستو:

«هذه الصور الحميمة للتجار اعترتها بعض الشبهات، فالأتراك نادراً ما يختلطون، ويميلون إلى الزواج من ذويهم، وفي أحيانٍ كثيرةٍ يستوردون زوجاتهم من بلدهم، ولم يكرسوا أنفسهم لزراعة البن (والهجرة لم تشجع إلا لهذا الغرض)، وهم انطوائيون جداً، ثقافياً واجتماعياً، وإلى حدٍّ ما فإنه من الطبيعي أن تؤدّي هذه المجموعة من الصفات، بالإضافة الى انكبابهم على التجارة التي من شأنها عادةً أنْ تثير الشبهة بالمكاسب السهلة، أخيرًا كلّ هذا يؤدّي إلى خلق بعض الأنواع من التفرقة

والنظرات المسبقة، وبالفعل فإنه لا شكَّ من أن هذه الأمور قد وُجدتْ واستوجبتْ المواجهة».[2]

إنَ الوصمات المختلقة حول المهاجرين العرب قد وصفت عامة من قبل الباحث باولو غابرييل حلو دا روشا بِنْتو على أنها نوعٌ برازيليٌّ من الاستشراق الأوروبي، الإنشاء الازدرائي حول الشرق، الحاضر في أوروبا انطلاقًا من توسيع إمبراطورياتها على حساب إفريقيا وآسيا، قد تجدّدت أبعاده في البرازيل، من النخب المحلية إلى المجتمع عامةً، متحوِّلًا من استشراقٍ تطبيقيٍ إلى استشراقٍ لفظيٍ بغيةَ الرقابة وردع التأثير الثقافي للهجرة على المجتمع البرازيلي،[3] فعدم الثقة إذن عنصرٌ حاضرٌ بشكلٍ مكثّفٍ في تجربة المهاجرين اللبنانيين البرازيلية، مع أنه قد اضمحلَ أو حتّى التغى بسبب اختلاف الاستراتيجيات الانشائية للتقبُّل الاجتماعي في المجتمع المحلّي، مِن خلال التكرار الممنهج لأسطورة التاجر الجوال.

وأُسطورة التاجر الجوال هذه تُعيد بناء مكان المهاجرين اللبنانيين في البرازيل لكونها تؤالف بين حضور هذه الشخصيات في الأوساط الحضرية للدولة وبين قيم التحديث والرأسمالية، المنتشرة منذ أوائل القرن العشرين. الاغتناء الشرعي والمشهور قد يُفيد كنوعٍ من الترياق ضدَّ الصورة المنمّطة عن الانطوائية الاجتماعية المنسوبة عمومًا إلى العرب. وبالرغم من أن هذه العملية المتفاعلة بطيئةٌ وتدريجيةٌ، فإنها شكّلتْ مَخرجًا مغويًا بالنسبة إلى المهاجرين اللبنانيين وسلالهم، لم يُسمِّ باولو حلو اعتباطًا الأُسطورة المذكورة أعلاه بـ «السرد الرئيس» للهجرة العربية إلى البرازيل:

بشكلٍ عامّ، فإنَ «السرد الرئيس» للدراسات عن الحضور العربي في البرازيل يمكن أن يُلخّص على أنه ملحمة مُهاجرين كانوا قد فرّوا من الفقر والظلم السياسي والاضطهاد الديني في إمبراطوريةٍ عثمانيةٍ تحتضر. قَطَنَ هؤلاء المهاجرون في

2 Fausto، 2000، ص 53.

3 Pinto، 2016، ص 53.

المدن الكبرى البرازيلية، حيثُ بدأوا نشاطَهم الاقتصادي كباعةٍ متجوّلين، ثم دفعهم الرأسمال الذي حصلوا عليه في التجارة الجوالة إلى أنْ يستقيموا في التجارة الرسمية، ففتحوا محلاتٍ، وفي بعض الحالات التي سمحت لهم أو لأحفادهم بالازدهارَ التجاري دخلوا في مجال الإنتاج عبر تأسيس المصانع، والرأسمال الذي حصلوا عليه في التجارة والصناعة تحوَّل إلى رأسمالٍ ثقافيٍّ من خلال الإنفاق على التعليم العالي لأبنائهم المولودين في البرازيل.[4]

إنَ كثافة الهاجس بالاندماج الاجتماعي لهي حقًّا متناسبةٌ مع سعة الوصم الذي تعرض لهُ هؤلاء المهاجرون، وفي هذا المعنى فإنَ بعض الحالات تستحق تمييزًا مفصلًا بصفتها أمثالًا لأحاديث مضادّة للهجرة وللمكانة الاجتماعية البارزة التي أحرزتها الجالية اللبنانية في المراكز الحضرية البرازيلية، يذكر الباحث أُوزفالدو تروزي في عمله عن السوريين واللبنانيين في ساو باولو، حالةَ نائبٍ في مدينة ساو جوزيه دو ريو بريتو اسمه بورفيريو دي ألكانتارا بيمينتيل، الذي اقترح قانوناً للتخلّص ممّا رآه حيلة «الأتراك» لكي يخدعوا زبائنهم، والفكرة في ذلك القانون الجديد هي منع هؤلاء التجار من التحدّث باللغة العربية بالقرب من زبائنهم البرازيليين، لأن المضمون المشكوك به لما كان يقوله «أولئك البشر» قد يسهِّل الخدعة في معاملاتهم مع البرازيليين: «كلَ تركيٍ يتكلّم باللغة التركية بالقرب من برازيلي سيدفع غرامةً قدرها 10 آلاف ريالٍ لخزانة البلدية».[5] هذا الحدث العائد إلى سنة 1906، يكشف كيفية تحوُّل مشكلةٍ ذات طبيعةٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ تؤثّر خاصّةً على النخب التجارية التقليدية في تلك المدن إلى قضيةٍ سياسيةٍ وأمنيةٍ يجب حلّها على حسب القانون والقوة الإجبارية للدولة البرازيلية.

4 Pinto، 2010، ص 17.

5 Truzzi، عن Meihy، 2016، ص 176.

على أيَ حالٍ، فإنَ التجارة الجوالة والممارسات التجارية الأُخرى المستخْدمة مِن قِبل اللبنانيين في تجربتهم الهجرية في البرازيل لم تكن على الإطلاق شيئًا خارجًا عن العادة بالنسبة إلى سكّان المدن البرازيلية. فالمشكلة إذن، ليستْ بالضرورة الممارسات التجارية وعدم الأمانة المفترض لدى أُولاءِ التجار، بل فيما يخصّ المهاجرين اللبنانيين، صورة النجاح الاقتصادي التي كان يجب أن تُجابه علانيةً.

في بحثه عن السوريين واللبنانيين في ساو لويز عاصمة ولاية مارانياو، يعرض مارسيلو ماغالياز مثلاً جديداً وجديراً بالاعتبار حول الوصم، ففي صفحات الجريدة المحلية آباكوتيليا، العائدة إلى أوائل القرن العشرين، كانت الرسالة واضحةً: «كم تساوي هذه الهجرة العربية المنشودة إلى هذا البلد، وطريقتهم في التعامل التي تضرَ التجارة الجدية والأمينة في هذه المحلة»[6]، عندما يثبت فرقاً واضحاً بين التجارة التي يمارسها السوريون واللبنانيون من جهة وأمانة تجار المدينة التقليديين، يكشف خبر تلك الجريدة أن القضية تتعلق بالمنافسة المربكة على السوق، والتي بدأت بإقامة المهاجرين هناك.

وهكذا فإنَ أسطورة التاجر الحوال الذي اندمج بشكلٍ وديعٍ في المجتمع مساهمًا فيه وفي اقتصاده الوطني تواري تعددية التجارب للهجرة اللبنانية إلى البرازيل، إذ أن هذه الأسطورة، تحوّل فقط أولئك الذين يمكن إسقاط «السرد الرئيس» عليهم إلى أبطالٍ مميزينٍ.

إذا كانت كلٌ من ولاية ساو باولو وولاية مارانياو قد أنتجت أمثلةً لا يكمن الاعتراض عليها على أنَ الهجرة اللبنانية إلى البرازيل بعيدةً كلَ البعد عن التكرار المستمرّ لأُسطورة التاجر الجوال الذي يجد الخلاص عندما «يُظهر نفسه أمريكياً»، فلقد حصل في كوريتيبا عاصمة ولاية بارانا، في 8 من كانون الأول سنة 1959، كسر منطق «السرد الرئيس» كمرجعٍ وحيدٍ للحضور اللبناني في البرازيلي، في ذلك

6 Magalhães، 2011، ص 2.

اليوم كسبت المواجهة بين الروح المحافظة المحلية والحضور غير المتقبل للبنانيين في المراكز الحضرية الكبرى أبعادًا غير متوقعةٍ حتى تلك اللحظة.

كانت آنذاك حكومة ولاية بارانا قد بدأت حملةً لزيادة جباية الضرائب وذلك بتشجيع المستهلكين على أن يطلبوا الفواتير من المحلات التجارية عند شراء البضائع، فأخذ السكان بتلبية ذلك لأن تلك الفواتير كانت تبدل بتذاكر يترشحون من خلالها لقرعةٍ جائزتُها مليون كروزيرو، اسم العملة البرازيلية وقتئذٍ، وتقايض الفواتير بالتذاكر كلَ ما أتمت ثلاثة آلاف كروزيرو من المشتريات، والمبلغ الأدنى المطلوب لإصدار كلَ فاتورةٍ هو خمسون كروزيرو، فحدث في كوريتشيبا أن اشترى الملازم في الشرطة أنطونيو تافارِز مشْطًا سعره أقلّ من خمسين كروزيرو، ولكنه أصرَ على صاحب المحل اللبناني أحمد نجار بأن يصدر له فاتورةً، فرفض الآخر، فاشتدّتْ المشاجرة بين الزبون والتاجر، ووصلت إلى حدّ تبادل الشتائم والاعتداء بالضرب، وسرعان ما انتشر في المدينة خبرُ المواجهة، وبين ليلةٍ وضُحاها تحوَّل الأمر إلى موجةٍ من العنف والتدمير استغرقتْ يومين، عُرف الحدث بـ «حرب المشط»، واستوجب تدخّلَ القواتِ المسلَّحة لإيقافه، في مقالٍ عن هذا النزاع، قال الباحث جميل زغيب نيتو:

قد كرَّرتْ الجرائدُ ذلك وعملتْ من أجل تضخيم ذلك الحقد العرقي، مبالغةً دون شكٍ، في عناوينها الرئيسة: «إعلان حرب ضِدَّ الأتراك»، تمرُّدٌ له «سمات المذبحة المنظّمة على الطريقة النازية»، مؤكدةً أنَ «الشرطة هزمها الشعب في الشوارع والميادين» (جريدة «دياريو دو بارانا»، 1959/12/9).[7]

على المؤرخين التفكيك المستمر لأسطرة السرد حول الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، والمرحلة الأولى لهذه الممارسة النقدية تمر من تأسيس نظرةٍ جديدةٍ عن أسطورة التاجر الجوال، الانطباع أنَ العلاقات بين البرازيل ولبنان تنساب بطريقةٍ طبيعيةٍ وتلقائيةٍ ليس أكثر من غرور، كما أن الاندماج التلقائي والطبيعي اللبناني في

7 Zugueib Neto، 2009، ص 52.

المجتمع البرازيلي ليس اكثر من غرور، ولكن ذلك أثّر على الأجندة الدولية التي تربط بين البلدين.

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ البرازيل ولبنان لهما علاقاتٌ دبلوماسيةٌ منذ سنة 1944، فإننا نندهش من أن لبنان استقبل فقط رئيساً برازيلياً واحداً في زيارة رسمية، هو لويز إيناسيو لولا دا سيلفا، سنة 2003، وذلك بالرغم من الزيارة الشهيرة التي قام بها الامبراطور بطرس الثاني إلى الشرق الأوسط في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأيضاً بالرغم من الوصول إلى رئاسة الجمهورية لسياسيٍ ذي أصولٍ لبنانيةٍ هو ميشال تامر، كم هي معبرةٌ للغاية كمية رؤساء الجمهورية ورؤساء الورزاء الذين قاموا بزياراتٍ رسميةٍ إلى البرازيل منذ استقلال البلد سنة 1943، من زيارة الرئيس كميل شمعون إلى الرئيس جيتوليو فارغاس لغاية زيارة الرئيس ميشال سليمان إلى الرئيس لولا سنة 2010، عدم التوازن بين زيارات البرازيليين واللبنانيين يتّبع خطوات التجربة الهجرية التي نقوم هنا بوصفها: الأسطورة تحذف ثم تُسْكتُ ثم تستبعد إمكانياتها تدريجيًا، فإنْ كانتْ التجارة القاعدة التاريخية لتأسيس علاقات القرابة بين كلا البلدين، فعلى المراحل المستقبلية تجاوز هذا الحدّ الأولي، لكي تخلق أجندةً سياسيةً وثقافيةً مشتركةً، واسعةً ونشيطةً.

2. النساء اللبنانيات: البطلات الدائمات لهجرةٍ قديمةٍ:

من جميع وجوه الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، الوجه الذي كان عرضةً أكثر للسكوت عنه من أسطورة التاجر الجوال هو دور شخصياتٍ اجتماعيةٍ أخرى تُعتبر ثانويةً ليس في تاريخ الحركات الهجرية فحسب بل في أي بحثٍ عن تاريخ عوالم العمل، والآن يمكن للمؤرخين إعادة النظر على مسار اللبنانيين الطويل في البرازيل انطلاقاً من شخصياتٍ ليست أقلَ نشاطًا وشأنًا من البائعين التجّار الذين يميّزهم «السرد الرئيس»، ألا وهنَ النساء اللبنانيات.

بالرغم من أنّ الأعمال الأكاديمية التي تستخدم المقاييس المنهجية للتأريخ الشفَهي قد تضم نساءً إلى من قد عمَلت المقابلات معهم، فإنّ مُساهمة تلك الشخصيات الأساسيّة في العمليّة الهجريّة غالبًا ما تكون مشروطةً بالسيناريو الرسمي المذكور أعلاه للدراسات عن الشتات اللبناني: مغامرةٌ وإصرارٌ، ورومانسيةٌ ونجاحٌ مادّيٌ، فالنساء اللبنانيات بصفتهنّ فرديات يعتمد الاعتراف الاجتماعي بهنّ على البنية الأُسرية، إمّا كأمٍّ وإمّا كزوجةٍ أو ابنةٍ، فإنهنّ لا يصلحنَ للخِطاب الجريء الذي يُنسب إلى التاجر الجوال، وعلى حدِّ قول الباحثة سميرة عثمان:

تاريخيًا، عولجت الهجرات على أنها عمليةٌ ذكوريةٌ، إذ أنه نُسبتْ إلى الرجال مسؤولية الهجرة والقرار باتخاذها، باعتبارها، قبل كلّ شيءٍ، هجرة عمل، كما أشار صياد (1998). ونُسب إلى النساء دور التابعة في ذلك المسار، تقتصر مسؤوليتهن على البنية الأسرية والحِفاظ عليها في مناطق مختلفةٍ وتحت ظُروفٍ جديدةٍ، وأيْضًا المحافظة على القيم الثقافية والتفاوض بين الهويات العرقية والوطنية، وهكذا فإنَّ دورَ النساء في العملية الهجرية قد عُولج بطريقتين لا ثالثَ لهما: إمّا مُهمَلاتٍ أو مجرّد تابعاتٍ. بشكلٍ أو بآخر، هذا يعني أنَّ الأهميةَ الممنوحةَ لظاهرةِ مُشاركةِ النساء في العملية الهجرية هي إمّا ضئيلةٌ أو مُنعدمةٌ.[8]

وبعد مرور أكثر من 130 سنةٍ على الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، فإنَ تمثيل المرأة اللبنانية، بما فيه تمثيل المرأة العربية بشكلٍ عامٍّ، عليه أنْ يتجاوز الفكرة المنمَّطة التي تدّعي أنّ مشاركتها في عالم العمل حتمًا تكميليةٌ وتابعةٌ لدور التاجر الجوال، والحقيقة التي تفرض على هؤلاء النساء المهاجرات، لأسبابٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ، عدمَ قدراتهنَ على ترك الأعمالِ المنزلية، تفرض كذلك على أغلبيتهنَ القيامَ بخدمةٍ يوميةٍ مزدوجةٍ، في المنزل وفي المحلّ التجاري، وليستْ هذه السمة خاصّةً بالنساء اللبنانيات أو أيّ جنسيةٍ أُخرى في سياق الهجرة، بل في مجتمعٍ مدنيٍ كالبرازيلي

8 Osman، 2011، ص 115.

الذي يُعتبر عُمومًا أقلّ «أبويةً» من المجتمعات العربية، فإنَ ازدواجية العمل للنساء واقعٌ لا يتغير. فبموجب مُعطيات تقريرٍ عنوانه «صورة التفاوتات الناتجة عَن الجنس وعَن العرق»، الذي نشره مؤخّرًا معهد البحوث الاقتصادية التطبيقية التابع للحكومة البرازيلية، فإنّ معدّل عمل النساء يزيد على معدّل عمل الرجال بسبع ساعاتٍ ونصف أسبوعيًا، و الحقيقة أنّ أكثر من 90% من النساء قلن إنّهنّ يقمن بأعمالٍ منزليةٍ بعد دوام العمل العادي.[9]

في حالة النساء اللبنانيات، فإنَ العمل المزدوج هو واقعٌ اجتماعيٌ سواءٌ في مجتمعهنَ الأصلي أو في المجتمع الذي استقبلهنَ، لا يعني هذا أنه ليس لأولئك المهاجرات دورٌ بالغٌ الأهمية في النتائج المادّية للتجربة العائلية في الهجرة.

في عملها عن دور النساء السوريات واللبنانيات في الهجرة إلى البرازيل، تنطلق الباحثة مارْسيا سيكيرا من قصصٍ حياتيةٍ لكي تصف الأداء التجاري البارز لهؤلاء النساء في شتى المراكز الحضرية، مثل مدينة ريو نيغرو، في ولاية بارانا.[10] وهكذا فإنَ مسؤولية المهاجرات اللبنانيات ودورهن البطولي في التجربة الهجرية يتبرر بعوامل كثيرةٍ تكوّن صورة هذه الهجرة إلى جانب التجار الجوالون، كالعمل المباشر مع الزبائن والقيام بالعمل اليومي المنزلي وأخيراً المحافظة على عادات الوطن الأُمّ ونشر هذه العادات في البرازيل واستيعابها مما يُعين على الاندماج في المجتمع الذي استقبل المهاجرين. وإذا كان البائع المتجول هو من يخرج إلى الشوارع ليغري الزبائن بقدرته على التحايل لدى التعامل التجاري المباشِر، فإنه عندَما يتمكن من أن يفتح محلاً تجارياً ثابتاً فإنَ النساء هنَ من يقمن بإدارة هذا المشروع الثاني، مكملاتٍ للدخل العائلي، وبالإضافة إلى ذلك يحصلن الاعتراف بعملهن كجزءٍ مهمٍّ من الميزانية المنزلية.

9 IPEA، 2017، ص 37.

10 Siqueira، 2006، ص 6.

أمّا بالنسبة إلى القضايا المتعلّقة بالجنس، التي ستزيد أهميتها في الدراسات عن الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، تلفت سميرة عثمان إلى عنصرٍ جديدٍ يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار: تحليل التيار الهجري على أساس الذين يعودون إلى لبنان، حاملين معهم كل التغيرات الثقافية والاقتصادية التي مروا بها طوال الفترة التي عاشوها في البرازيل. يفرض إدخال هذا المشهد الجديد من البحوث ضرورة دمج روايات الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين إلى العمل الأكاديمي، إذ أنَ أولئك الشخصيات تضفي مزيدًا من الديناميكية إلى ما تكونه فعلاً حياة الهجرة، في أحيانٍ كثيرةٍ مواليد البرازيل هم مَن يتولون في لبنان الوضع الاجتماعي لآبائهم وأجدادهم، انطلاقاً من هُويةٍ مقسّمةٍ بين بلد الأصل وبلد الاستقبال، تبين عثمان أن الجيل الذي يذهب من البرازيل إلى لبنان يأخذ معه فكرةً معينةً عن العمل الذي يقلب أسطورة التاجر الجوال، لأنَ التجارة تتماشى مع النزعات الجديدة للسوق، موسِّعةً مجال عملها إلى قطاع الخدمات، في حالة النساء من خلال العمل كمُمَرِّضات وخَيّاطات ومُدَرِّمات.[11]

إنَ النقاش حول القضايا المرتبطة بالجنس في تاريخ الهجرة اللبنانية ووضعها الحالي يفتح إذن، إمكانياتٍ جديدةٍ للرؤى العلاقات بين كلا البلدين، وكذلك الطريقة التي من خلالها تعترف المخيلة الاجتماعية ليس فقط حول صورة النساء اللبنانيات، بل صورة المرأة العربية على وجه العموم. على حدَ قول سميرة عثمان: وهكذا فإنَ فهم أداء المرأة في العملية الهجرية بين لبنان والبرازيل سيُعين بالتأكيد على تجاوز النظرة المسبقة فيما يخصّ الصور النمطية عن الخنوع والمشاركة الضئيلة (أو المنعدمة) في التنظيم العائلي لهذه المجموعة، وكذلك سيسمح بأن يُكشف الوجه الآخر لهذه العلاقة المعقدة، التي يتجاوز فيها الحضورُ النسوي الفضاءَ المنزلي، لأنّ مساهمتهنَ حادّةً جدًّا في المحافظة على القيم التقليدية والتكيّف مع القيم الجديدة المكتسبة خلال العملية

11 Osman، 2011، ص 124-123.

الهجرية. المشاركة في العمل إحدى الإمكانيات للتطرُّق إلى الموضوع بطريقةٍ تهدف إلى تجاوز الرؤى المنمَّطة عن النساء العربيات خِلال الهجرة.[12]

3. طعم الهجرة له نكهة الانتصار:

التركة اللبنانية الأكثر شعبية في البرازيل، بدون شك، هي الأطباق والمأكولات التي قد دخلت في صلب العادات الغذائية في أيَ مركزٍ حضريٍ برازيليٍ: الزبادي والحمّص والتبّولة والكُبّة والصفيحة (الفطيرة) والمبهّرات التي تمنح الطعمة لتلك الأكلات الشهية. من جميع العناصر الراسخة في الذاكرة الحميمة للبنانيين وسلالهم في البرازيل، الطبيخ هو المحرّك الأول كعلامةٍ للهوية، قبل اسم العائلة وحكايات الأقارب المحبوبين مثل الأعْمام والأخْوال والأجْداد وقبلَ حتّى تقديم طلب الجنسية اللبنانية للقنصليات.

أهمية الطهي كعلامةٍ للذاكرة الحميمة تمنح فعل الأكل بُعدًا سياسيًا، يستخدم عمومًا المهاجرون واللاجئون والمنفيون العلاقةَ بطبيخ أرضهم الأصلية كأداةٍ لإعادة الاقتراب من عالمٍ سُحب منهم لظروفٍ خارجةٍ عن إرادتهم أو كإستراتيجيةٍ مؤقّتةٍ للبقاء على قيد الحياة، يؤسّس الطهي إذن اتصالاً مباشراً مع هذا العالم المفقود، جاعلاً الفرد يتصل بشظيةٍ من حياته تمَ فصله عنها قسرًا[13]، والقيام بطبخ ما هو حميميٌ ومعترفٌ به كإرثٍ ثقافيٍ كذلك ينظم نوعاً من الذاكرة الطقوسية التي تندمج في حياة المهاجر اليومية. إذا كانت الأسرة هي نواة التجربة الهجرية عامة ووضع اللبنانيين لا يختلف عن غيرهم، فإنَ الطاولة بمثابة أداة تجسيد وحدة العائلة، فيها

12 نفس المصدر، ص 132.

13 Bardenstein، 2002.

تتكرر مقاييس التصرّف التي تعيد إنتاج التصوّرات عن كلّ من عالمي العمل والمنزل، كمثل الهرمية والاحترام والوتيرة اليومية.[14]

ولكن، من داخل المنطق الهجري، يكتسب الطهي وظيفةً أخرى تسمو على حُدود العاطفة في الميدان العائلي الخاضع للهرمية. في العالم الجديد للخدمات التي تعرضها النساء المهاجرات، سواءً كانت اللبنانيات المقيمات في البرازيل أو حتى اللواتي عدن إلى لبنان، يكتسب الطهي البرازيلي غايةً مزدوجةً: فمِن جهةٍ تلبّي الاحتياج الإرثي لذاكرة الحياة العائلية، ومن جهةٍ أخرى يتحوّل إلى سوق عملٍ ومبادرةٍ، تذكر سميرة عثمان بعض اللبنانيات العائدات إلى الوطن أجرت مقابلاتٍ معهن في لبنان، فصرّحن أنّه إلى جانب نشاطهنَ كأُمهاتٍ ومدرِّماتٍ، أخذن كذلك بطبخ المأكولات البرازيلية وبيعها في مدنٍ لبنانيةٍ تضمَ عددًا كبيرًا من العائلات التي عاشت خلال فترةٍ ما من حياتها في البرازيل، في هذا السياق فإنّ بعض المدن اللبنانية المعروفة بعلاقات أهلها بالهجرة الى البرازيل، خاصةً في منطقة سهل البقاع (تحديدًا لوسي والسلطان يعقوب وكامد اللوز وغزّة، الخ)، قد ملأت بالعرض المتصاعد للمأكولات البرازيلية، كمثل الخبز بالجبن ولحم الدجاج المقلي بالعجين، والسنبوسق وأنواعٍ شتَّى من الحلويات.

ونتيجة هذا التبادل الثقافي الدينامي بين البرازيل ولبنان خلاقةٌ ومكثّفة وثُنائيةٌ ولا يمكن إيقافها، وهي ليست قضيةً غرائبيةً غذائيةً فحسب أو عنصرًا سطحيًّا في ما يخصّ العلاقة بين البلد الأصل والمجتمع المستقبل، على الدراسات عن تاريخ الهجرة اللبنانية و عصرها، والآن كذلك عن العائدين إلى لبنان، أن تسير نحو فهمٍ خلاصته أنّ إنتاج المعطيات الديموغرافية والمعلومات الكمّية يجب أن يتمَ تجاوزه، في مجال التاريخ الثقافي مثلاً نادرًا ما يُعمل ذلك لتلبية الاحتياجات التحليلية لهذه الحقائق المستجدّة وغير المتوفّقة مع «السرد الرئيس» عن التاجر الجوال، على مؤرّخ

14 Heck، 2003، ص 9.

الهجرة اللبنانية إلى البرازيل أن يركن فقط إلى الملفّات وإلى كتابة تاريخ يبنيه داخل جدران غرفة الأبحاث فما ينقصه إذن، هو روح التاجر الجوال.

على مؤرخ الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، كما حدث للتاجر الجوال أن يفهم أيضًا أنَ التجارب الهجرية متعددةً وغير مستقرة. إنَ الذين أُسكتوا ونُسيوا أو الذين لم يحظوا بالتكيف مع السيناريو الرسمي المتحدّث عن المغامرة ثم الاغتناء، هم أيضاً مشاركون في قصّة شتاتٍ ما زالت على قيد التنفيذ، من الجائز الانطلاق من قصة حياة «الجدو حبيب» للمناقشة الأكاديمية عما هو معنى الهوية المكسورة بالنسبة للمهاجر، تاريخ الهجرة اللبنانية ليس ملكًا للأسر الناجحة ولا للسياسيين ذوي أسماءٍ عائليةٍ عربيةٍ، ولا للمجموعات الأكثر هيمنةٍ على مثل «الذكور» و «المسيحيين» و «المسلمين»، النساء والأطفال والشبان الذين ينتقلون من المدن البرازيلية الكبرى إلى قُرى سهل البقاع بين آخرين، وكذلك المهاجرون الأوائل الذين أتوا من لبنان إنهم جميعًا جزء مهمّ من هذا الإرث الثقافي.

أخيرًا، يبدو أن العتيد «سليم مشيبة» مُحقّ شيئًا ما وهو يُضحكنا على ما نحن عليه: مؤرخو الهجرة اللبنانية يسألون «نقدًا» فيُجيبهم التاريخ «بالتقسيط»، متقاضيًا فائضًا باهظاً.

المراجع:

BARDENSTEIN, Carol. Transmissions interrupted: reconfiguring food, memory, and gender in the cookbook -memoirs of Middle Eastern exiles. Signs, v. 28, n. 1, 2002.

FAUSTO, Boris (org.). Fazer a América: a imigração em massa para a América Latina. São Paulo: Editora da Universidade de São Paulo, 2000.

HASSAN, Wail S. (ed.). The Oxford Handbook of Arab Novelistic Traditions. New York: Oxford University Press, 2017.

HECK, Marina de C. Adapting and Adopting: The Migrating Recipe. In: FLOYD, J. et FORSTER (eds). The Recipes Reader: Narratives, Contexts, Traditions. Aldershot: Ashgate Publishing Company, 2003.

MAGALHÃES, Marcelo V. Sírios e libaneses na cidade de São Luís no início do século XX: relações de alteridade e a busca pelo lugar comum. Simpósio Nacional de História – ANPUH, 2011.

MEIHY, Murilo. Os libaneses. São Paulo: Editora Contexto, 2016.

OSMAN, Samira A. Mulheres Árabes e a Participação Econômica no Processo Migratório entre Brasil e Líbano. Mandrágora, v. 17, 2011. São Paulo.

PINTO, Paulo Gabriel da Rocha. Árabes no Rio de Janeiro: uma identidade plural. Rio de Janeiro: Editora Cidade Viva, 2010.

PINTO, Paulo Gabriel da Rocha. El labirinto de espelhos: orientalismos, imigração e discurso sobre a nação no Brasil. Revista de Estudios Internacionales Mediterráneos, n. 21, 2016. Madri. RETRATO das Desigualdades de Gênero e Raça – IPEA. Brasília: 2017.

SIQUEIRA, Marcia D. Revivendo a colônia: o papel da mulher imigrante sírio -libanesa no Brasil. Seminário Internacional Fazendo Gênero 7. Florianópolis, 2006.

ZUGUEIB NETO, Jamil. Libaneses na “Guerra do Pente” em Curitiba Sofrimento étnico e integração cultural. Tiraz, v. 6, 2009. São Paulo.

العرب والمسلمون والسوريون واللبنانيون في الأدب البرازيلي

محمد مصطفى الجاروش*

إنَ حضور العرب والمسلمين في الأدبيات البرتغالية قديمٌ قدم اللغة البرتغالية نفسها، حيث أننا نجد في أسفارها سجلّات مفصّلةٍ عن هذه الشعوب عند المؤرخين البرتغاليين الأوائل، وكذلك توجد تمثيلاتٌ لهم في الشعر البرتغالي القديم، في أغاني الصداقة والشعر الساخر والهجاء، وفي شتى الأعمال المسرحية، وفي هزليات جيل فيسينتي، وفي أشعار ساهْ دي ميراندا، وبشكلٍ مكثفٍ في ملحمة الشاعر الكبير لويز فاز دي كامويز، ومن الطبيعي كذلك في رواية (مقاصد) للكاتب المغامر فيرناو ميندز بينتو، الذي يقصَ فيها رحلاته ومغامراته في الشرق، أخيراً فإنَ هذا الحضور العربي في الآداب البرتغالية قد يستحقّ دراساتٍ عدةٍ، على جميع المستويات.

الآداب في اللغة البرتغالية على الأراضي الأمريكية قد باشرت تلك النزعة التي فرضت نفسها تاريخياً، فكما هو جليٌ وعلى الرغم من أنَ نصها في تحديد المعنى لا يمكن أن يُعتبر «أدبياً»، فإن رسالة بيرو فاز دي كامينيا التي حُسبت فيما بعد، بشيءٍ من المبالغة «وثيقة ولادة البرازيل» تشير إلى المسلمين، والمؤرخون الأوائل كمثل بيرو ماغاليانز غاندافو وغابرييل سوارِز دي سوزا، من بين آخرين – واللذان لا ينتسبان كذلك إلى مجال الأدب في معناه الضيق – لا يفوتهما ذكر المسلمين، يشير إليهم الشاعر بينتو تيشيرا في قصيدته الملحمية «بروزوبوبيا» بطريقةٍ سلبيةٍ جداً عند حديثه عن المعارك بينهم وبين البرتغاليين، وفي الأشعار المنسوبة الى غريغوريو دي

* أستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة ساوباولو، حاصل على شهادة الدكتوراه في الأدب البرازيلي.

ماتوز إيه غيرا، وأيضاً في خطب الكاهن أنطونيو فييرا، فإن الإشارات إلى المسلمين و «الأتراك» موجودةٌ بوفرةٍ، بصفتهم غرضاً للهجاء والاستهزاء لدى الأول، وتهديداً للعالم المسيحي ومرآةً مضادةً لدى الثاني، وعند الشعراء الأركاديين في القرن الثامن عشر، كذلك نجد إشارات إلى المسلمين والعرب، والشاعر الشهير توماز أنطونيو غونزاغا، على غرار كاموينز (الذي وصف محمداً بأنه: «لئيمٌ ودنيءٌ») وغريغوريو (الذي قال عنه أنه: «من أحقر هراطقة بني آدم»)، علاوةً على آخرين غير قليلين، يسميه «الحقير محمد» مؤسس «أُمّةٍ جاهلةٍ».

بدرجةٍ أو بأخرى – وعلى حسب طريقة التحليل المعتمدة، لأنه يوجد من يقترح وجود «أهلانيةٍ» ناجمةٍ عن نوعٍ من الوعي الوطني الأولي لدى بعض مؤلفي تلك الحقبة، وكذلك من يحسب أنهم ليسوا أكثر من مؤلفين برتغاليين يكتبون في مستعمرة برتغالية لا غير –، فإنَ الآداب خلال الفترة المسماة بال «استعمارية» في الأراضي التي ستكوّن فيما بعد الوحدة السياسية المسماة «البرازيل»، أي أنَ تلك الآداب مدينةٌ بكلَ شيءٍ إلى الآداب البرتغالية، مما يجعل من الصعب إذن، اعتبارها معَبِّرَةً عن «روحٍ برازيليةٍ» مفترضةٍ وسابقةٍ لآوانها.

والرؤى إلى العرب في هذه الآداب، بدون شكٍ مشتقّةٌ من الرؤى الإيبيرية، البرتغالية تحديداً، سواءً حُسبوا فيها مثاراً للعداوة الحربية، أوموضوعاً إما للاستهزاء وإما للشفقة والرأفة.

لا يمكننا أن نتكلّم عن تمثيلٍ «قوميٍ» أصيلٍ أي برازيليٍ للعرب والمسلمين في أدبنا إلا بعد الاستقلال السياسي للدولة سنة 1822، انطلاقاً من هذا الحدث، فإنَ الإنتاج الأدبي المحلّي أخذ يخضع لمقاييس ومصالح مختلفةٍ، التي بإمكاننا أنْ نسيمها قوميةً حقاً (مهما كانت إشكاليةُ نطاق هذا المصطلح معقدةً). والاستقلال السياسي البرازيلي هو معاصرٌ إجْمالًا للحركة الجمالية والفنية والأدبية والسياسية التي استحوذت

على الثقافة الغربية وسميتْ بالرومنطيقية (الإبداعية)، وخلال هذه الحركة يمكننا أن نميّز أساساً ثلاثة خطوطٍ رئيسةٍ فيما يخصَ تمثيل العرب.

الخط الأول، وهو غير مؤذٍ رغم كونه إيديولوجياً بامتياز، كان مديناً لإحدى نزعات الرومنطيقية، التي يمكن أن تُرى في مؤلفين مختلفي السمات مثل الشاعر الإنكليزي بيرون والكاتب الفرنسي ستندال (اللذان كانا من جهتهما، يستلهمان بعض الشيء من فلسفة جان حاك روسو)، كانت هذه النزعة تُسبغ المثالية على هذا الشعب لكونه بدائياً وتلقائياً ومتحرراً من قيود الحضارة، القمعية والمليئة النفاق.

في البرازيل يمكننا أن نجد كثيراً من هذا التصور في مؤلفين من طراز الشعراء كاسترو آلفِز (من أبرز المناضلين ضد النظام العبودي) وآلفارِز دي آزيفيدو وغونسالفِز دياز بين آخرين، ولغونسالفز دياز بالمناسبة مسرحيةٌ تحت عنوان (بوابديل) أي: أبو عبد الله الصغير آخر سلاطين إمارة غرناطة، موضوعها إسلاميٌ بأكمله، ولم يندر خاصةً عند كاسترو آلفز الربط بين موضوع «العرب» وموضوع «الإفريقي»، ممّا وفّر لهم نصيباً من الحضور الإنشائي خِلال المكافحات ضدَّ النظام العبودي السائدآنذاك.[1]

أما الخط الثاني، المنتشر بشكلٍ أشدَ كثافةً، فإنه كان يقدم رؤىً سياسيةً وحزبيةً واضحةً ومباشرةً بقدر ما كان يصور العالم العربي والإسلامي نموذجاً لل «استبدادية السياسية» ويستخدمه كمرآةٍ مضادةٍ، أو بالأحرى كمجتمعٍ لا يجب إطلاقا أن يُتمثل به، هذا التمثيل وهو أكثر مباشرةً، كان يُستعمل عموماً لانتقاد

1 كانت هذه هي الطريقة الرومنطيقية المتطرفة للنظرة إلى المسلمين، من الممكن أن توجد في كثير مما كتبه بايرون، وكذلك في كتاب «عن الحب»، للكاتب الفرنسي ستندال، حيث نرى التركيز على الغرائبية الملونة، مع إشادة ضمنية على «مهد الحبّ» إلخ. في الخلاصة، فإن العالم الاسلامي يصور على انه مملكة المناظر الغرائبية طوراً والمسلية اطوارًا، والتي يجب أن تقصف من حين إلى آخر لكي تصبح اكثر تسلية. راجع ملاحظات إدوار سعيد الثاقبة في كتابه الاستشراق.

إجراءات الإمبراطورية البرازيلية التي تخالف بعض المصالح الاقتصادية والسياسية، وذلك بمقارنتها بالحكومة العثمانية، فلا شيء يحطَ من قدر أي حكومةٍ كالاتهام بأنها تمارس نفس الاستبداد الذي يُمارَس في الشرق الأوسط يمكننا أن نستشفَ هذه الرؤى عند الروائي جوزيه دي آلينكار الذي ترجمت روايته (إيراسيما) إلى العربية في بداية القرن العشرين، وكذلك عند الكاتب والصحفي مانويل أنطونيو دي المايدا، وتتجلى بشكلٍ مكثفٍ خاصةً في المناشير السياسية التي أُسِّستْ على مدار القرن التاسع عشر، لم يكن من النادر أن يتباهى المثقفون البرازيليون بتحقير العرب والمسلمين والشرقيين على وجه العموم، على سبيل المثال لا الحصر، في روايته الشهيرة «ذكريات رقيب ميليشيات»، يذكرهم مؤلفها الذي مرَّ ذكره مانويل أنطونيو دي ألمايدا على أنهم يحملون نوعاً من الجنسانية المتطرّفة المنحطَّة، ممّا يُنتج كما يقول إدوار سعيد إسرافاً يخالطه فقرٌ يائسٌ، من خِلال جمل كمثل «فلان شبقي كالشرقي» (التي غيرها المؤلف لاحقاً إلى «شبقي كأحد أتباع محمّد») وعندما يتحدّث عن قسّيسٍ كاثوليكيٍ شبقيٍ يقول عنه إنه «في جوهره هو آشوبانيبال مهذّب»، بيد أنه لو أراد أن يتطرَّق إلى شخصياتٍ اشتهرت بشبقيتها المهيّجة، لكان يكفيه أن يذكر أب الامبراطور بُطرس الثاني، وفي إحدى الجرائِد التهكّمية التي صدرتْ وقتَها، والعائدة إلى منتصف القرن التاسع عشر، كانت قرارات الوزارات المحافظة البرازيلية تسمّى بإلحاحٍ بال.«فرمانات»، كنايةً عن استبدادها وحماقتها، جميعُ هذهِ السجلّات تُكرّر بالتوازي مع دونية تلك الشعوب المتوحشة، استبدادَها الذائع الصيت.

تداولتْ في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر جرائد ومناشير للمعارضة تتهم الحكومة بال «استشراق» في مخاطبة السياسيين المحافظين: «هل أنت وبلطجيوك جمهوريون مثل سلطان تركيا؟»، سألت إحدى المناشير وزيراً، ومنشورٌ آخر كوَّنتْ اليغورية «إمبراطورية زيلبرا»، حيث يحكم بغطرسة السلطان «التركي البائس الخائن الجبان مالي» (كنايةً عن السياسي الكبير الشأن فرانسيسكو دي ليما إي سيلفا) وابنه «زولي زيفلا مالي» (كنايةً عن ابنه لويس آلفز ليما، الذي تولى فيما

بعد قيادة الحرب ضد البراغواي)، بمساعدة «الدرويش العجوز العديم الأسنان زيجو توكوسودي» (كنايةً عن جوزيه كوستوديو دياس، من أخطر السياسيين آنذاك)، ويُقدَّم الكلُّ على أنهم أُناسٌ حقيرون ومهيجون جنسياً وغير متحضرين ومستبدين، في جملةٍ واحدةٍ، قذرون إلى أقصى الحدود.

أما الخط الثالث، الذي في الحقيقة هو امتدادٌ طبيعيٌّ للخطَ الثاني ومرئيٌ فيه إلى حدٍ ما، كان يقدّم المسلمين على أنهم فردياتٌ غير أخلاقيةٍ، وليس مجتمعاً غير أخلاقيٍ.

سلك هذا الطريق غير واحدٍ من مثقفي تلك الحقبة، كمثل الإنثروبولوجي نينا رودريغز، الذي درس ثورة الأفارقة المسلمين في ولاية باهيا في الشمال الشرقي البرازيلي، والروائي جواكيم مانويل دي ماسيدو، من بين آخرين، ومما يدل على ذلك جملة للكاتب ماشادو دي آسيس، في مقاله الشهير «مِثال الناقد الادبي»، المكتوب سنة 1864، والذي يهاجم فيه المدرسة الواقعية بعنفٍ، فيقول: «بقدر ما يمكن أن يوجد رجلٌ صالحٌ في جسد شخصٍ محمديٍّ، فقد توجد الحقيقة في عمل كاتبٍ واقعيٍّ»، أيْ أنَ كلاً من الأمرين نادرين.[2]

وهناك عوامل كانت تساهم إسهاماً حاسماً لبلورة هذه النظرة، منها الإرث الثقافي البرتغالي، وهو دوماً معادٍ للعرب وللمسلمين (كما يذكّرنا عالِم الاجتماع جيلبيرتو فريري، فإنّ الكيان البرتغالي بُني على أساس كراهيتين، كراهية الإسبان وكراهية المسلمين)، والميل الرومنطيقي – أو على الأقل أحد ميوله – إلى التعامُل مع العرب باعتبارهم همجاً، وأخيراً الوجود في البلد لحشودٍ ضخمةٍ من المستعبدين الأفارقة المسلمين، الذين كان يُنظر اليهم مع كل تأكيدٍ بمزيجٍ من الخوف والاحتقار.

2 ليلاحظ ان ماشادو كتب مقدمة لترجمة برازيلية لألف ليلة وليلة عملت عن ترجمة المانية، أثنى بها على «الخيال الشرقي».

من نوافل القول أن هذا الوضع لم يتغير بتجلي ما اتفق على تسميته بالحركة الواقعية، التي هي ليس أكثر من امتدادٍ أو بالأحرى وجهٍ آخر مقنعٍ، في حقيقة الأمر لنفس المفاهيم التي تنقاد إليها الحركة الرومنطيقية. وهكذا فإننا لا نجد فرقاً يُذكر بين طريقة المؤلفين الرومنطيقيين وطريقة المؤلفين الواقعيين لفهم العرب والمسلمين وتقديمهم لهم.

فسواءً شعراء المدرسة الواقعية، الذين عرفوا بأهل «البارناس»، بثُلاثيهم الشهير أُولافو بيلاك وآلبيرتو دي أُوليفيرا ورايموندو كورّيا، أو شعراء المدرسة الرمزية في الشعر، على الأقل بممثليها البارزين كروز إي سوزا وآلفونسوس دي غيمارايز، جميعهم احتذوا النماذج ذاتها عند تحدُّثهم (النادر) عن العرب والمسلمين، الذي كان يتراوح ما بين العدوانية والاستغرابية.

إلى جانب هذا، وكنغمةٍ خارجةٍ عن المألوف، يجب أن نذكر الامبراطور بطرس الثاني، الذي طالما أبدى احتراماً وتقديراً تجاه الثقافة العربية والإسلامية، وكما هو معروف لدى الجميع، زار الشام ومصر، وفي لبنان خاصّةً شجّع شخصيّاً اللبنانيين للهجرة إلى البرازيل، إنه بتفتُّحه الثقافي واهتمامه كان يتباين مع غطرسة النخبة المثقّفة البرازيلية، المتمسّكة بنظرياتٍ مسبقةٍ يُرثى لها والتي تبدو عنصريةً محضةً، أبدى بطرس الثاني على مدى حياته اهتماماً كبيراً بالثقافات غير الغربية، ومن بين أعمالٍ أخرى كان رائداً بترجمتها، وهي الأولى على نطاق اللغة البرتغالية، لكتاب ألف ليلة وليلة من أصوله العربية من خلال طبعة برسلاو، التي كان قد أهداها له أستاذه للغة العربية المستشرق الالماني المتبحّر كريستيان زيبولد، وبعد وفاة الإمبراطور أثنى زيبولد عليه عندما نشر تحقيقه لمخطوطةٍ قديمةٍ لقصةٍ أُقحمت في كتاب ألف ليلةٍ وليلة هي «السول والشمول»، ذاكراً إياه في الاهداء بصفته رجلاً مثقّفاً وكريماً ومتفتّحاً على شتّى أنواع المعرفة، وقد كان الامبراطور بالفعل، شخصيةً فريدةً في الثقافة البرازيلية آنذاك.

ولكن تمثيل العرب والمسلمين لم يكتسبْ خصوصيةً متميِّزةً في الأدب البرازيلي إلا في القرن العشرين، بعد الحركة الحداثية سنة 1922، وقبلها فإنَ مؤلفين مهمّين مثلَ ليما باريتو ومونتيرو لوباتو وإيوكليديز دا كونيا قد جانبوا موضوع تمثيل هذه المجموعة، عرضيّاً في الأوليين وتأكيداً لصورٍ نمطيةٍ «علميةٍ» في الثالث، وجواو دو ريو الذي عاش أيْضاً في تلك الحقبة، ترك كتاباً طريفاً عنوانه «ديانات الريو دي جانيرو»، حيث يكشف عن تواجد جالياتٍ مارونيةٍ وأرثوذكسيةٍ وإسلاميةٍ في المدينة، وأومبيرتو دي كامبوس الذي كان يُحتفى كثيراً بأُسلوبه وقتئذٍ رغم كونه شبهَ منسيٍ اليومَ، كتب مجموعةً قصصيةً سماها «تحت ظِلّ النخيل» على طريقة ما كان يتصوَّره «الأسلوب الشرقي». وعلى الرغم من نشرها سنة 1935، فيمكننا أن نحسبها، بسبب لغتها وكيفية كتابتها، تابعةً إلى ما قبل الحداثة أكثر منها حداثيةً، إذ كان أومبيرتو دي كامبوس أقرب إلى شعراء البارناس منه إلى الحداثية.

وبمجيء الحداثية، اكتسب تمثيل العرب والمسلمين عضويةً وتماسكاً بفضل تغير المقاييس وطريقة معالجة المواضيع في الأدب البرازيلي، وطرأ عنصرٌ جديدٌ لعله يكذِّب التجاوز الذي أوجده إدوارد سعيد على قول ماركس الشهير عن طبقة الفلاحين: «إنهم لا يستطيعون أن يمثلوا أنفسهم، ويجب أن يُمثَّل عنهم»)، حين أسقطه على الشرقيين، وبالفعل بالإضافة إلى كونها ممثَّلةً، فإنَ هذه المجموعة سيصبح لها صوتها الخاص على يد كُتّابٍ موهوبين ومصنَّفين في أعلى مراتب الأدب البرازيلي، وكذلك القضية القومية العربية ستكتسب وزناً في تمثيلها في الأدب البرازيلي، لم يعد هناك عربٌ أو مسلمون مجردون، بل وأكثر تحديداً لبنانيون وسوريون أو عند الضرورة القصوى، لبنانيون سوريون، من حينٍ الى آخر بحجةٍ هزليةٍ يسمون «أتراكاً، ومن المعروف أن هذا اللقب، الذي طالما أزعجهم، كان ناتجاً أساساً عن عاملين: الأول هو التعميم الذي استعمل منذ القرن السادس عشر للإشارة إلى سكان الشرق العربي والإسلامي بسبب السيطرة العثمانية على المنطقة، والثاني وهو كذلك متأثرٌ بالأول، بسبب الجنسية التركية المسجلة في جوازات سفر المهاجرين الآتين من الشام، الذين

أخذوا يصِلون الى البرازيل بدفعاتٍ متزايدةٍ منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وحتى بعد اكتساب دول المنطقة لاستقلالها، فإنَ اللقب ظلَ باقياً، لدرجة أنه سجلت في بعض القواميس البرازيلية عبارة «تركي الأقساط» لتلقيب البائع الجوال الذي كان يمرَ بائعاً ثم قابضاً، باباً تلو الآخر أقساط مبيعاته.

اللبناني أو السوري، أو حتى السوري اللبناني (بدايةً لا يمكن الفصل بين الجنسيتين) سيعرض في صفحات عددٍ غير قليلٍ من المؤلفين الحداثيين: آلكانتارا ماشادو وأوزفالد دي آندرادي ومينوتي ديل بيكيا (الذي ترجم كتابه عن الثورة في ساوباولو سنة 1932 إلى العربية)، بالمناسبة للكاتب ماريو دي آندرادي قصةٌ عنصريةٌ بامتيازٍ، مليئةٌ بالصور المنمطة وفاقدةٌ لأيَ قيمةٍ أدبيةٍ، عنوانها «السوريون» (وبه لم يقصد المهاجرين الآتين من سوريا، بل أي مهاجرٍ من الشرق الأوسط ومن الشام تحديداً)، قد نُشر هذا النص في مجموعته المعنونة «قصصٌ مختارةٌ من الطابق الأوَّل»، مع أنه «تنازل» عن هذا الكتاب في آخر حياته، والكُتّاب الإقليميون، كمثل جوزيه اميريكو دي آلمايدا وراكيل دي كيروز وجوزيه لينز دو ريغو وغراسيليانو راموس، كلهم صوّروا شخصياتٍ شاميةً في مؤلفاتهم، ولأول وهلة يبدو أن غراسيليانو لم يفرّق بين «العربي» و «اليهودي» (بشكل يشبه على فكرة، ما نجده في الأشعار المنسوبة إلى غريغوريو دي ماتوس في القرن السابع عشر، الذي «اتَّهم»، في إحدى قصائدة شخصيةً يهوديةً بأنها حوَّلتْ بيتَها إلى «مسجد»).

جواو غيمارايز روزا يذكرهم بوفرةٍ، وابتدع في إحدى رواياته شخصيةً أصبحت شهيرةً، «روزاورده»، الذي يكرر اسم الزهرة باللغتين بالعربية والبرتغالية، ومن الكتاب الإقليميين من ذهب إلى أبعد من ذلك في ما يخصَ تمثيل اللبنانيين والسوريين، حيث تموج في صفحات جيمع مؤلفاته كميةٌ هائلةٌ من الشخصيات اللبنانية والسورية، ووصل ذلك إلى حدّ أنه كتب روايةً كاملةً (اكتشاف امريكا من قبل الأتراك)، موضوعها الرئيس هو ريادة الهجرة اللبنانية والسورية إلى البرازيل في كثيرٍ

من المجالات، في زمننا هذا يجب ألا ننسى روائيتين لهما وزنٌ لا بأس به هما آنا ميراندا، التي بسطت في روايتها (أمريك) الأضواء على الهجرة اللبنانية إلى البرازيل، ونيليدا بينيون التي حاكت في روايتها «أصوات الصحراء» طريقة سرد ألف ليلةٍ وليلةٍ.

وممن يستحقُّ إشارةً منفردةً لامتيازه الخاص، الرياضي والكاتب الكبير جوليو سيزار دي ميلو إيه سوزا، الذي أبهر تحت اسمٍ مستعارٍ هو مالبا طحان، أجيالاً عدةً من القراء البرازيليين بقصص كتبها بأسلوبٍ شرقيٍ جليلٍ، لدرجة أن الكثير منهم تخيَّله فعلاً مؤلفاً عربياً يكتبُ بالبرتغالية! وجَعلتْ كتبٌ مثل (الرجل القادر على الحساب) و(سليم الساحر) من بين أعمالٍ أخرى غير قليلةٍ صورةَ العربي حميمةً ولطيفةً لدى البرازيليين، مؤديةً مهمةَ الاقترابِ بين كلتا الثقافتين، من الجائز جداً أن يعتبر مالبا طحان البطل المدافع عن الثقافة العربية في الآداب البرازيلية.

الشعر الحديث كذلك يذكر المهاجرين اللبنانيين والسوريين بغزارةٍ، فمانويل باندیرا وجورجي دي ليما وموريلو ميندس وكارلوس درومون دي آندرادي وسيسيليا ميريلز، أخيراً أهم الشعراء البرازيليين يذكرونهم في أعمالهم، ولكارلوس درومون وهو أفضلهم، قصيدةٌ في غاية الجمال عنوانها «الأتراك»، حيث يعترف في نهاية المطاف، أنهم برازيليون حقّاً «مثلنا»، من جهتها بدأتْ سيسيليا ميريلز ترجمةً لألف ليلةٍ وليلةٍ على أساس ترجماتٍ فرنسيةٍ وإنكليزيةٍ.

ولكن الظاهرة الأبرز، التي لها تداعياتٌ خطيرةٌ في الثقافة والأدب البرازيليين، تكمن في أبناء وحفدة الشاميين الذين أخذوا يكرسون أنفسهم للأدب، إنهم ذوي شأنٍ عظيمٍ في مجال الأدب، ففي الشعر لنا شخصياتٌ من طراز جورجي مدور وماريو شمعه وجميل المنصور حداد وكارلوس نجار (وابنه فابريسيو)، ووليد سليمان وميشيل سليمان، وفي النثر رضوان نصار وميلتون حاطوم وألبيرتو موسى وريكاردو حيدر ليزياز وسليم ميغيل (ميخائيل) وداوود نصر وجورجس بردقان وجيلبيرتو ابراهيم ومارسيلو معلوف، وأيضاً جميل المنصور حداد في هذا الميدان، ففي أعمال كلَ هؤلاء

الشعراء والروائيين الباهرين سيتحدث دور «الأصول» من تلقاء نفسه: الاندماج في الثقافة البرازيلية، أساليب التعايش والإحساس والكينونة، أخيراً كلَ هذه العوامل موجودة في مؤلفاتهم، وهي جزءٌ بشكلٍ أو بآخر في مواضيعهم.

إنهم يكوِّنون ما يمكن أن يسمى بـ «اللحظة الثانية» لتمثيل العرب والسوريين واللبنانيين في البرازيل، تلك اللحظة التي بها وبنسلهم يُمْكِنهم أن يُمثَّلوا لا عبر صوتٍ يجعلهم شيئاً غريباً عن المتحدث الذي يمثلهم، بل كجزءٍ لا يتجزأ جوهريٌ ومكوِّنٌ من التعددية القومية البرازيلية، في بعضهم لم تذكر مباشرةً الأصول العربية، بينما في البعض الاخر هي حاضرةٌ بشكلٍ علنيٍ في معالجة المواضيع، كمثل بردقان (القصة المثيرة والعجيبة للقبطان المسلم) وميخائيل (نورٌ في الظلام) وحاطوم (شرقٌ ما) و (شقيقان) وموسى (لغز قاف) وحداد (إنذارٌ إلى البحارى)، سليمان (إنولا نِئولا)، معلوف (رحابة الحملان الحميمة) وإبراهيم (التنّاك محمد).

مهما كان المقياس الذي نأخذ به، فإنَ كتابة هؤلاء المؤلفين هي عالية الجودة، من أقوى الواقعية التاريخية إلى الأدق في التحليل النفسي، مروراً بالالتزام السياسي الأكثر جذريةٍ، والبعض منهم يعودون إذا جاز التعبير إلى الأصول، فقد تُرجموا إلى العربية مساهمةً منهم في الحوار بين كلٍ من الثقافة البرازيلية والثقافة العربية، هذا هو حال ميلتون حاطوم ورضوان نصار وألبيرتو موسى، الذين سيتبعهم الآخرون.

إنها لخطوةٌ مهمةٌ جداً لاستيعاب الجالية العربية في المجتمع البرازيلي، هذه الجالية التي طالما ساهمت إسهاماً عظيماً في جميع حقول المعرفة، الطب والهندسة والسياسة وفن الطهي والعلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة والفنون، المسرح، السينما، اللغويات، النحو إلخ، فمن البداهة إذن ألا يتأخر الأدب عنها. وهذا الإسهام المثمر للجالية اللبنانية السورية ليصبح أجدر بالذكر والتقريظ إذا ما تذكرنا إمكانياتهم الضئيلة حين وصلوا إلى البرازيل، وهم الفارين من مناطق بائسةٍ ومضطربةٍ بسبب الحروب الطاحنة هنالك، وكذلك إذا ما تذكرنا العداوة كامنةً كانت أو معلنةً التي

استقبلوا بها، والتي عرفوا كيف يتجاوزونها حزماً وعزماً بقدرتهم غير المحدودة على التعامل والتوافق.

المراجع:

Bosi, Alfredo. História concisa da literatura brasileira. São Paulo, Cultrix, 1986.

Medauar, Jorge. "Personagens árabes na obra de Jorge Amado". São Paulo, FFLCH/USP, 1993. In: Revista de Estudos Árabes no. 1.

Simão, Martha. O mascate: estudo sócio-psicolinguístico através de obras literárias. São Paulo, FFLCH/USP, 1994 (Tese de Doutorado).

Sismondini, Alberto. Arabia Brasilica. Cotia, Ateliê Editorial/Capes, 2017.

Soler, Luis. Origens árabes no folclore do sertão brasileiro. Florianópolis, Editora da UFSC, 1995.

Villar, Valter Luciano Gonçalves. Os árabes e nós. A presença árabe na literatura brasileira. João Pessoa, UFPB, 2012 (Tese de Doutorado).

Zeghidour, Slimane. A poesia árabe moderna e o Brasil. São Paulo, Brasiliense, 1982.

المساهمة اللبنانية في مجال الصحة: المستشفى السوري اللبناني

مارتا كهدي شاهين*

1. المدخل:

عبر تاريخ التطوّر البرازيلي، كانت مساهمة الشعوب الواردة من شتى مناطق الكرة الأرضية أساسيةً لإقامة المراكز الحضرية المتسمة بالتعددية الاجتماعية والثقافية واللغوية والدينية، التي تكوّن اليومَ هوية الدولة. مسارات كفاحٍ وعملٍ وانضباطٍ وتعلُّمٍ وتكييفٍ وبناءٍ لثروةٍ عظيمةٍ قاعدتها الحوار بين التراث والحداثة، الذي اجتاز المؤسسات وأنشطة رجال الأعمال، وفوق كلّ شيءٍ التواريخ الحياتية لعائلاتٍ لا تحصى من المهاجرين، وصولاً إلى القرن الحادي والعشرين.

يصور وضع الجالية السورية اللبنانية كيف تمكنت الرغبات والآمال والمشاريع الحياتية للذين اجتازوا المحيط من أن تتحقق على أرض البرازيل، انطلاقاً من الرغبة في المجازاة للاستضافة الحسنة في ساوباولو، التي تحولت تدريجياً الى أحد أكبر المراكز الحضرية في القارة الأمريكية، قررت مجموعة من سيدات الجالية السورية اللبنانية، بقيادة آدما يافث (1886-1956)، تحقيق حلمٍ: بناء مجمع مستشفياتٍ قادرٌ على المساهمة في رفاهية البرازيليين وراحتهم.

* رئيسة الجمعية الخيرية لسيدات المستشفى السوري-اللبناني.

في 28 تشرين الثاني سنة 1921، بدأت الجمعية الخيرية للسيدات نشاطاً واسع النطاق للحصول على المساندة المالية والالتزام الاجتماعي بهدف بناء ما سيكون المستشفى السوري اللبناني، الذي افتتح رسميا سنة 1965 وأصبح اليوم من أبرز المؤسسات الخيرية للصحة في البرازيل، حيث تملك الآن ثلاث أفرعٍ في ساوباولو وثلاثاً أُخر في عاصمة البرازيل، وكادراً بشرياً يزيد على الستة آلاف متبرعٍ مباشرٍ، علاوةً على أربعة آلاف طبيبٍ مسجّلٍ في طاقمها الطبي، وبنيةٌ تربو أسرّتها على الأربع مئة سريرٍ.

بعد عقودٍ من العمل المضني، حققتْ الجالية هدف بناء مركز متميزٍ أساسه مزيجٌ من الدفء الإنساني وحسن الاستقبال والتضامن والمعرفة المتطورة الدقيقة في الممارسات الطبية والإسعافية، تجعل الأعمال المتكاملة (وأركانها الخدمة الاجتماعية والصحة والتعليم والبحث) من المستشفى السوري اللبناني سجلاً حياً لمساهمة الجالية السورية اللبنانية في رفاهية البرازيليين وازدهارهم، مجازاةً للمعاملة الحسنة التي حُظيوا بها في هذه الأرض منذ القرن التاسع عشر.

2. وصول الجاليتين السورية واللبنانية، شيءٌ من التاريخ:

يعود وصول الشعوب والثقافات إلى البرازيل، وتحديداً إلى ساوباولو، إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما لم يكن حجم المدينة ليدهش أحداً، إذ أن عدد قاطنيها آنذاك يتجاوز بالكاد الستين ألف نسمةٍ في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر، ما زالوا قاطنين في منازل المنطقة السهلية لنهر آنيانْغاباؤو يعيشون في ظل مزارع البن في ريف الولاية، وكانت مدينة سانتوس الساحلية محوراً للنشاط المينائي، أخذت السيناريوهات تتحول من بين عوامل أخرى، بحدث مهم طرأ على الحياة الاجتماعية البرازيلية: قانون تحرير أبناء العبيد من العبودية ثم قانون تحرير العبيد، اللتان أطاحتا على النظام العبودي الذي لم يزل يعتمد عليها النشاط الزراعي في البلد،

المتمحور في وضع ولاية ساوباولو، على زراعة البن، يقول ماتوس في وصفه للفترة البدائية للتحولات في العاصمة:

يلاحظ أنَ العقد ما بين 1870–1880 من غير أدنى شك، يشكل علامةً على تطور عاصمة ساوباولو، إنه البن، بطريقة مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ، المسؤول الأكبر عن التحول الجسيم الذي تعرضتْ له مدينة ساوباولو منذ تلك الفترة، في العشرين سنةٍ الأولى للنصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تزل أهمّ وظيفتين للمدينة هما السياسة والثقافة.[1]

تحت ضغوط الطلب المكثف على العمال ونهاية النظام العبودي، أخذ أصحاب المزارع يدعون بشكل فعّال اليد العاملة من وراء المحيط، مما تسبب في مجيء أوروبيين من شتى الأعراق لبناء وتوطين أمريكا، فرأوا البرازيل مكاناً مليئاً بالفرص، حيث تتوفر الأرض والعمل والربح، تاركين وراءهم مسقط رؤوسهم، هرباً من الأزمات الاقتصادية والمشاكل مثل المجاعات والنزاعات الاجتماعية والسياسية، فانطلقوا لاكتشاف بلدٍ جديدٍ له عاداته وتقاليده الخاصة ويتكلم لغة غريبة وشغوفٌ بالنمو والتحديث.

مع مرور الزمن، اجتمع إلى الإسبان والبرتغاليين والإيطاليين والألمان واليابانيين والبولنديين والأوكرانيين والأرمن عائلاتٌ غير معدودةٍ من السوريين واللبنانيين، يصل معظمهم إلى البرازيل بعقود عمل دوامه مُنهكٍ في المزارع، بعضها يفوق الاثنتي عشرة ساعةً يومياً، لم يكن يشكل هذا الأمرُ أيَ شكاوٍ وقتذاك، ففي تلك الفترة كان مجرد وجود العمل يعني التطلع إلى ظروف معيشيةٍ كريمةٍ: تناول الطعام ومنزلٌ وفرصة تربية البنين والبنات وتعليمهم، وأحيانا السبيل للوصول إلى الغنى والازدهار.

1 Matos، 1958، ص 106.

خلافاً لمهاجرين آخرين كثرٍ، لم تشمل برامج الهجرة المدعومة السوريين واللبنانيين، وعلى حدّ قول خوري، فإنّ الهجرة العربية إلى البرازيل كانت «بطيئةً وغير منتظمةٍ بين 1871 و1891، فازدادت بين 1895 و1899، عندما سُجّل دخول 1131 شخصاً، توسعت حركتهم الهجرية في بداية القرن العشرين، ففي حدود 1903 و1915 فقط دخل إلى البرازيل 43442 مهاجراً منحدرين من دول العالم العربي».[2]

كان العمل المضني هدفاً للشبّان الذين وصلوا إلى هنا من سوريا ولبنان، ثم اكتساب المال ثم العودة إلى الوطن حاملين معهم ما يمكّنهم من بدايةٍ جديدةٍ هناك، بشراء الأراضي وإقامة ممتلكات وأعمالٍ عائليةٍ. وكما يُلاحَظ اليوم، فقد عدل الكثير منهم عن تلك الخطة، إذ أنهم عندما أُتيحتْ لهم فرصة تأمُّل منظومة المزارع الشاسعة في البرازيل، المختلفة تماماً عن المنظومة الزراعية في لبنان وفي سوريا، تراجعوا عن الخدمة في الزراعة وأخذوا يتفرغون إلى التجارة، فأثبتوا هنا جذورَهم، ولم يعودوا إلى مسقط رؤوسهم إلا للزواج وزيارة الأقارب، ثم يقفلون راجعين الى البرازيل، حيث كانوا قد أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من فسيفساء البلد الثقافية.

تكثّفتْ مساكنهم، بدايةَ القرن العشرين في جوار شارع 25 من آذار، في وسط ساو باولو، حيث بدأ المهاجرون أعمالهم، قصدهم الدائم الشوارع المعروفة حالياً بباسيل يافث وعبده شاهين وآفونسو خيرلكيان، من بين أماكن أخرى، ومع مرور الزمن أخذت العائلات التي تتحسن أحوالها بالانتقال إلى أحياءٍ مثل باراييزو وإيبيرانغا وفيلا ماريانا.

كانت الأشغال متشابهةً بين المهاجرين: تجارٌ صغارٌ وأصحاب محلاتٍ أو بائعون متجولون يعملون في العاصمة ومدنٍ أخرى في البرازيل، يتاجرون بسلعٍ نمطيةٍ من بلدانهم وأماكن أخرى من العالم، كالأطعمة والمواد الأولية والعِدد المنزلية

2 Khouri، 2013، ص 34.

والمبهّرات والمنتوجات الاستهلاكية على وجه العموم، حصل الكثير منهم كذلك على اعتماداتٍ وتأييدٍ ماليٍ وبضائع من أعضاء الجالية أنفسهم، فكما يُشير خوري في نقاشه عن الأعمال المهنية للمهاجرين:

بما أنهم أتوا بالمال القليل، فإنهم لم يستطيعوا شراء الأراضي فاقتضى الأمر أن يكون عملهم في الزراعة بصفة فلاحين مستأجرين، بدايةً حاول البعض منهم العمل على هذه الطريقة، ولكن أدّى بهم سوء المعاملة الذي كان يتعرض لها الفلاحون وانعدام أيّ احتمالٍ لتحسن الوضع الاقتصادي إلى حرصهم على الابتعاد عن الحقول الزراعية، وأضحت التجارة المتجولة الطريقة المختارة أولاً من قبل أولئك المهاجرين للانضمام المهني في المجتمع، إذ أنهم لا يمكلون ما يكفي من الرأسمال، ففضلوا العمل بأنفسهم ولأنفسهم.[3]

شيئاً فشيئاً أخذت الأسر السورية واللبنانية بتكديس الأموال والارتقاء إلى أساليبٍ حياتيةٍ جديدةٍ وحاز البعض منهم على مراتب كبار التجار والصناعيين كذلك، ومما تبقى من أوائل المتاجر المتعددة في جوار شارع 25 من آذار والسوق المركزي للمدينة، وعن إرثهم الذي تركوه، فتسميات الشوارع والجادات المرتبطة بالعائلات البارزة في أزمنة الهجرة المكثفة، وفلل العائلات الأكثر ثراءً التي كانت تنافس بارونات البن في منطقة جادة باوليستا في النفوذ الاجتماعي في أوائل القرن العشرين، والأعمال والأنشطة الاجتماعية ذات الصيت الاجتماعي والتي قام بها المهاجرون وأحفادهم، الذين اغتنموا وضعهم المعيشي الممتاز لكي يدرسوا في الخارج أو في الجامعات والمدارس العليا البرازيلية.

حوالي سنة 1920 حرّك الحياةَ الاجتماعية للجالية السورية اللبنانية وصولُ عددٍ لا يُستهان به من المحترفين المتخرجين من الجامعة الأمريكية في بيروت، حاملين لخبراتٍ دوليةٍ تم اكتسابها تدريجياً، كان الوقت قد حان للقائهم الجيل الثاني

3 المرجع نفسه، ص 35-34.

للمهاجرين مع أولئك الذين مكنوهم من الدراسة وموّلوهم، ازداد عدد الأطباء ذوي الأصول السورية اللبنانية، فعلى حسب ملفّات كلية الطب التابعة لجامعة ساوباولو، فإنَ سنة 1919 لم يكن بين خريجيها سوى سليلٍ واحدٍ لمهاجرين كانوا قد وصلوا إلى البرازيل قبل القضاء على نظام العبودية، وأما في الفترة ما بين 1929 و1949، فقد تخرَج 57 شاباً من أصلٍ لبنانيٍ وسوريٍ.

يُقدَّر اليوم أنه يعيش في البرازيل ما يزيد على 10 مليون لبناني مع أحفادهم، أي ضعف عدد اللبنانيين المقيمين في بلدهم نفسه، أما السوريون فيعيش في البرازيل تقريبا 9 ملايين منهم، مع أحفادهم، تتوزع هذه الأرقام المدهشة في شتى المناطق البرازيلية، ومن المؤكد أنه في مدنية ساو باولو، التي يعيش فيها أكثر من عشرين مليون نسمة، ينفرد حضور العادات والثقافة والهوية السورية اللبنانية، كرّس قسم من هؤلاء جزءاً مهماً من حياتهم لمكافأة المودة التي استقبلوا بها حين وصولهم الى البرازيل، وهذه هي حالة أدم يافث، المسؤولة عن الخطوات الأولى للجمعية الخيرية للسيدات وعن تحقيق مشروعٍ يتآلف مع عظمة الشعب البرازيلي وروحه الرحبة.

2.1. الإدارة الأولى ومؤسّسات الجمعية الخيرية للسيدات 1921:

الإدارة

عفيفة نعمة يافث: رئيسة الشرف

أدما باسل يافث: الرئيسة التنفيذية

سلوى ميخائيل خلفت: نائبة الرئيسة الأولى

كرجية أسعد عبدالله: أمينة الشؤون السرية

أديليا توفيق معلوف: نائبة الرئيسة الثانية

نسيبة نجيب سالم: المسؤولة عن الصندوق

سلمى سليم بوشاهين: نائبة المسؤولة عن الصندوق

لطيفة شعفي الأسمر : أمينة الخزانة

ماتيلدا سليمان يزبك: الأمينة العامة

نظيرة سالم قرعون: الأمينة العامة الثانية

مارتا صطفان: مديرة العمل

عطور نقولا عون: نائبة مديرة العمل

المستشارات

فارسة مرهج مهرضاوي

أديليا إبراهيم دياب

ماري يوسف نحاس

حفيظة ملحم أزر

فيكتوريا يافث

إليس فارس بوشاهين

ألزيرا بن يامين يافث

هيلينا سمعان راسي

نعيمة كرم بوصعب

نزلة إلياس مراد

ماري غابريلي خلفت

فدوى حسيب مطر

إليس إبراهيم توفيق

ناظمة وديع يازجي

توفيقة سعيد جبارة

3. الحلم: بناء المستشفى:

تزوجت أدما مقدسي، الطالبة آنذاك في المدرسة الروسية في بيروت، بباسل يافث عندما عاد هذا الأخير إلى لبنان بعد إقامةٍ في البرازيل، لدى وصولها إلى ساو باولو، اكتشفت تلك الفتاة (ذات التكوين الثقافي الشامل والطليقة بالروسية) نفسها زوجة تاجرٍ وصناعيٍ مهمٍ، ولاقتها الجالية المحلية بالترحاب، وسرعان ما انشغلت بمختلف الأنشطة في الأندية والجمعيات والجرائد وبدأت تغذي فكرة إنجاز عملٍ يخدم ساو باولو، عملٍ يبرز قوة هذه الحاضرة ويعبر عن امتنان السوريين واللبنانيين لها من خلال تمكين خدمةٍ ذات شأنٍ للمجتمع.

متيمنةً بناء المستشفيات من قبل جالياتٍ أخرى الألمانية والإنكليزية والإيطالية، على سبيل المثال لاحظت أدما يافث الاحتياج إلى توسيع شبكة العلاج الصحي في مدينةٍ لا تكفَ عن النمو، خلال اجتماعٍ لبعض السيدات في بيتها، في حي بارايزو في 28 من كانون الثاني سنة 1921، أطلقت فكرة بناء مستشفىً تستحقه عظمة ساو باولو، خرجت السبع والعشرون امرأةً من الاجتماع بمهمة الحصول على الأموال وتجنيد المتطوعين لتحقيق المشروع، وحدها وفي اجتماعها الأول، استطاعت الجمعية الخيرية أن تجمع مئتين مليون ريال، التي أضيفت إليها على مرور الزمن، مصادر أدارتها المنظمة تم الحصول عليها من خلال الطلب المباشر من الجالية في البرازيل، علاوةً على حفلات الأعشية والحفلات الخيرية.

بعد استلام شتى عروض الأراضي، اختارت الجمعية المكان الأفضل «المركزي والواسع والذي يمكنهم من توسعاتٍ جديدةٍ»، كما أرادت أدما والسيدات الأخر واقتنته بمساعدة عدة شخصياتٍ من الجالية السورية اللبنانية، المقاييس: موقعٌ مركزيٌ في مكانٍ مرتفعٍ ومهويٍ وصحيٍ ولا يبعد أكثر من عشرين دقيقة من وسط المدينة، الموقع المختار: أرضٌ ذات سبعة عشر ألف متراً مربعاً بين شارع باراتا ريبيرو وشارع دا فونتي، بالقرب من منتزه تريانون ودرب باوليستا، الثمن المدفوع: 350 ألف $R.

تم تصميم مجمع المستشفيات ذلك بمساحةٍ وبنيةٍ قابلتين للتزود بأحدث الأجهزة الموجودة أيامها الأشعة السينية والاستشعاع والمعالجة بالكهرباء والاستحرار، وحظي بتبرع مهندسين وأطباءٍ وباحثين مشهورين. أطلق الحجر الأساسي في 29 من كانون الثاني لسنة 1931، بمناسبةٍ حضرها أعضاء الحكومة البرازيلية وخُطب فيها بالبرتغالية والعربية، وأُنشدت أشعارٌ وأطلقت طائرةٌ صغيرةٌ وابلاً من الورود على المدعوين، بدأت تصل الأجهزة الأولى بعد ستَ سنواتٍ، وفي سنة 1941 وقد رسمت خطط الافتتاح طرأت انتكاسةٌ، حيث صادرت حكومة الولاية البناء لتحوله إلى مدرسةٍ لطلاب التجنيد العسكري.

بعد سنين من المفاوضات المضنية استطاعت جمعية السيدات استلام قرار إرجاع المستشفى ولم يحصل هذا إلا بعد ثماني عشرة سنة، في 1959 عندما انتهى في مدينة كامْبيناس في ريف الولاية بناء مدرسة طلاب التجنيد العسكري، وإلى هناك حُوّلت تلك الوحدة. توفيت أدما يافث، صاحبة فكرة المستشفى السوري اللبناني سنة 1956، دون أن ترى حلمها محققاً.

عند إنجاز العملية الأولى هناك سنة 1961، كان المستشفى قد وفق بالإشراف الإستراتيجي لجمعية السيدات وبتكليفٍ من المجلس التقني الإداري المكون من الأطباء المعتبرين، البعض منهم ذوي الخبرة في مجال إدارة المستشفيات، احتاجت منشآته إلى عملية إعادة تنشيطٍ واسعة النطاق، إذ أن مرور الزمن أدى إلى إعطابها،

وكذلك بعد ذلك إلى إعادة تصميم وتوسيع المساحة المبنية، تحت نفوذ نمو المدينة وتطور القطاع الصحي خلال عقدين، زود المستشفى بقسم الإسعافات الأولى للأطفال وبنايةٍ جديدةٍ بأموالٍ تم جمعها من مناسباتٍ خيريةٍ ونقاشاتٍ مع الجالية السورية اللبنانية.

المجلس التقني الإداري الأول (1961):

الطبيب ضاهر قطيط

الطبيب فاضل حيدر

الطبيب هاني منصور صادق

الطبيب جورج عبدالله

الطبيب باولو يزبك

الطبيب بطرس خمسمية

افتتح المستشفى رسمياً في 15 آب سنة 1965، تحت الإدارة الطبية للدكتور ضاهر قطيط ورئاسة فيوليت يافث، ابنة أدما يافث في الجمعية الخيرية للسيدات، لم تكن الخطط التطويرية بالمتواضعة مما اعتبر أمراً طبيعياً بالنسبةٍ إلى مؤسسةٍ تطمح أن تُصبح مركزاً مرجعياً في مجال الصحّة البرازيلية، فقد افتتح سنة 1972 بعد جهودٍ واسعة النطاق، المبنى المعروف اليوم بمجموعة ب، بعشرة طوابقٍ وعددٍ من الخدمات بما فيها المعالجة بالأشعة ووحدة العناية الفائقة وعيادة للاستشعاع العام والعلاج بالفلط، وهي رائدةٌ في مضمار تكنولوجية المسرعات الخطية.

بمرور الزمن تأهل مجمع المستشفيات لأن يصطف في الطليعة الطبية، محققاً غايته وهي أن يكون مركزاً رائداً في الصحة، مطلقاً نفسه خلال عقود السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات في نشاطاتٍ مثل التعليم والبحث والمسؤولية الاجتماعية،

حتى وصل إلى القرن الحادي والعشرين وموقفه راسخٌ بين أفضل المجامع الصحية في الدولة، في 1992 استكمل المبنى الثالث فأصبح للمستشفى 300 سريرٍ، وافتتح برجان جديدان في 2015، مما سجل قفزةً جديدةً في عملياته.

4. الجوهر: الدفء الإنساني والتضامن مبادرةٌ قيميةٌ:

الجمعية الخيرية لسيدات المستشفى السوري اللبناني مؤسسةٌ تقوم بأنشطةٍ متكاملةٍ في مجالات الخدمة الاجتماعية والصحة والتعليم والبحث، شعارها اليوم بالتعايش والمقاسمة نساهم ببناء مجتمعٍ أكثر عدالةً وأُخوّةً، إنما قيمها الأربع هي الالتماس والدفء الإنساني والامتياز والتضامن.

يُبرز هذا المزيج من المبادئ والأنشطة المشيدة بمرور الزمن نضجَ فكرة المستشفى وفي نفس الحين الالتزام بالقاعدتين المكونتين لتراثه: الدفء الإنساني والتضامن، ورغم كونهما مشتركتين، فإنهما لا تلتبسان فمفردة التضامن (بالبرتغالية solidariedade) أصلها الكلمة اليونانية holos (كامل، كلي) والكلمة اللاتينية solidus (متين، صلب، كامل)، فتشير إلى أولئك الذين يهبون أنفسهم سعياً لتطور الإنسان، بحثاً منهم عن علاقاتٍ مساواتيةٍ، أما الدفء الإنساني فيرتبط بالتعاطف الإنساني، التأييد الذي يوهب لأولئك الذين لا يملكون شيئاً، تدلَ كلتا المفردتين فعلاً على الهدف الأقصى للمستشفى، تحسين نوعية حياة الناس لصالح المجتمع.

بأصوله المشتركة مع النشاط الإحساني، ينزع المستشفى السوري اللبناني إلى الترحيب والامتياز في ممارساته الطبية، مستضيفاً أناساً من شتى الأصول والفئات الاجتماعية والاقتصادية، متجاوزاً بكثيرٍ مصلحة الجالية السورية اللبنانية وأهل مدينة ساو باولو، فيشمل تأثيره المباشر المجتمع البرازيلي بشكلٍ عامٍ.

مع مرور السنين، وسعت المؤسسة دور أنشطتها إلى مجال التعليم والبحث في الطب والخدمة الاجتماعية، ووطدت كذلك التزامها بالمساندة التقنية لمنظومة الصحة الوطنية، من خلال نشاطاتٍ تعليميةٍ وبرامج لتلبية احتياجات السكان الصحية، وتنظر إلى المستقبل مخططةً للبقاء في طليعة هذا المجال في البرازيل، مزاولة فعلاً، النظرة الإنسانية التي مركزها الحياة ورفاهية الإنسان، وهذا ما حلمت به تلك المجموعة من السيدات في عقد العشرينيات من القرن العشرين.

5. مجمع المستشفيات بين الأمس واليوم:

بعد الاحتفاء بتاريخ كمل خمسةً وتسعين سنة في 2016، ترسخت الجمعية الخيرية لسيدات المستشفى السوري اللبناني كمرجعٍ دولي في المجالات التي يؤدي دوراً ما فيها، والتي تشمل التخطيط الصحي والتعليم والبحث والمسؤولية الاجتماعية، مع تقديم خدمات المعالجة في المستشفى والإجراءات الجراحية والفحوصات التشخيصية والاستشارات العيادية والمعالجات المستعجلة والطارئة من بين خدماته الأخرى.

تتضمن إجراءات المستشفى ثلاث أفرعٍ في ساوباولو وثلاثاً في العاصمة برازيليا، مما يشكل ما بمجموعه 464 سريراً مهيئةً للاستخدام، في مجمع المستشفيات الواقع في حي بيلا فيستا في عاصمة ولاية ساو باولو حيث مقر المنظمة توسعت المساحة التي بها تقام الأنشطة لتبلغ أربعة مبانٍ موزعة على 155 ألف مترٍ مربع، تقدم وحداته الجديدة في حي إيتاييم وحي جاردينز في ساوباولو ولاغو سول وآزا سول في برازيليا مراجعاتٍ عياديةٍ وعلاجاً في مجال السرطان وخدمات الاستشارة الجينية.

إنهم أكثر من 6000 متبرع مباشر و 4000 طبيبٍ في الطاقم الطبي الرسمي لتقديم المساعدة والطب العالي الدقة، بتخصصات تربو على الستين، تدلَ هذه الأرقام على نمو المؤسسة وقدراتها حالياً على تقديم حلولٍ متكاملةٍ في مجال الصحة،

يستفيد منها المرضى الذين يتعالجون على حسابهم الخاص أو على حساب التأمينات الصحية على حدٍ سواءٍ، بالإضافة إلى المحترفين أو المنتسبين إلى نظام الصحة الموحد الحكومي، المستفيدين من الشراكات الإستراتيجية الموجهة لتطوير جودة هذا المجال في البرازيل.

يدعم المستشفى السوري اللبناني شبكةً تتضمن عشرات الخلايا الطبية ومراكز التخصصات التي تقدم بواقع الامر محترفين في مجالاتٍ متعددةٍ إلى المرضى الباحثين عن العناية المتكاملة في تشخيص الأمراض والمعالجات، مضيفةً الخدمة إلى نظرتها اليقظة إلى النزعة التكنولوجية الحديثة، والتي يمكن تطبيقها في شتى مجالات الطب، من بين هذه المراكز مركز السكري، والتصلب المتعدد والأمراض التابعة له، والتمنيعات، والتهاب الكلية وغسيلها، والسرطان، والتوليد النسائي، والصحة العظمية، وأمراض الأذن والأنف والحنجرة. الأقسام المتطورة مكرّسةٌ إلى العنايات التكاملية، وأمراض الشيخوخة، والأمراض المعدية، وأمراض الثدي والمسالك البولية، وسرطان البشرة، والجروحات المعقّدة العلاج، والبدانة، واضطرابات الأكل النفسية.

تتضمن البنية التحتية لوحدة حي بيلا فيستا مركزاً للإسعاف الفوري تخصصه الحالات المستعجلة 24 ساعةً، مع خدمة سيارات الإسعاف والنقل الجوي والأرضي، ومركز عملياتٍ جراحيةٍ له 32 غرفة في بيئةٍ متكاملةٍ مع أجنحة مركز المواد والتعقيم ومختبرٍ للتشريح المرضي، مجهزٍ للعمليات الجراحية الروبوتية شديدة التعقيد، وحدات العناية المركزة وشبه المركزة، مجهزةٌ للمرضى ذوي الحالة الخطيرة على مختلف أوضاعهم الصحية، وحدةٌ للحالات الخطرة بشكلٍ عامٍ معدةٌ لتكميل علاج المرضى ذوي الحالات الخطرة، وحدةٌ للحالات القلبية ذات الخطورة، وحدة زراعة نقي العظام وهي تابعةٌ اليوم إلى مركز علاج السرطان، مركز التشخيصات الموجود اليوم ليس فقط في مباني حي بيلا فيستا، بل أيضاً في وحدات أحياء إيتاييم وغارديننز وآزا سول، وحدة طبَ الأطفال، مركز إعادة التأهيل، والمعهد السوري اللبناني للتعليم والبحث إلخ.

بهدف تكييف البنية التحتية مع احتياجات المرضى، جلب العقد الأول من القرن الحادي والعشرين والنصف الثاني من سنة 2010 سلسلةً من العلامات والتوسعات، يبرز من بينها افتتاح وحداتٍ جديدةٍ في ساو باولو وانتشار نشاط المستشفى إلى برازيليا، بوحدتي حي آزا سول وحي لاغو سول، مما يقوي نفوذ المؤسسة نحو النطاقٍ الخارجي لساو باولو، فقد تعرض كذلك الجناح د في بيلا فيستا، إلى توسيعٍ في بنائه، وهذا مضافاً إلى افتتاح الجناح إي، زاد من قدرة الاستضافة وأتاح إعادة توزيع بعض مساحات المستشفى، مثل مركز المواد والتعقيم ومركز إعادة التأهيل.

5.1. الرؤية إلى المستقبل:

بحثاً عن الجمع بين كلٍ من التراث والحداثة، يبني المستشفى ويستحدث خططاً إستراتيجيةٍ بأهداف بعيدة المدى، ترمي إلى الاستدامة الذاتية وتقوية سمعته التجددية والامتيازية وتحسين الخدمات التي يوفرها، عدة منظماتٍ مسؤولةٍ عن تنفيذ وتخطيط وتحقيق هذه الخطة، من أبرزها المجلس الاستشاري وإدارة السيدات والمجلس الإداري ومجلس متابعة الأعمال، التي تُشغل مناصبها من قبل أعضاءٍ يعملون كمتطوعين.

من شأن إدارة السيدات، المكونة من 16 عضواً التكفل بإبقاء الميراث الخالد للسيدة أدما يافث، بتأصيل قيم الامتياز والدفء البشري في كلَ مجالات المستشفى وفرقه، فضلاً عن المشاركة في المناقشات عن الميزانية والسياسات الإدارية والتخطيط الإستراتيجي.

بمرور الزمن تقوى تعهد المؤسسة بتوليد قيمٍ إلى المجتمع لهذا الغرض، تجلب أذرع المسؤولية الاجتماعية وإنتاج المعرفة مكاسب إستراتيجيةً للمستشفى، لتضعه في مركز المبادرات لتحسين الصحة في الدولة وتحفيز التعليم والبحث بين أبناء الجالية.

5.2. العناية بجودة وأمانة:

يتطلب ضمان السمعة الرصينة في مجمع مستشفيات دون شكٍ، نظرةً منتبهةً إلى الجودة وإلى تجارب كلَ عليلٍ، وتقييم العناية والاهتمام بالكل، ومساهمة الإسعاف الصحي الفعلي لصالح كل فردٍ، لهذا السبب طوّر المستشفى السوري اللبناني خلال تاريخه نظرةً تكامليةً ومتعددة التخصصات لإدارة الجودة، مركزاً على المقاييس المتبعة لما تتطلبه المنظمات الدولية المعنية بالأمر، في كلَ ثلاثة أشهرٍ ننشر أداءنا المؤسساتي في شتى الأوجه ومؤشرات الجودة والسلامة على الصفحة .br. .www.hospitalsiriolibanes.org

موضوعٌ آخرٌ أساسيٌ للمستشفى ألا وهو العناية بالمرضى، اليوم من شأن إدارة التوجيه السريري (الإدارة التقنية مسبقاً) أن تضمن الاعتناء بالفرد وفق مستوياتٍ عدةٍ، من الطب إلى فرق المساعدة مروراً بالتحفيز على التجديد وعلى التقييم الجيد لختام العملية وعلى تطوير البروتوكولات وعلى التواصل مع الطاقم الطبي المعتمد والعلاقة به.

تترجم النظرة المنتبهة إلى العناية بمفهوم تجربة المريض إلى اكتساب رضى من يتعالج بالمستشفى، ولا تسعى فقط إلى تجويد الخدمات، بعض الإجراءات التي تعبر عن هذا التوجه والتي أصبحت جزءاً من إستراتيجيته، تأسيس أمانةٍ للمظالم وتقييم مؤشرات التوصيات وخططٌ لإقامة مجالس استشاريةٍ للمرضى.

6. التعليم والبحث في خدمة الصحة البرازيلية:

سبق أن افتتح المستشفى سنة 1978 مركزاً للدراسات والبحوث، في حركةٍ أدخلت توليد المعرفة وإدارتها ونشرها إلى الثقافة والاستراتيجية، فضلاً عن الإنفاق على تكوين طاقمها الطبي وتحفيز البحوث التي تمكن من تطوير الطب والإسعاف، بما له وقع داخل وخارج جدران المستشفى، فوضع هذا القرار المهنيين الذين يعملون

لدى المستشفى في موقف الباحثين الفعالين عن طرقٍ جديدةٍ لجلب الرفاهية وطول العمر وحياة جيدة للمرضى.

المبادرات الأولى لمركز الدراسات والبحوث إقامة دروس تحديثٍ وندواتٍ ومؤتمراتٍ ذات وزنٍ قوميٍ ودولي، تحت إشراف مهنيين ذائعي الصيت للمؤسسة، اكتسب المستشفى علامةً جديدةً سنة 1990 بلقبه مستشفىً مدرسياً، الذي منحته له وزارة التربية والثقافة، في السنة نفسها ابتدأت عدة برامج للأطباء المقيمين، ولاحقاً بدأت برامج الدراسات العليا والاختصاص والتطوير، أُسِّست كذلك لجنة أخلاقية في مجال البحث، وهي ذراعٌ مهمٌ لضمان التآلف بين قيم المؤسسة وأولويات بحوث الفرق، بهدف ضمان المساحة لهذه الأنشطة، شيد مبنىً آخر يزيد اليوم عن أكثر من 5000 مترٍ مربع، ضمن خطةٍ استطاعت أن تزيد إلى أقصى حدٍ بأسلوبٍ استحداثي، استغلال أراضي المستشفى في حي بيلا فيستا.

منذ 2003، تحول مركز الدراسات والبُحوث إلى المعهد السوري اللبناني للتعليم والبحث، المهيأ للمساهمة في تطوير مجتمعٍ أكثر عدالةً وصحةً واندماجاً، يضم هذا المركز مراكز أخرى للتدريب في شتى المجالات كالعمليات الجراحية بالفيديو والعمليات الجراحية المجهرية والعلاج الإشعاعي الموضعي للبروستات والحالات الطارئة في القلب والأوعية الدَّموية، ومكتبةً ومختبراتٍ ومنشآتٍ أخرى كبنك الحياة ومركز البحوث السريرية وبنيةٌ كاملةٌ لمساندة الباحثين، عُرض أواخر العام 2016 أربعون برنامجاً للإقامات التدريبية في المجال الطبي وأخرى متعددة الحرف، تشمل جمهوراً يزيد على الثلاثمئة في السنة، فضلاً عن برامج للماجستير (المهني أو الاكاديمي) والدكتوراه وتخصصاتٍ بالمعنى الواسع.

يشكَل مفهوم التعليم والبحث إستراتيجيةٍ للمستشفى، ويقاس نجاحه بتحليل المصادر المنفقة وعودتها الفعلية بتوليد معرفةٍ جديدةٍ، بهدف إضفاء قدرة التطبيق على البحوث، يتوجب أن يفهم التجديد على أنه تحويل المعرفة إلى إمكانياتٍ

منتجة أو عملياتٍ تجلب منافع للمجتمع، بعبارةٍ أخرى: عند تركيزه على البحوث العالية التطبيقية، يمنح المستشفى الأولية إلى خططٍ قادرةٍ على تحويل الطب والعمليات الإسعافية إلى صحة، بتوجيه نشاطاته يحافظ المستشفى على خطط بحثٍ متآلفة مع المجالات الأكثر طلباً في المستشفى كعدد الاستضافات والإجراءات إلخ، يعمل الباحثون المعتمدون في عملياتٍ إسعافيةٍ أو مع الهيئة الطبية، وعادةً ما يؤلفون خططاً تركز على الاحتياجات المباشرة للمرضى، تُلَبَّى تلك الاحتياجات بمعرفة العلم والإمكانيات التكنولوجيا المتطورة لمختبرات المؤسسة، ها هي الخطوط السائدة منذ 2017: العمليات الروبوتية، الطب المكثف، التنظير الباطني، الفيزيولوجيا المرضية للآلام، طب النساء، المعلوماتية الطبية، الطب المكثف، علوم الأعصاب والتغذية، علم الأورام الجزيئي والبحوث السريرية، بحوث الرصد والمساندة للمرضى ذوي الحالات الخطرة أو المصابين بالسرطان، معالجة الخلايا والهندسة الحيوية للأنسجة.

يرتبط جزءٌ من هذه البحوث ببرامج الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه الأكاديميان في علوم الصحة، وماجستيرٌ مهنيٌ في إدارة التكنولوجيا والتجديد في مجال الصحة، تحوي هذه البرامج أساتذةً باحثين يساهمون في تكوين باحثين آخرين، فضلاً عن أنهم منتجون للمعرفة.

حرصاً منه على المعارف المتداولة في المؤسسات والمراكز التعليمية الأخرى في البرازيل وفي الخارج، لدى المستشفى السوري اللبناني صلاتٌ بالقطاع الخاص لتطوير الإنتاج الصحي القومي، بما فيه المبادرات للتطوير المشترك والاحتواء على التكنولوجيات الجديدة وتعديلها، من خلال مختبر القابلية للاستعمال تتم الاختبارات والتحديثات التي تجلب المزيد من الأمانة والجودة إلى العمليات الخاصة بالمرضى، فضلاً عن هذه البرامج يقوم المعهد بالبحوث السريرية التي تضمن التوصل إلى طرقٍ جديدةٍ في التشخيص والإجراءات والمعالجات لمرضى المؤسسة، تقام هذه الأعمال من خلال مهنييها أو بالشراكة مع المصانع الصحية.

تذهب إدارة المعرفة إلى ما بعد التعليم والبحث، لتضم حواراتٍ وتبادل شراكات، ينجز المعهد الكثير من الاجتماعات العلمية سنوياً، بغرض تشجيع النقاشات ذات القيمة لتحسين العناية والأمانة والتجربة لدى المرضى بشكلٍ شاملٍ، في خلال سنةٍ واحدةٍ فقط، تنجز عشرات الدورات الدراسية والندوات والمؤتمرات في منشآت المستشفى.

النشاطات التعليمية جبهةٌ أخرى مهمةٌ ومركزةٌ في مجال الدراسات العليا بمعناه الواسع، في التربية المتواصلة وفي الإقامة الطبية، ضمن بنيةٍ مركبةٍ تحتوي على مركز محاكاةٍ للواقع ومكتبةٍ وقاعاتٍ مقسمةٍ إلى وحداتٍ ومدرجاتٍ ورصيفٍ رقميٍ للتعليم وغرفةٍ للتطبيب عن بعد، ومركزٍ تدريبي يسمح بالعمل في القطاعات العالية التعقيد ولدى من يعانون من حالات طبيةٍ خطرةٍ في مجالاتٍ كالسرطان، ومن ثم توجيه موارده ونفقاته في التعليم المتخصص.

في أواخر 2016، حافظ المستشفى السوري اللبناني على 13 برنامجاً للإقامة الطبية، و17 برامجاً للتخصص الطبي تحت نظام الإقامة 10، برامج للإقامة المتعددة والمنفردة في التمريض والعلاج الفيزيائي العلاج النفسي وطبَ الأسنان والطبَ الحيوي والطبَ الفيزيائي، يتقاضى الطلاب المتأهلون ومرشديهم منحاً ومساعداتٍ من المنظمة ومن وزارة الصحة، أمَّا بالنسبة إلى برامج الدراسات العليا، ثمة أكثر من عشرة أنواع، من بينها الدورات التالية: العناية المسكنة والأورام العصبية والتلقيح بالمساعدة والمعلوماتية في الصحة وطبَ المستقيم والتخدير والعلاج المكثف للأطفال والطب الصيدلي.

7. المسؤولية الاجتماعية، خلق القيمة المشتركة:

طالما أنَ الخيرية والمسؤولية الاجتماعية نقطتا الانطلاق في تاريخه، ترجم المستشفى السوري اللبناني هذين المفهومين بعدة أساليب مع مرور الزمن، منها:

إما بالاعتناء المباشر بعائلات الذين يواجهون وضعاً هشاً اجتماعياً واقتصادياً، وإما بإنتاج ونشر المعرفة ذات الأهمية لتطوير الطبَ، وإما بالمساهمة في تحسين الممارسات الحكومية وبنيتها للإسعاف الطبي في أطرها الثلاثة، الاتحادي وعلى مستوى الولايات ومدنها.

يدعم المستشفى السوري اللبناني، مع مجامع مستشفيات متطورةٍ أخرى برنامج مساندة التطوير المؤسساتي لنظام الصحة الموحد التابع للحكومة الاتحادية، تسمح هذه المبادرة الحكومية عبر برامج الإعفاء عن الضرائب، بأن ينفق المستشفى أموالاً في مخططاتٍ ذات أهميةٍ لتأهيل نظام الصحة الموحد في جميع الولايات وكذلك في العاصمة.

عند قبوله التحدي بأن يكون مرجعاً ويشغل مكان الصدارة في تحسين نظام الصحة الموحد، قام المستشفى بعقد 34 مخططاً مع وزارة الصحة لسنوات 2015 و2016 و2017، بالإضافة إلى شراكاتٍ أخرى مع الاتحادية، وجدد في 2016 التأكيد على شهادات الكيانات الخيرية للمساعدة الاجتماعية في مجال الصحة، التي تمكنه من القيام بنشاطاتٍ في إطار المسؤولية الاجتماعية، يضاف لذلك أن المستشفى السوري اللبناني أحد الفائزين بجائزة قادة الصحة سنة 2016 بمرتبة الإحسان، لأهمية المخططات التي قام بها من خلال نظام الصحة الموحد لمعالجة المرضى في برازيليا ولعرضه الفحوصات بالصور مجاناً لمرضى القطاع العام في مدينة ساو باولو.

توجه أربعة محاور أدائية تخطط لدعم نظام الصحة الموحد البرازيلي: أما الأول، فتأهيل الموارد البشرية، ولديه 71 برنامجاً فعالاً يساعد على تكوين المهنيين وتجديد علمهم، أما الثاني فالدراسات التي تُقَيِّمُ التكنولوجيات المستحدثة في إطار الصحة وتختبرها وتُضيفها لتحسين نوعية حياة الأهالي، أما المحور الثالث، فهو نتيجةٌ لعقودٍ من التجربة، ويركز على تطوير التقنيات والعمل الإداري في خدمات الصحة، وله مخططاتٌ تتابع المعطيات وتأهل المدراء، أما الرابع فالقيام بالشراكات مع مديرين

إقليميين تحديداً في مدينة ساو باولو والعاصمة برازيليا لدمج أطر الخدمة والتعليم والبحث، في 2016 أهّلت برامج التكوين حوالي 8000 من مُحترفي نظام الصحة الموحد.

في مدينة ساوباولو، مهد الجمعية الخيرية للسيّدات ومقرّ أوسع نشاطات المستشفى، تشمل الاتفاقات المبرمة مع البلدية إجراء فحوصاتٍ عالية التعقيد للمرضى الذين يبعثهم نظام الصحة الموحد، فضلاً عن هذا تمَ إجراء إصلاحاتٍ في وحداتٍ صحيةٍ منها مؤخراً الإصلاح في المستشفى البلدي للأطفال الطفل يسوع.

يتاح للأهالي أيضاً منذ 2005، عيادةً خيريةً، وهي ذراعٌ عمليٌ يقع في المنطقة الوسطى لساو باولو، تعتني بالمرضى الذين يأتونها من قبل نظام الصحة الموحد في ثلاثة تخصصاتٍ عالية التعقيد: زرع الكبد والقلب للأطفال (برنامج القلب الجديد) ومعالجة سرطان الثدي.

لهذه الوحدة بنيةٌ للموجات فوق الصوتية تقدم مُنذ 2015 فحوصاتٍ بالصور لمرضى نظام الصحة الموحّد، عيادة التخصصات في طبَ الأطفال، ووحدةٌ تعتني بأطفالٍ وشبانٍ ترسلهم الشبكة الصحية الوطنية في مجالاتٍ عدة: كالصعوبات التعلمية والبدانة وطبَ الآذن والأنف والحنجرة وتقويم الأسنان وطبَ الأسنان، وتتصل هذه الوحدة بالنشاطات الاجتماعية للمستشفى.

7.1. المعهد السوري اللبناني للمسؤولية الاجتماعية:

معهدٌ ذو هيئةٍ قانونيةٍ خاصةٍ، يعمل كمنظمةٍ اجتماعيةٍ صحية، يدور نشاطه في إطار إدارة الخدمات الصحية في الولايات والمدن، ومن خلال المعهد حالياً، تقوّي الجمعية الخيرية للسيدات تعهدَها التاريخي بتطوير العناية بمرضى نظام الصحة الموحّد.

نموذجه ضمن المنظمات الاجتماعية الصحية نموذجٌ استحداثيٌ، أهدافه النجاعة في النتائج وفي العناية بمحترفي القطاع الصحي، والشفافية وتقديم الحسابات بانتظامٍ إلى مديري السلطة العامة، كلَ الخدمات موجهةٌ إلى العناية بالذين ينتمون إلى نظام الصحة الموحد، لتضمن لهم التوصل إلى معالجاتٍ صحيةٍ كاملةٍ ونافعةٍ، يقدم المعهد إلى المجتمع إمكانياتٍ فكريةٍ وتقنيةٍ وعمليةٍ لأداء الخدمات الصحية في القطاع العام بشكل مُؤَنْسَن وذي جودة، حالياً يدير المعهد خمس وحداتٍ صحيةٍ في ولاية ساو باولو: عيادة الطبيبة ماريا كريستينا خوري للتخصصات، والمستشفى العام لحي غراجاؤه، والمستشفى البلدي للأطفال الطفل يسوع، والمستشفى الإقليمي لمدينة جونديائي، ووحدة خدمة إعادة التأهيل لوسي مونتورو، المستشفى البلدي للأطفال الطفل يسوع مرجعٌ في العناية متوسطة وعالي التعقيد للأطفال، وهو متخصصٌ أيضاً بالعيوب الولادية، يسانده المستشفى السوري اللبناني من خلال الإنفاق على الإصلاح والتكنولوجيا، في نشاطه الأخير أعاد الفعالية إلى 30 سريرٍ للمعالجة المكثفة وشبه المكثفة، فمكن العناية بأطفالٍ كانوا في انتظار العناية المتخصصة.

تتضمن شراكات المشفى مع حكومة ولاية ساو باولو باعتمادها مرجعاً للصحة العامة، وهذه حالة المستشفى العام لحي غراجاؤه، الذي يوفّر العنايات الطارئة والمستعجلة ذات التعقيد المتوسط والعالي، والذي يُعْتَرَفُ به كمستشفىً لتعليم طلاب المجال الصحي، وهذه كذلك حال عيادة الطبيبة ماريا كريستينا خوري للتخصصات، وهي مركزٌ للتشخيص والإرشاد العلاجي تعتني بشتى الاختصاصات.

الوحدات الأخرى التي يديرها المعهد هي المستشفى الإقليمي لمدينة جونديائي، المتخصص بالعناية الجراحية في منطقتي براغانسا باوليستا وجونديائي، ووحدة خدمة إعادة التأهيل لوسي مونتورو في مدينة موجي ميريم، يقدم هذا الأخير التكنولوجيا الدقيقة المتطورة لإعادة تأهيل الذين يعانون من القيود الحادة للتحرك ومن العيوب الجسدية والمعطلة، فضلاً عن العناية العيادية المتعددة الاختصاصات، تعمل

هذه الوحدة في وصف الأجهزة ومنحها في الجراحات الالتئامية، وهي مزودةٌ بمختبر روبوتي.

أما الشبكة الاجتماعية لحي بيلا فيستا، التي أسست سنة 2005 إثر عملٍ مشتركٍ بين منظمات المجتمع المدني، فتحاول تطوير عملياتٍ إداريةٍ يشترك بها الجميع كي يتوصل حي بيلا فيستا إلى التنمية المستدامة. أطلق المبادرة العمال الاجتماعيون المشتغلون في الوحدات الأساسية للصحة وفي مراكز المساعدة النفسية الاجتماعية وفي قاعات الطعام الجماعية وفي أقسامه الصحية والخاصة بالعناية الاجتماعية، اليوم تكوين الشبكة واسعٌ ويضمَ منظماتٍ غير ربحيةٍ ومجموعاتٍ متنوعةٍ والحكومة والقطاع الخاص.

7.2. عانق حيَّك:

في إطار الخدمة الاجتماعية، تطور الجمعية الخيرية للسيدات منذ 2001 برنامج عانق حيك، الهادف إلى الاعتناء بالجماعات ذات الدخل المنخفض في حي بيلا فيستا، وهو الحي الذي يضمَ تاريخياً جذور المستشفى، الهدف الأساسي للبرنامج التحفيز على الصحة والتعليم والتأهيل المهني، مما يثبت تعهد الجمعية مع الأهالي الذين تعمل بينهم، في 2016 زاد عدد الذين استضافتهم الأقسام على 1800، وبأعمارٍ مختلفةٍ تتراوح ما بين 4 و60 سنة، الدورات الدراسية مجالٌ آخر للتأهيل، منها الخدمة في مطاعم المستشفيات ونظافتها والمساعدة في صيدلياتها، وفي تطوير قدرات المعتنين بالمسنين (برنامج اعتناء) والتفكر والنقاش حول الشيخوخة، التشجيع على الصحة.

يضمَ برنامج عانق حيك مجموعاتٍ في مجالات الطهي والثقافة والترفيه والرياضة والتعليم وتوليد الدخل والاجتماعات، وكلَ هذا في جدول أنشطتها، ثمة اجراءات للاستدامة الاجتماعية، مثل المواطنة الفعالة، وهو مشروع تأهيلٍ مهنيٍ

للمصابين بالإعاقات، ودورة موضة الشاطئ، التي تعالج مواضيع مثل الفن والثقافة والموضة والريادة في الأعمال والابتكار ورفاهية بيئة العمل وشبكات التواصل الاجتماعي.

8. الاعتراف والتصديق، انعكاسات الامتياز:

ينبغي على مؤسسةٍ مثل الجمعية الخيرية للسيدات أن تكون دائماً متآلفةً مع أحدث التكنولوجيات وأدوات الإدارة والممارسات في قطاع عملها، بغية الاعتراف بقدرتها على التجدد وعلى تقديم خبرةٍ ذات مستوىً دولي في خدماتها الصحية إلى مرضاها ومتبرعيها وليس فقط بسبب أصالتها، مع مرور الزمن، ساهم مهنيو إسعافٍ وإداريون مسؤولون عن القيادة اليومية للأنشطة لإثبات مستوى الدقة والانضباط والنجاعة في العمليات الجراحية والفحوصات التشخيصية وممارسات الإسعاف للمرضى.

كانعكاسٍ لكلَ هذا، فإن الاحتفاء بالتسعة عقودٍ ونصف لتأسيس المستشفى تحلت بمحافظة واكتساب شتى الشهادات التي تثبت الجدية التي بها يتعامل كلَ موظفي المستشفى بمواضيع مثل الأمانة والعناية الخاصة بالأهالي المسنين وبإعادة التأهيل وبإدارة البيئة والاستدامة وبنجاعة مرافقها للسيطرة على انتشار العدوى.

8.1. Joint Comission Internacional (JCI):

تمتلك هذه اللجنة الدولية أدق وأكمل عمليات التقييم لجودة المستشفيات، في 2007 اكتسب المستشفى ختم التصديق لأول مرة، فكمل سنة 2017 عشر سنوات من بداية المصادقة، طورت الـ ICJ. منظومتها للتقييم في الولايات المتحدة خلال عقد الخمسينيات من القرن العشرين، محورها التحفيز والتعرف على طرق

تحليليةٍ متعمقةٍ في مواضيع مثل جودة العمليات وأمانة الخدمات والسياسات الإدارية وبرامج السيطرة على المخاطر في المراكز الاستشفائية في العالم قاطبةً.

8.2. Acreditation of Rehabilitation Facilities (CARF) Comission on

تمنح هذه المجموعة الأمريكية التي تحمل الاسم نفسه، وهي منظمةٌ مستقلةٌ غير ربحيةٍ تأسست سنة 1966، غايتها تحسين الخدمات في مجال الصحة، اكتسب المستشفى السوري اللبناني هذه الشهادة سنة 2015، من خلال مركز إعادة التأهيل التابع له وهو مكسبٌ رائدٌ، إذ أنه أول مؤسسةٍ برازيليةٍ من القطاع الخاص تحصل على مثل هذه الشهادة صلاحيتها القصوى ثلاثة سنوات، مبدئياً لم يمنح هذا الختم إلا بعد تدقيقٍ متأنٍ يقوم به مديرو المنظمة ميدانياً خلال ثلاثة أيام.

8.3. ISO 14001:

شهادة المنظمة الدولية للمقاييس 14001 (ISO 14001) معيارٌ معترفٌ به عالمياً، وتشهد للمنظمات الحاصلة بالتزامها بالمطالب المتعلقة بتأسيس منظومةٍ لإدارة البيئة (AGS)، أول شهادةٍ للمستشفى في المنظومة تعود إلى 2015، وتبرهن على اهتمام إدارته بجوانب حساسةٍ مثل تجنب المخاطر البيئية والتخفيف منها، وأيضاً على رصد المؤشرات المرتبطة بالموضوع.

8.4. SASHO 10081:

قد حصل المستشفى على شهادته من هذا المعيار (و تعني الصحة المهنية وسلسلة تقييم السلامة) لأول مرةٍ سنة 2015، مما يؤكد أنَ للمستشفى الأدوات المناسبة لتقدير أيَ مخاطرٍ على صحة مساعديه والتحكم عليها وإزالتها، تسمح هذه

العملية كما هو الحال بالنسبة إلى الفقرة السابقة، أن يهيأ المستشفى منظومتَهُ لإدارة سلامة المهنيين وصحتهم، على مختلف أنشطتهم.

8.5. EMRAM – الدرجة 6:

أكدت سنة 2017 منظمةInformation and Management Systems Society Analytics (HIMSS) Healthcare ارتقاء المستشفى السوري اللبناني إلى الدرجة 6 من (EMRAM) Model EMR Adoption، إنها منهجية تقيس التطورات في منظومات الملفات الطبية الالكترونية للمستشفيات المعتمدة، انطلاقاً من الثماني درجات (من الصفر إلى السبعة) التي يمكن بلوغها على حسب نضج كلَ منظمةٍ لبلوغ الدرجة السادسة، ينبغي على المستشفيات أن تقدّم مؤشراتٍ تثبت مكاسبها في جوانب مثل سلامة المرضى وتجنيد الأطباء والإسناد الطبي.

8.6. ختم (مستشفى صديق المسنّ):

تمنح حكومة ولاية ساوباولو هذا اللقب إلى المؤسسات التي تبتكر ممارساتٍ حسنةٍ لرعاية من يزيدون عن الستين عاماً من العمر، في سنة 2015 أصبح المستشفى السوري اللبناني المؤسسة الوحيدة الحاصلة على هذا الختم بمرتبة كامل، مِمَّا يؤكّد ريادتَها واستحداثها لدى التعامل مع القضايا المتعلقة بالاستضافة والمعالجة اللائقتين للمرضى المسنين.

من بين الإجراءات المبتكرة التي أسفرت عن هذا الاعتراف، خلق لجنةٍ مخصصةٍ للاعتناء بالموضوع في المستشفى وفريقٍ متعدد المهن وفعالياتٍ للتبليغ عن أيَ تعنيفٍ قد يتعرض له المسنون ومساندتهم.

8.7. الاعتماد الكندي:

إنَ Qmentum International، وهي منظمةٌ كنديةٌ ترصد معايير الأداء في مجالي الجودة والسلامة اعتماداً على مطالب معترف بها عالمياً لتحليل المؤسسات الصحية، منحت الجمعية الخيرية لسيدات المستشفى السوري اللبناني الدرجة الألماسية للاعتماد الكندي سنة 2015، مما يؤكد تعهدها بتبني أفضل الممارسات للعناية بالمرضى، يجدد هذا الاعتماد كل ثلاث سنوات.

8.8 – LEED Gold:

يصدر هذا الاعتماد عن U.S. Green Building Council، وهي مؤسسةٌ ابتكرت الأدوات لتقييم تبني ممارسات الاستدامة في العمليات المعمارية اعتماداً على مقاييس شتى من النجاعة في استعمال الطاقة والمياه حتى تحديد التكنولوجيات والمعدات، مروراً بجودة الهواء واستخدام المواد وإطراحها، مُنح مشروع توسيع المستشفى السوري اللبناني هذا الاعتماد سنة 2017.

8.9. دليل الاستدامة لمجلة إزامي:

أُدْرِجَ المستشفى بين المنظمات المتعارف عليها في نسخة هذه الجائزة لسنة 2016، التي نظمتها المجلة البرازيلية إزامي (أي: فحص) للاعتراف على الممارسات الجيدة في النطاق الاجتماعي والبيئي والاقتصادي.

9. الاهتمام بمستقبل الصحة:

كجزءٍ من تخطيطها الاستراتيجي، فإنَ الجمعية الخيرية لسيدات المستشفى السوري اللبناني منتبهةً إلى الفرص المتوافرة في المستقبل، فاهتمامها بتقديم مزيدٍ من الخدمات تزيد فضلاً على محافظتها على تراث المشفى المليء بالعناية والدفء

البشري، وتعتبر أن النظرة المنتبهة إلى التغيرات التي تحدث حالياً في قطاع الصحة، سواءً على المستوى الوطني أو الدولي، تفرض نفقاتٍ تضمن مكانها الطليعي في الطب والإسعاف.

الاتجاهات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية التي تدفع بالشعب البرازيلي نحو التغيير هي عاملٌ حاسمٌ في قيادة الطريقة التي من خلالها يقتضي على المراكز الطبية البرازيلية أن تعد نفسها للسنوات المقبلة، بما في ذلك المواضيع الحساسة كمتوسط الأعمار والطلب المتصاعد على المعالجات المتخصصة وأيضاً الضغط الشديد من أجل توفير الخدمات الصحية، سواءً في القطاع الخاص أو العام، علاوةً على ذلك فإنَ توفُّر التكنولوجيا وتعديل العمليات الإسعافية والطبية في قطاعات مثل الجراحة الروبوتية والطب الإلكتروني والتكنولوجيا الحيوية من شأنه أن يغير إلى الأفضل مقاييس المجال وممارساته.

وجانبٌ آخر مهمٌ لمستقبل الصحة في البرازيل وفي العالم، هو تطور بعض القطاعات الطبية التي تتوفر بها إمكاناتٌ كبيرةٌ للاستحداث والتحسين، من أبرزها قطاع علم الأورام وعلم الاعصاب وطبَ الشيخوخة ومعالجة البدانة والاضطرابات الغذائية، ليس من الصدفة أن تحظى هذه القطاعات بالاهتمام الاستراتيجي والروتيني في مراكز الاختصاص والجراحة وفي العمليات العيادية في المستشفى السوري اللبناني، بالإضافة إلى كونها تُعالجُ في ميادين التعليم والبحث بين المتبرّعين والفرق الطبية والشركاء الذين يكرسون أنفسهم لذلك.

على مدى السنين الأخيرة، رسم المستشفى مسارات تضمن الازدهار المادي لعملياته وازدياد حصة الاختصاصات وتحديث منشآته العيادية والجراحية والتشخيصية، فضلًا عن تأهيل كوادره المهنية المستمرّ وتقوية المساهمة الاجتماعية والعلمية، هكذا وبصفته مؤسسةً خيريةً، يُمكِن للمستشفى زيادة توفير الإمكانات للإنفاق على التوسعات في المستقبل وتحسين جودة الخدمات التي يقدّمها والإكثار

من مستويات رضى المرضى وضمان سمعته الإيجابية، ها هي العناصر الرئيسية لكي يحافظ المستشفى السوري اللبناني في القرن الحادي والعشرين، على مكانته كمرجعٍ لكلّ البرازيليين.

التوسيع من بين الأولويات التي أقرّتها الإدارة في السنين الأخيرة، زيادة حُضوره في أماكن أخرى، إلى ما وراء ولاية ساو باولو، مثلاً من مكاسبه عند نهاية القرن المنصرم، بناء ثلاث أفرعٍ في العاصمة برازيليا، هذه الوحدات، التي تركّز على الخدمات العيادية والتشخيصيةً في ميدان علم الأورام، تقوّي سمته المميزة وتزيد من قوة النتائج الاقتصادية المالية للمؤسسة، حتى أمام هذا السياق المتحدي الذي تعيشه البرازيل بعيد 2014، والذي يؤثر تأثيراً بالغاً ومباشراً على التأمينات الصحية للأهالي.

بالطريقة ذاتها فقد تضمنت المخططات في ساو باولو افتتاح فرعين جديدين في العاصمة، في حي جاردينز وفي حي إيتاييم بيبي، مزودتين بمراكز تشخيصية وخدماتٍ متخصصةٍ في ميدان علم الأورام وكذلك ميدانٌ مخصصٌ للفحوصات الشاملة ولقضاء يوم في المستشفى، وتتضمن هذه العمليات الجديدة خدمة الاستشارة الوراثية ومركزاً للاستنساخ البشري، متبعةً الاتجاه المعاصر في مجال الصحة بتوفير بنيةٍ تتناسب مع احتياجات المرضى.

ما زال مجمع المستشفيات في حي بيلا فيستا، حيث أخذ حلم أدما يافث يتحقق تدريجياً، بتحديث ونمو مستمرين، بعد افتتاح برجين جديدين سنة 2015، عاشت المؤسسة ازدياداً جديداً للأسرَة العملية وزيادةً عامةً في المؤشرات العملية سنة 2016 – إجراءاتٌ جراحيةٌ وفحوصاتٌ واستضافاتٌ، كخطة التوسيع الطموحة التي اقتضت بناء برجين مساحتهما 155 ألف مترٍ مربعٍ.

في 2017، بدأ المستشفى السوري اللبناني دورة استثماراتٍ جديدةٍ، من المتوقع إنفاق 200 مليونٍ لشتى قطاعات المستشفى، بما فيها مركز جراحاتٍ

ومختبراتٍ للطب التشخيصي والتكنولوجيا، مرةً أخرى تركّز هذه المرحلة على ضمان العمليات والبنية التحتية المناسبة، بغية الاعتناء الجيد بمرضاه، من ضمن هذه الآفاق غرفٌ جديدةٌ للجراحة وإعادة توزيعٍ للمراكز وزيادةٌ في كمية الأسرّة، مما يثبت أن اليوم وفي السنين المقبلة، يرغب المستشفى السير يداً بيدٍ مع البرازيل، مؤدياً دوره كمشجعٍ فعالٍ لتقدّمه، ومؤكداً على امتنان السوريين واللبنانيين للبلد الذي استقبلهم بهذا القدر الفائق من الكرامة.

المراجع:

ملفات المستشفى السوري–اللبناني.

CUTAIT, Daher Elias. Um médico, uma vida. São Paulo: Editora .Mandarim, 2000

HOSPITAL SÍRIO-LIBANÊS. Hospital Sírio-Libanês: 85 anos. São Paulo, 2007. 176p. HOSPITAL SIRIO-LIBANES. Relatório de Sustentabilidade :.2016. São Paulo, 2016. 72p

متوفر في الموقع التالي:

https://www.hospitalsiriolibanes.org.br/institucional/relatorio-> <sustentabilidade/Documents/relatorio-sustentabilidade-2016. pdf

KHOURI, Juliana Mouawad. Pelos caminhos de São Paulo: a trajetória dos sírios e libaneses na cidade. رسالة ماجستي– برنامج الدراسات العليا في الدراسات العربية واليهودية، كلية الفلسفة والآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ساوباولو، .2013. 281 p.

MATOS, Odilon Nogueira. “São Paulo no século XIX”. In: AZEVEDO, Aroldo (org). A cidade de São Paulo: estudos de geografia urbana. São .Paulo: Nacional, 1958

TRUZZI, Oswaldo. De mascates a doutores: sírios e libaneses em São .Paulo. São Paulo: Editora Sumaré, 1992

TRUZZI, Oswaldo. “Sírios e Libaneses e seus Descendentes na Sociedade .Paulista”. In: Fazer a América. Vários autores. São Paulo: Edusp, 1999

التعددية اللغوية واللغة البرتغالية في لبنان

آدم جايمي مونيز*

توطئة

يهدف هذا المقال إلى فحص جوانب من التعدُّدية اللغوية في لبنان على ضوء مفهوم الازدواجية اللغوية، وحضور اللغة البُرتغالية ضمنَ هذا السياق، انْطلاقًا من المنظور التاريخي لتكوين الجالية البرازيلية في البلد، مع وصف الخصوصيات العامّة لأعضاء المجموعات الرئيسية التي تتكوّن منها الجالية الناطقة باللغة البرتغالية في لبنان، وهذا بالاعتماد على نشاط المركز الثَّقافي البرازيلي اللبناني وعلى التحدّيات والفُرص المتوفِّرة لدى الأعضاء، يَجِبُ أن يُعتبر هذا المقال المبني أساسًا على التجربة الميدانية للمؤلف مجرّد بدايةٍ، فالأمر بحاجةٍ إلى المزيد من المعطيات الوصفية والتاريخية القابلة للتحقّق منها، فيما يتعلَّق بالتصنيف النوعي لِلُّغات وبالأُلسنية الاجتماعية، بُغيةَ التوصُّل إلى نتائج علميةٍ أكثر دِقّةً.

Abstract

This article aims at examining aspects of multilingualism in Lebanon in light of the concept of diglossia and the presence of the Portuguese language in this context from the historical perspective of the Brazilian diaspora formation in the country, portraying general features of

* أمينٌ أول في السلك الدبلوماسي، مدير قسم التنشيط الدولي لوزارة الثقافة.

the main groups of speakers that comprise the Lebanese Portuguese speaking community. It focus then on the promotion of the Portuguese language in the country, based on the work of the Brazil-Lebanon Cultural Centre, and the challenges and opportunities presented to those involved. Mainly grounded on the author's in loco experience, the present study should

be considered preliminary, as more descriptive and verifiable historical data related to language typology and sociolinguistics is needed in order .to achieve a more rigorous scientific research

من لغتي يُرى البحر. من لغتي يُسمع هديره، كما أنّ من لغات الآخرين سوف تُسمع رفرفة الغابة أو صمت الصحراء. لذا فإنّ هدير البحر كان وسواسنا.

(فيرجيليو فيريرا، شاعر برتغالي)

1. المدخل: لبنان معدن ذهبيٌ للدراسات اللغوية:

هاي! كيفك؟ سا فا؟» إنَ التحيات الأكثر اعتياداً التي تسمع في شوارع بيروت ومراكز حضريةٍ أخرى في لبنان، وهي مزيج من الإنكليزية والعربية والفرنسية، تكشف عن التكوين الفريد والمتعدد الثقافات واللغات للبنان، ولو سؤل عن لغة البلد قد يجيب اللبناني العادي مباشرةً: العربية، ولكنه سرعان ما يتدارك ويميز بين اللبنانية الدارجة والعربية الفصحى، وهما لغتان مختلفتان تماماً ليس فقط في لبنان، بل في العالم العربي أجمع، ثم إنه قد يُدرج الإنكليزية والفرنسية كلغتين منتشرتين بشكل واسعٍ وبمستوياتٍ متفاوتةٍ من القدرة، وقد يمكنه أن يضيف إلى هذا المشكال اللغوي الأرمنية، وهي لغة لأقليةٍ، مع كونها مزدهرةً، فلها مطبوعاتٌ خاصةٌ وتُستعمل في مدارس عدّة.

إنَ قضايا اللغة والهوية المترابطة على المستوى الفردي، معقّدةٌ جداً في لبنان، لم يكن من النادر تماماً أنْ تجد مواطناً لبنانياً لغته الأم الأرمنية والعربية لغته الثانية والإنكليزية لغته الثالثة والفرنسية لغته الرابعة وربما يجيد بطلاقةٍ لغةً خامسةً قد تكون الإسبانية أو الألمانية، رغمًا من أن العربيةَ اللغةُ الأمّ لأغلبية اللبنانيين، عادةً ما يستعمل الناس الفرنسية، أو بشكلٍ متزايدٍ الإنكليزية لمحادثاتهم اليومية في المراكز الحضرية، إنه كذلك لَمِن المعتاد خاصّةً بين الشبّان ولكن ليس حصراً عليهم خلط اللغات في الخطاب اليومي، بالمزج المتكرر بين اللغات الثلاث الأكثر استعمالًا، بنوعيها المثقّف أو الراقي، والدارج أو الركيك، على حدٍّ سواءٍ، كما سنرى فيما بعد.

في الثلاثين سنةً الأخيرة، أضاف تزايدُ اليد العاملة الاجنبية خاصّةً في الأعمال التي لا تتطلّب كفاءةً عاليةً، لغاتٍ جديدةً منحصرةً عُمومًا في مجموعات عمّال مهاجرين منفردين، كالتغالوغ والأمهرية والسنغالية والباكستانية والنيبالية، وهنا نكتفي بذكر اللغات الأكثر حضوراً في هذا المجال.

ولكن الانكليزية والفرنسية، دون نقاش، هما اللغتان الاجنبيتان الرئيسيتان، واللتان جلبهما النفوذ الأنجلوأمريكي والفرنسي في التعليم والاتصالات والأعمال ومجال الترفيه إلخ، يتّسم التواصل في لبنان إذن، على لغةٍ شفاهيةٍ مهيمنةٍ، وهي الدارجة اللبنانية، وبتعدديةٍ كبيرةٍ في الاستخدامات العامة والخاصة للعربية الفصحى والإنكليزية والفرنسية.

والبرتغالية؟ لِلُغة كاموينز وماشادو دي آسيس مساهمةٌ محدودةٌ في هذا المشهد اللغوي، فإذا كانت من ناحيةٍ، ليست لغةً للتعليم ولا للأعمال فمِن ناحيةٍ أخرى لها مكانةٌ خاصةٌ لبقائها إما كلغةٍ أمّ وإما كلغةٍ ثانيةٍ، أو كإرثٍ لبضعة أُلوفٍ من اللبنانيين العائدين وسلالهم، مما يبرزها في حال مقارنتها بلغاتٍ أخرى خارجةٍ عن نطاق التيار الرئيسي، على حدّ قول عثمان قد يجوز أن يُقال إنّ البرتغالية اللغة الرابعة

في البلد[1]، مع أننا لم نجد خلال كتابة مقالنا هذا معطياتٍ موثوقةً بما فيه الكفاية للتأكُّد من هذه الفرضية.

2. التعددية اللغوية والازدواجية اللغوية في لبنان:

ليس الخليط اللغوي في لبنان خصوصًا في بيروت حديثًا، إذ أنَ الأهالي يتكلمون ثلاث لغاتٍ على الأقل بشكل يومي، منذ قرونٍ، وهذه ظاهرةٌ مفهومةٌ إذا ما حضر إلى الذهن تاريخ الأراضي اللبنانية، التي تم احتلالها من قبل عدة حضاراتٍ[2]، فبينما اللغة الحضرية الدارجة للطبقة الوسطى اللبنانية اليوم مزيجٌ من العربية والفرنسية والإنكليزية، فمنذ ثلاثة قرون كانت التركية اللغة التي تتكلمها النخبة المتعلمة، والعربية كان يستعملها المسلمون، والسريانية كانت استعملت من قبل جزءٍ لا يستهان به من المسيحيين، بيد احتضارها، والحقيقة أنه لشدة تماهي المسيحيين بالسريانية، التي ما زالت اللغة الأهم في الطقوس المارونية، كان متداولاً آنذاك مثلٌ يقول «عندما تُصبح العربية لغةً مسيحيةً» للإشارة إلى شيءٍ لن يحدث إطلاقاً، وهو شبيهٌ بالقول البرتغالي «ليس في عيد أيَ قديس» أو الإنكليزي «حين تطير الخنازير».[3]

بالرغم من أنها ليست حديثةً فإن التعددية اللغوية اللبنانية لعبتْ وما زالت تلعب دوراً حيوياً في القطاع التعليمي، الذي تضرب ميزته اللغوية المعاصرة جذوراً في تاريخه وتقاليده، أسَّس المبشرون اليسوعيون عدة مدارس ومؤسستين للتعليم العالي اللتين ما زالتا تحتلان مكان الصدارة في لبنان: الكلية السورية البروتستانتية (1866)، التي تحولت لاحقاً إلى الجامعة الامريكية في بيروت، ذات الطابع الآنجلوفوني، وجامعة

1 عثمان، 2006، ص 49.

2 قد احتل الأراضي التي تكوّن لبنان اليوم كل من الفينيقيون والاشوريون والبابليون والفرس واليونانيون والرومان والبيزنطيون والعرب والصليبيون والمماليك والأتراك العثمانيون والفرنسيون.

3 سينغ-بارتليت، 2013، ص 59.

القديس يوسف (75)، ذات الطابع الفرنكوفوني، وهما من الجامعات الأكثر هيبةً في العالم العربي. أصبحت الإنكليزية والفرنسية، إذن لغتين مهمتين في التعليم، وعزّز الانتداب الفرنسي مكانة اللغة الفرنسية.[4]

وبالفعل فإنَ استعمال الفرنسية والإنكليزية على حساب العربية في الدوائر التعليمية استمرّ بفضل التشريع الليبرالي الذي يوافق على التدريس بلغاتٍ أجنبيةٍ في التعليم الأساسي.[5] يجب أن تدرس بالعربية الفصحى مواد التاريخ والجغرافيا واللغة العربية وآدابها، بينما العلوم الطبيعية عادةً ما تدرس بالفرنسية أو الإنكليزية. في البرازيل، العائلات اللبنانية تفضل التعليم في مدارس القطاع الخاص (ثلاثة أرباع السكان في سن التعليم)، التي تتبع عموما المنظومة الفرنسية أو الآنجلوأمريكية، بينما تميل المدارس الحكومية إلى استعمال العربية. يتعرض طلاب كلا القطاعين إلى امتحانات البكالوريوس اللبناني، سواءً بالعربية والإنكليزية أو العربية والفرنسية، يرتبط الوضع اللغوي اللبناني كذلك بالمستوى المرتفع لمعرفة القراءة والكتابة، التي تشمل 89,6% من البالغين و98,7% من الشبان،[6] وهذه الأرقام معبرةً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترات العصيبة التي شهدها البلد، وبنسبةٍ أعلى من الدول العربية المجاورة لها ينعكس المستوى المرتفع للتعليم في سوق كتبٍ محليٍ متعدّد اللغات نسبيًا، يضم دور نشرٍ كثيرةٍ ومكتباتٍ ومعارض كتب.

هكذا، فإنَ التعددية اللغوية اللبنانية مرتبطة بشكلٍ قويٍ بالتعليم في القطاع الخاص، وبالتالي بالطبقات الأكثر ثراءً من السكان، لعبتْ اللغاتُ الأجنبيةُ دورًا مُهِمًّا في تكوين المنظومة التعليمية اللبنانية وأصبحتْ جزءًا منها، خصوصًا في المستوى الجامعي، الذي تسيطر عليه الفرنسية والإنكليزية، باستثناء الجامعة اللبنانية الحكومية،

4 ثونهاوزر، 2000، ص 50.
5 القرار رقم 5589، لسنة 1994.
6 باشا، 2011.

حيثُ العربية هي لغتها الرئيسة، اعتنقتْ الطبقةُ الوسطى اللبنانية في المدن هذه التعدديةَ اللغويةَ، ومما تداول الاعتراف به داخل البلد أنَ هذه التعددية أحد أرصدة لبنان التي تطرح صورته كبوابةٍ بين الشرق والغرب، وتعكس الترحيب اللبناني بالثقافة الغربية وبالتواصل مع الخارج.

لكي نرسم بطريقةٍ أفضل التعددية اللغوية في لبنان وعلاقتها بحضور اللغة البرتغالية هناك، من المهمّ أن نتفحص كيفية ازدواجيته اللغوية، وهي العبارة المستخدمة لتسمية الحالة الاجتماعية اللغوية في مجتمعٍ ما، تحضر فيه لغتان أو مستويان لغويان مختلفان وظيفيًا في موقعين اجتماعيين وسياسيين مميزين، فاستعمال أيٍ منهما مشروطٌ بالوضع الذي يتم التواصل به، في مقالته الحاسمة المنشورة سنة 1959 عن هذه الظاهرة، يعرّف فرغسون الازدواجية اللغوية كالآتي:

ازدواجية اللغة (diglossia) هو وضعٌ لغويٌ مستقرٌ نسبياً يوجد فيه، بالإضافة إلى اللهجات الأساسية للغة (التي قد تتضمن معياراً أو معايير قياسيةٍ شتى، إقليميةً متعددة)، جانبٌ مختلفٌ عنه للغاية وذو قواعد مقننةٍ جداً (عادةً ما يكون نحوُه أكثر تعقيدًا)، وهو وسيلةٌ لأدبٍ مكتوبٍ ذي قيمةٍ ومقدرٍ، إما من فترةٍ سابقةٍ أو في مجتمعٍ لغويٍ آخرٍ، والذي يتمّ تعلمه غالباً عن طريق التعليم الرسمي ويستخدم لأكثرية الأغراض المنطوقة والمكتوبة الرسمية، ولكن لا يستخدمه أيَ جزءٍ من المجتمع لإجراء محادثةٍ عاديةٍ.[7]

في حالات الازدواجية اللغوية، يعرّف المؤلف بمغايرة راقية (آ) وبأخرى متدنية (ب)، واصفاً الاختلافات بينهما بموجب الوظيفة والمكانة والتراث الادبي والكسب والتقييس والاستقرار والنحو والمفردات والصوتيات. بعد ثلاثين سنة رجع فرغسن إلى نصّه مُسجّلًا بعضَ التنازلات، فلاحظ، على سبيل المثال، أنه عادةً ما تحدث ظاهرة ازدواجية اللغة كجزءٍ من إطارٍ لغويٍ أكثر شمولاً، كما هو حال لبنان

7 فرغسن، 1959، ص 336.

حيث يستعمل جزءٌ هامّ من الأهالي المغايرةَ اللغوية آ للعربية مع الدارجة اللبنانية، وبالإضافة إلى ذلك، يتكلمون الفرنسية أو الإنكليزية في حياتهم اليومية، «تندرج هذه اللغات في أماكن مختلفة بوظائف المجتمع التواصلية، وهذا التعقيد غير نادرٍ عند شتى الأنواع من الجماعات المتكلمة في العالم».[8]

على هذا المنوال، تتسم الازدواجية اللغوية في لبنان باستخدامٍ عامٍ أوسع بكثيرٍ من المغايرة اللغوية الدارجة المحكية في الدول العربية الأخرى (لربما باستثناء مصر)، تُلاحَظ محاولاتٌ مستمرةٌ لإيجاد طريقةٍ خصيصةٍ لكتابة الدارجة اللبنانية في الدعايات وفي الشعر وبشكلٍ متصاعدٍ في شبكات التواصل الاجتماعي، هناك تطبيقاتٌ لتدقيق الدارجة بغرض تسهيل وتعجيل تبادل الرسائل من خلال الأدوات النقّالة، بالرغم من أنه لا يمكننا تسميتها تصحيحًا إملائياً، تُسمع هذه الدارجة اللبنانية على نطاقٍ واسعٍ في التلفاز والمذياع، حيث يُحتمل أن نُلاحظ بشكلٍ أفضل الاستطرادَ[9] فيما بين العامية والفصحى، وأصبح يتكرر في وسائل الإعلام الاستعمال المتناوب للمستويين حتى في الجملة الواحدة.

على الرغم من الأهمية التواصلية للدارجة اللبنانية، لا توجد نقاشاتٌ عامّةٌ جديةٌ عن إمكانية تبنّي كتابته كلغةٍ وطنيةٍ بل العكس، فقد يرفض أغلبية اللبنانيين أن تُصبح العامية لغةً مكتوبةً لائقة، لم تزل اللغة العربية الفصحى الحديثة تدرس في المدارس، فهي اللغة الرئيسة للمؤسسات الحكومية، ولكن هذه المغايرة اللغوية آ لم تعد مستخدمةً في لبنان «لأكثر الغايات الشكلية المكتوبة والمنطوقة»، كما يقول فرغسن، وكما قد سبق وأن أشرنا، تكمّل الفرنسية والإنكليزية العربية الفصحى الحديثة، لدرجة

8 فرغسن، 1966، ص 85.

9 يتعلق «الاستطراد» هنا، حسب دراسات هاري (1966، ص 96)، بفكرة التتابع المستمر بين المغيرات المستعملة في حالة ازدواج اللغة (أو تعدد اللغات، كما يسميها هذا المؤلف)، حيث يستعملها الناطقون تناوبًا بشكل يوشك الا يلاحظ، مع أن الأطراف القصوى لم تزل متميزةً جداً.

أنهما تحلا محلها بصفتهما لغتين مغايرتين آ في العديد من السياقات، حيث تعتبران في درجاتٍ شبيهةٍ وحتى أرقى من العربية الفصحى الحديثة، ووفق ثونهاوزر يؤكد لبنان الاستنتاجات التي توصّل إليها العالم اللغوي جوشوا فيشمان، في مقالةٍ نشرها سنة 1980 عن ثُنائية اللغة والثقافة، فيقول إن العديد من الدول النامية تتّسم بأن المغايرة اللغوية آ تحكمها لغةٌ أخرى موحّدةٌ أو أكثر من لغةٍ، وفي الوقت نفسه تحكمها لغةٌ غربيةٌ جِدّ منتشرةٍ كوسيلةٍ للتواصل، بالإضافة إلى لغة محلية هي المغايرة اللغوية ب.[10]

إن اللبنانيين عامة، ربما باستثناء مجوعة فرنكوفونية صغيرةٍ ومحافظةٍ، لا يستغربون شيئاً في هذه الظاهرة (وبالفعل ليس هناك أي عيب فيه)، كما أنهم لا يستغربون الكفاءة الجزئية في العربية والفرنسية والإنكليزية، فهم ليسوا باحتياجٍ إلى كلّ الإمكانيات المتوفّرة في هذه اللغات لكي يتواصلوا، اللغة اليومية الحقيقية سواءً في المغايرة اللغوية آ أو ب، هي أساسًا وصفٌ بيوغرافيٌّ تعكس بنيته التواريخ الفردية وتواريخ الجماعات التي يندرج منها المتكلمون، هذه هي السمة اللغوية في لبنان، أي تمكّن أهاليه المتغاير والمتنوّع من قدراتٍ لغويةٍ شتَى للتعبير في مجالاتٍ مختلفةٍ لغويًا وثقافيًا ودينيًا.

يشكر ويحمد زوارُ بلد الأرز، لا سيّما الوافدون من دولٍ غير عربيةٍ، هذا التعقيد اللغوي على وجه العموم. في زمن تستعمل اللغات الأجنبية في سياقاتٍ ودوائرٍ متعددة، قد يجوز التساؤل عن السبب إن كان عائداً لعقدةٍ ما في الناس تجاه لغتهم العربية الأصيلة، مما يجعلهم يفتخرون بإجادتهم لغاتٍ أخرى كالإنكليزية والفرنسية؟ يرى الكثيرون أنها ليست عقدةً، بل طريقةً للعيش والمنافسة، في بلدٍ جِدّ صغيرٍ، ضمنَ المشهد العالمي، وأيضًا لتسهيل التكيّف في حال الاضطرار إلى الهجرة.

بعد أن تفهَّمنا هذه البانوراما اللغوية الحالية، سنصف في القسم التالي حضورَ اللغة البرتغالية انطلاقًا من المنظور التاريخي للجالية اللبنانية البرازيلية.

10 ثونهاوزر، 2000، ص 51.

3. الجالية اللبنانية البرازيلية واللغة البرتغالية:

وصلت اللغة البرتغالية الى بلد الأرز بفضل الجالية اللبنانية البرازيلية، وحُضورها هناك مدينٌ أصلًا للسوريين واللبنانيين الذين هاجروا إلى البرازيل، حيث تعلَّموا اللغة وأسَّسوا عائلاتهم وخلقوا علاقاتٍ بمرور الزمن، ولأسبابٍ مختلفةٍ، عاد إلى لبنان مهاجرون عديدون من الجيل الأول والثاني وحتّى الثالث، حاملين هويةً جديدةً أساسها إلى درجةٍ كبيرةٍ اللغة البرتغالية (التي اعتبرها الشاعر البرتغالي فيرناندو بيسوا «وطنَهُ»)، كمحورٍ لصلة هؤلاء المهاجرين بالمجتمع الذي استضافهم، ميّز هذا الواقع المتعدِّد الأشكال والمتغيّر باستمرار جاليةَ العائدين إلى مجموعاتٍ أخرى في لبنان. كانت الهجرة وجاليات ذرياتها التي كونتها مسؤولةً عن أخذ الاستخدام العادي واليومي للغة البرتغالية إلى لبنان، على الرغم من اقتصارها على جاليةٍ صغيرةٍ نسبيًّا. فلوصف خصوصية اللغة البرتغالية في سياق اللغات الأخرى في لبنان، علينا أن نتفهم ظاهرتي الهجرة والعودة.

بالرغم من اتسام الأراضي اللبنانية تاريخياً بالموجات من الهجرة منها وإليها على مدى القرون، لم تشتد هذه الظاهرة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب عدة عوامل، منها الحروب والاضطهاد الديني والسياسي والأزمات الاقتصادية، نستطيع أن نفهم الحركة الهجرية ليس كظاهرةٍ بنيويةٍ، بل كنتيجةٍ لظروفٍ تاريخيةٍ محليةٍ ممتزجةٍ بأحداثٍ خارجيةٍ، بحيث يمكننا تقسيمها إلى ستّ فتراتٍ رئيسيةٍ تشترك بها مباشرةً الهجرة اللبنانية إلى البرازيل ودولٍ أخرى في أمريكا اللاتينية، بشكلٍ أو بآخرٍ.

الفترة الأولى (من 1860 حتى 1900) غايتها الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والأمريكتين وأستراليا، نجمت عن الحروب بين الموارنة والدروز خلال الحكم العثماني، وسببها النزاع الاقتصادي الذي أدى اليه النمو السكاني وقلة الأراضي. في حالة الهجرة الى البرازيل، فإنَ زيارة الامبراطور بطرس الثاني إلى لبنان وسوريا وفلسطين سنة 1876 قد تكون حافزاً لفلاحي المنطقة لمحاولة العيش في البرازيل، كان لزيارة

الامبراطور ترويجٌ ضخمٌ وقتها، وساعدت على تعريف البرازيل[11]، على الرغم من أنه ليس من الممكن تبرير هذه الموجة الهجرية إلى دورٍ إنقاذيٍ مفترضٍ لبطرس الثاني في نداءه لأن يبدل اللبنانيون ظروفهم المحلية العسيرة بحياةٍ واعدةٍ في البرازيل، عكساً لهذه الفكرة المنتشرة حتى اليوم في مخيّلة الجالية اللبنانية البرازيلية، إن كانت رحلات الامبراطور مهمةً للتعريف بالبرازيل، فإنها بالتالي ساعدت على نشر اللغة البرتغالية بشكلٍ غير مباشرٍ.

اتسمت الفترة الثانية، المرتبطة جداً بالفترة الأولى بتوجيه المهاجرين نحو الولايات المتحدة والبرازيل على حدٍ سواءٍ، وتزامنت مع سحب امتيازات المسيحيين من طرف الحكومة العثمانية واللبنانيون الذين أتوا البرازيل في هاتين الفترتين يحملون جوازات سفرٍ عثمانيةٍ، مما أدى إلى تسميتهم «أتراكاً»، اتسمت هذه الفترة كذلك بمغادرة المهنيين والمثقفين (أساتذةٌ وأطباءٌ وصحفيون وكتّاب).

اتسمت الفترة الثالثة (من 1920 حتى 1943) خلال الانتداب الفرنسي، بالهجرة إلى أمريكا الجنوبية وشمال إفريقيا، وفيها بدأت أيضاً وبالفعل الهجرة الإسلامية، لا سيما المنحدرين من سهل البقاع وجنوب لبنان، وهما منطقتان فقيرتان ذاتا إمكانياتٍ اقتصاديةٍ ضئيلةٍ، بعكس ما قد حدث في فترة الحكم العثماني، فإن الانتداب الفرنسي قد حابى محلياً الأهالي المسيحيين، الذين أيّدوا فرنسا.

أظهرت المرحلة الرابعة (من 1943 حتى 1975)، التي بدأت ضمن سياق الحرب العالمية الثانية واستقلال لبنان، المشاكل الاقتصادية السابقة لا سيما بالنسبة إلى المجموعات الإسلامية بينما تعرض بيروت والساحل وجبل لبنان ظروفاً معيشيةً أفضل لسكانه النصارى، كان سهل البقاع الأكثر فقراً يدفع بأهاليه ذوي الأغلبية المسلمة، وَازَنت هذه الهجرةَ بشكلٍ من الأشكال، موجاتٍ من العائدين اللبنانيين من جميع أنحاء العالم مشجعين باستقلال البلد وما ترتب عليه من آفاقٍ جديدةٍ، بدأ تماماً

11 خطلب، 2015.

في هذه الفترة تكوين جاليةٍ محليةٍ متماسكةٍ ناطقةٍ بالبرتغالية، تضم العائدين وسلالتهم، في 1954 أُسِّستْ في بيروت أوّل منظّمةٍ للمجتمع المدني مكرّسةٍ للمحافظة على الصلات بين البلدين: جمعية الصداقة البرازيلية اللبنانية، التي ما زالت قيد العمل حتى أيامنا، والتي تدعو منذ البداية لجمع الناطقين باللغة البرتغالية، وسمةٌ أخرى لهذه الفترة ابتدأت من الستينيات عندما أصبح الخليج اختياراً ممكناً بالإضافة إلى وجهات الهجرة التقليدية، أي أمريكا، بما فيها البرازيل وإفريقيا وأستراليا.

سببت الحرب الأهلية (من 1975 حتى 1990) الفترة الخامسة للهجرة، المتسمة بعدم الأمان وتقسيم البلد إلى غيتوهات دينية واحتلاله من قبل السوريين والإسرائيليين، مما غذّى تدفّقاً للهجرة شبه مستمرٍ للمسيحيين والمسلمين، بمن فيهم جزءٌ مهمّ من الشيعة، الذين لم يتلقوا في الخليج نفس الترحيب الذي يتلقاه أبناء بلدهم السنيين، فبحثوا عن وجهاتٍ بديلةٍ منها البرازيل.

في الفترة السادسة (1990 حتى أيامنا)، المتسمة بسلامٍ نسبيٍ تُعوَّض الهجرة بسبب الصعوبات الاقتصادية بالدفعات الهجرية لعمالٍ قليلي الكفاءة وبعودة مهاجرين من شتى الأجيال، ابتداءً من 2010، وبالتصادف مع افتتاح المركز الثقافي البرازيلي اللبناني، الذي سنُعالجه لاحقًا، تنظّمت عدة مجموعاتٍ لا سيما من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، سعياً منها لتقريب الجاليات اللبنانية البرازيلية في كلا البلدين.

في 2015 أُنشِئْتْ المجلة Connection Beirut، بفضل مبادرة أعضاء الجالية البرازيلية في العاصمة اللبنانية، في 2016 أنشئت الجمعية اللبنانية البرازيلية، التي تهدف إلى تقوية العلاقات بين أفراد البلدين على شتى المستويات.

وكما يحدث عادةً ففي جميع هذه الفترات قاسَى اللبنانيون الوافدون إلى البرازيل صعوبات الهجرة الاعتيادية، بيد أنهم سرعان ما تعودوا على ثقافة البلد الذي تبنّوه، فتعلّموا البرتغالية وكيّفوا مطبخهم مع المواد المحلية وتزوج العديد منهم بالبرازيليين

والبرازيليات، عُمومًا ذوي الأُصول اللبنانية تتبّعوا أخيرًا الخطوات المعتادة للمهاجرين في البرازيل، مع أحفادهم الناطقين بالبرتغالية كلغةٍ أمّ والمندمجين تمامًا بالبلد الذي ولدوا فيه.

أثّرتْ مباشرةً الأزمةُ الاقتصادية البرازيلية لسنين 1980 و1990 على العائلات الحديثة الهجرة المعتمدة أساسًا على أرباح التجارة، ترك الذين اختاروا العودةَ إلى لبنان أقاربَ وأصدقاءَ، ولكنّهم أخذوا معهم اللغة البرتغالية، وهي الصِّلةُ الرمزيةُ بالبلد الذي استضافهم ومع أحبّاءهم البعيدين الآن فكأنهم يرون البحر من خِلال اللغة البرتغالية، كما قال الشاعر فيرجيليو فيريرا. أخذتْ عائلاتٌ لا تُحصى أبناءَها معها (وفي بعض الأحيان أحفادها)، وهم من مواليد البرازيل وفي أغلب الأحيان لا يتكلّمون لغةً أُخْرى سِوى البرتغالية. هجرةُ العودة، إذن، السببُ الرئيسي لِتكوينِ الجالية الناطقة بالبرتغالية[12] في الشّرق الأوسط.

أضحت العودة الى لبنان للمنحدرين من البرازيل وبقية أمريكا الجنوبية واقعاً ملحوظاً، بالرغم من عدم وجود أرقامٍ موثوقٍ بها أو دراساتٍ خاصةٍ تحصي هذا التدفق، إن وضع المنطقة الاقتصادي والسياسي والأمني يرجئ تحقيق العودة الفعلي، وبينما لا تتوفر الظروف يتحرك العديد من اللبنانيين وأبنائهم بين البرازيل ولبنان، مدفوعين بشيءٍ من المسؤولية الأخلاقية وبقاء الذاكرة التليدة عن بلد السلف.

وخاصيةٌ أخرى لعودة المهاجرين المصادفة الجغرافية بين نقطة ترحال المهاجر ونقطة وصول العائدين، الأمر الذي يلاحظ في العديد من الحالات الجنوب أمريكيةٍ، على حسب عثمان: «عاد الذين هاجروا الى البرازيل إلى غزة والسلطان يعقوب ولوسي وحوش الحريمة والخيارة وكامد اللوز وبعلول»[13]، كما أنه وبنفس الفترة تقريباً،

12 أي مجموع الذين يتكلمون البرتغالية هناك كتعبير عن هذه الهوية اللغوية الثقافية.

13 عثمان، 2006، ص 52.

عاد الذين هاجروا إلى فنزويلا وكولومبيا إلى نفس القرى التي كانوا قد غادروها حين هاجروا.

بيد أنَ معظم المهاجرين اللبنانيين منحدرين من طوائف مسيحيةٍ (الموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك)، لا سِيَّما في الدفعات الهجرية الأولى، كما سبق أن وصفنا، فإن نسبةً قليلةً منهم من بقية الطوائف الإسلامية والدرزية واليهودية، في حال المسلمين، علاوةً على الصعوبات الاقتصادية والفرار من النزاعات المحلية والإقليمية، فإن «العامل الآخر الذي جعل البرازيل مختاراً للهجرة هو الأمل بأن تمارس الديانة الإسلامية بدون التخوف من الاعتراض الى أي أعمالٍ انتقاميةٍ».[14]

بقي المهاجرون المسلمون أكثر تمسكاً بلبنان وبالدين وباللغة من نظائرهم المسيحيين، ويرجع هذا إلى أن هجرتهم الحديثة العهد ما زالت تحافظ على الروابط الوطيدة بلبنان، وكذلك إلى الديانة على الرغم من أن العديد منهم أصبح أقلّ تديُّنًا في المجتمع البرازيلي العلماني نسبيًا، يميل اللبنانيون البرازيليون، لأسبابٍ تعود لقضايا الهوية، إلى أن يكونوا أوعى سياسياً بأحداث الشرق الأوسط السياسية، لدى الصعوبات الاقتصادية البرازيلية في ثمانينيات القرن العشرين، قرّر العديدُ من العائلات العودةَ إلى لبنان مع نهاية الحرب الأهلية، تمامًا لكونهم حافظوا على روابطهم الوثيقة ببلدهم وربما تحدث الآن دفعةٌ جديدةٌ من العائدين بسبب الصعوبات البرازيلية الراهنة. ليس من المجاني أنّ معظم الجالية الناطقة بالبرتغالية في لبنان اليوم تدين بدين الإسلام.

14 ريبيرو، 2012.

4. الجالية الناطقة بالبرتغالية في لبنان:

تشير معطيات السفارة البرازيلية في بيروت أن ما يقارب من 16 ألف برازيلي يعيشون في لبنان، بمن فيهم المهاجرون (وأغلبيتهم الساحقة من أصلٍ لبناني) والبرازيليون المولودون في لبنان، رغم حجمها المتواضع إذا ما قورنت بالجاليات البرازيلية في الولايات المتحدة (348 ألفاً) واليابان (182 ألفاً) والبرتغال (120 ألفاً) وإيطاليا (104 ألفاً) وإسبانيا (100 ألفاً)، فإنَ الشتات البرازيلي الصغير في لبنان يتسم بروابط الانتماء القوية إلى كلا البلدين: إنهم «البرازيلبنانيون».[15]

إنها مفردةٌ جديدةٌ لتحديد هُوية لأفراد، غالباً حاملي الجنسيتين البرازيلية واللبنانية، يسكنون في بلد الأرز ويحافظون على الصلات العاطفية وتماهيهم بكلا البلدين، يجوز أن ندرج في هذه الجالية اللبنانيين الذين عادوا إلى لبنان دون الحصول على الجنسية البرازيلية بعد بقائهم لمدةٍ في البرازيل، كما يجوز أن ندرج البرازيليين أبناء نساءٍ لبنانياتٍ، الذين لا تحق لهم الجنسية اللبنانية، إذ أن القانون اللبناني لا يسمح بمنح الجنسية إلا لأب، هؤلاء «البرازيلبنانيون» حاضرون في جميع الأراضي اللبنانية، من الشمال كدار بعشتار، إلى الجنوب كقبريخا، ولكن أساساً في منطقة سهل البقاع، في شرق البلد حيث قرى كالسلطان يعقوب لوسي وكامد اللوز وغزة تتضمن حوالي 60% إلى 90% من البرازيلبنانيين، وهم يتكلمون البرتغالية ويخلدون العادات الثقافية البرازيلية.

تحدث ظاهرة طريفة في السلطان يعقوب لوسي، المعروفة بالقرية الأكثر برازيليةً في لبنان، تتحدث عنها كثيراً وسائل الإعلام: ليست اللغة الأولى هناك العربية بل البرتغالية، بسكانه الذين يزيد عددهم قليلاً على الستمئة نسمة، السلطان يعقوب هو اسم المنطقة الرسمي، التي تتضمن الضيعة المغروسة في جبال لبنان الشرقية، والمعروفة بالسلطان يعقوب، والسهل المسمى بلوسي، الذي كانت تحتله قديما المراعي والمزارع،

15 قطلب، 2016.

واليوم يشغله العائدون من البرازيل الذين اشتروا أراضٍ هناك، كلَ سكان المنطقة تقريباً قد عاشوا في البرازيل أو لديهم أقاربٌ يعيشون في البرازيل، في مدونته لجريدة هكذا وصف الصحفي غوستافو شقرة زيارته إلى ذلك المكان:

أجرى التقرير الاختبار، وفي الواقع أول ماشٍ اقترب تكلم البرتغالية، كان حسين الجاروش، ولد في لبنان، ذهب قبل عقدين من الزمن إلى البرازيل ، حيث عاش لمدة 13 عاماً، وقبل بضع سنواتٍ عاد حسين إلى لبنان لرعاية والديه. هو مشجع فريق كرة قدمٍ برازيليٍ اسمه بالميراس، ودوماً يتناقش عن كرة القدم مع جاروشٍ آخر قريبه جمال، الذي يشجع فريق برازيلي آخر يدعى كورينتياس، الشيء المهمَ لجميل هو الحفاظ على التواصل مع البرازيل من خلال اللغة، خاصةً بسبب ابنه، يقول إنه يتحدث البرتغالية دائمًا مع الولد على الرغم من أنه غالباً ما يتلقى الأجوبة بالعربية، يتقاسم شعوره بالجنسية المزدوجة مع جمال شاهين، الذي يعيش في البرازيل منذ 18عامًا وكان بالسلطان يعقوب لزيارة العائلة، يقول شاهين إنه يشعر نفسه برازيلياً ولبنانياً، بيد أنه من مواليد لبنان.[16]

إنَ المجتمع الناطق باللغة البرتغالية في لبنان، رغم أنه متعددٌ ومتنوعٌ دينياً واقتصادياً ، يحافظ على تماسكٍ معينٍ ويمكن أن يصنف بناءً على معايير اكتساب اللغة وعلى الهوية وعلى الذاكرة، ولمجرد أغراضٍ تعليميةٍ، يمكن تقسيم أعضاء هذا المجتمع الناطق بالبرتغالية إلى أربع مجموعات: المهاجرون اللبنانيون العائدون الذين اكتسبوا اللغة البرتغالية كلغةٍ أجنبيةٍ (المجموعة 1)، ثم المهاجرون البرازيليون المنحدرون من أصولٍ لبنانيةٍ والذين يتكلمون البرتغالية كلغةٍ أمٍ (مجموعة 2)، ثم البرازيليون غير المنحدرين من أصولٍ لبنانيةٍ كمتحدثين أصليين للبرتغالية (المجموعة 3)، ثم المنحدرون من أصولٍ لبنانيةٍ والمتحدثين بالبرتغالية كلغةٍ موروثةٍ (المجموعة 4).[17] من

16 شقرة، 2010.

17 اخترنا أن نحذف من هذه الدراسة المجموعة الطفيفة العدد، على الرغم من كونها نشيطة،

المهم أن نستدرك ربما باستثناء المجموعة الثالثة، أن جميع المجموعات مكونةً أساساً من البرازيلبنانيين الذين يحملون الجنسيتين البرازيلية واللبنانية.

إنَ مغايرات اللغة البرتغالية المستعملة لدى المجموعات المختلفة لها نفس القيمة، وليس بالضرورة نواةً للغة البرتغالية في لبنان، على الرغم من أن المجموعتين 2 و3 قد تدعيان ربما عن غير قصدٍ، حقوق ملكيةٍ خاصةٍ لهما، بغض النظر عن الجوانب اللغوية والتواصلية والأدبية، فإن قيمة اللغة البرتغالية في لبنان تكمن فوق كلَ شيءٍ في منظور الهوية كمحورٍ للتعبير عن العلاقة مع البرازيل وتنشئة المتحدثين بها، سواءً في الدوائر العائلية الأساسية أو الأقارب والأصدقاء وكذلك مع أحبائهم الذين بقوا في الأراضي البرازيلية. ولذلك تضمن اللغة البرتغالية الصلة الرمزية والعاطفية والعملية لأعضاء الجالية الناطقة بالبرتغالية الذين يعيشون في لبنان مع بلدهم الآخر في القارّة الأمريكية، حيث تقوم بوظيفة التكامل وهي الأكثر أهميةً بالنسبة إلى المجموعات الأربع.

أعضاء المجموعة 1، من العائدين إلى الجيل الأول، عادةً ما يعبرون عن ذوقهم بالتعبير عن أنفسهم باللغة البرتغالية، التي طالما تعلموها بمشقةٍ عند الهجرة إلى البرازيل، تحتفظ اللغة البرتغالية لهذه المجموعة «بالندوب» في قصة حياة كل متحدثٍ، وتتكون المجموعة من أشخاص لم يدرسوا اللغة البرتغالية على الإطلاق، مما يمثل صعوباتٍ في بنية الصيغ اللغوية المتميزة، وتحدَ من مجال التعبير الكتابي لما يسمى بـ»النموذج المثقف». بالنسبة لأهالي هذه المجموعة، لا تؤثر البرتغالية على التواصل اليومي خارج المجتمع الناطق بها، وفي ضوء ظاهرة الازدواجية اللغوية اللبنانية، يعبر عن نفسه دون أي صعوبات في المغايرات A وB المستعملة في البلد.

مكونةً من البرتغاليين المقيمين في لبنان، والذين لهم جميعة خاصة بهم اسمها Les amis du Portugal (أصدقاء البرتغال).

في حالة المجموعة 2، التي شكّلها أحفادٌ مولودون في البرازيل، أو العائدون إلى الجيل الثاني، تؤثر القضية الجيلية على الطلاقة اللغة البرتغالية ومدى استخدامها، مما يميز بوضوحٍ بين العائدين البالغين، الذين قضوا معظم حياتهم معرّضين للغة البرتغالية كوسيلةٍ للتعليم الرسمي، البرتغالية في حالة هذه المجموعة، غالباً ما يتمَ اكتسابها تزامُنًا مع اللغة العربية (أو الفرنسية) المحكية في المنزل، فتشيع بطريقةٍ اعتياديةٍ للغاية ظاهرة ثنائية اللغة، بالنسبة لجزء من هؤلاء الأفراد الذين لم تسنح لهم الفرصة لأن يتلقوا جزءاً من تعليمهم الرسمي في لبنان، فإن ازدواجية اللغة اللبنانية تفرض صعوبات في انخراط اجتماعي أوسع، خارج مجموعة الناطقين باللغة البرتغالية، على الرغم من أن معظمهم وليس كلهم، يتكلمون الدارجة اللبنانية في مغايرتها B، يواجه أفراد المجموعة 2 عقباتٍ في الاستطراد ما بين المغايرتين A وB، حيث أنَ الكثير منهم لا يُتقنون اللغة العربية الفصحى، لا سيما المكتوب منها، ويجدون صعوبةً في تحديد سياقاتٍ للاستخدام المقبول للعربية العامية مختلطة مع المغايرة A، و/أو لا يتكلمون الإنكليزية أو الفرنسية، اللغة البرتغالية إلى جانب الهوية، تمثّل ملجأً للتنشئة الاجتماعية في المناسبات التي لا وجود فيها لهذه العقبات.

بالنسبة للمجموعة 3، المكونة من البرازيليين غير المنحدرين من اللبنانيين فإنَ استخدام اللغة البرتغالية، حتى ولو مليئة بالتعبيرات العربية العادية، عادةً ما يكون عاملاً أساسياً في الحفاظ على الهوية والصلة بالجنسية البرازيلية، وتتألّف المجموعة بشكلٍ رئيسيٍ من النساء المتزوجات من اللبنانيين، ومعظمهم من العائدين إلى الجيل الأول أو الثاني، على الرغم من أنَ الحاجة أجبرت العديد من أعضاء المجموعة على تعلم شيءٍ من العامية اللبنانية، إلا أنَ الحواجز الموجودة في الاستطراد بين المغايرتين A وB تبدو مستعصيةً على الحل، اعتمادًا على درجة تعليم كل فرد، من الشائع في الحالات الخارجة عن نطاق المجموعة الناطقة بالبرتغالية، أن تحدث التنشئة الاجتماعية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وعادةً ما تلعب الأُمهات اللاتي ينتمين لهذه المجموعة دوراً رئيسياً في نقل اللغة البرتغالية كلغةٍ موروثةٍ لأطفالهن.

تتكون المجموعة 4 غير المتجانسة من الجيل الثاني (أو الجيل الثالث) من أولاد البرازيليين الذين اكتسبوا اللغة البرتغالية في طفولتهم بالتزامن مع العربية (وأحيانًا الفرنسية أيضًا) في سياقات اكتسابٍ مشتركٍ بين البيئة الأسرية والفضاء الاجتماعي بما فيه المدرسة، وهي مجموعةٌ لها مستوياتٌ متفاوتةٌ من الفهم والتعبير الشفهي للبرتغالية، إلى جانب استخدامٍ محدودٍ للغة المكتوبة ومعرفةٍ محدودةٍ بمعيارها الثقافي، كثيرون يعبرون عن أنفسهم بطلاقة باللغة البرتغالية، وعادةً باللهجة الخاصة للناطقين باللغة العربية ولكن هذا الامر غير ملحوظٍ بالنسبة لهم، جزءٌ مهمٌ يفهم اللغة البرتغالية فقط، بشكلٍ جزئيٍ أو كليٍ لكنه يجد صعوبةً كبيرةً في التعبير بالبرتغالية، فيفضّل استخدامَ لغةٍ أُخرى للإجابة، في هذه المجموعة تسهل البرتغالية كلغةٍ موروثة التواصل بين أجيال الأسرة، وقبل كلَ شيءٍ تحافظ على العلاقة مع البرازيل، والتي غالباً ما تكون مجردةً. يندرج هنا كذلك أبناء اللبنانيين المولودين في البرازيل الذين هاجروا مع ذويهم إلى لبنان وهم ما زالوا صغاراً، وتابعوا دراساتهم الرسمية في النظام التعليمي اللبناني، بنفس طريقة المجموعة 1 لا يجد أعضاء المجموعة 4 صعوباتٍ لغويةٍ في التنشئة الاجتماعية خارج مجموعة الناطقين بالبرتغالية، لا سيما أولئك القادمين من المدارس الخاصة قد أتقنوا بالإضافة إلى المغايرة اللغوية ب استخدام المغايرة اللغوية أ في السياقات المناسبة.

من المهم أن نضع في اعتبارنا أنه في حالة أبناء البرازيليين لا يتم ضمان ثنائية اللغة، على عكس ذلك فإنَ جزءًا كبيرًا وربما الأكبر، من أفراد هذه المجموعة لا يفهم اللغة البرتغالية، وبالتالي لا يعبر عن نفسه بها فلا يمكن اعتبارهم لأغراض الدراسة الحالية كأعضاء المجموعة 4، وكمثل أولاد اللبنانيين في البرازيل وخاصة أولئك الذين ينحدرون من دفعات الهجرة الأولى الذين لم يعرفوا العربية، فاللغة البرتغالية تضيع في الأجيال الجديدة المنحدرة من البرازيليين هذه الظاهرة شائعةٌ في مجموعات المهاجرين، حيث يكون الطفل من أصلٍ مهاجرٍ عندما يبدأ في بناء علاقاته الاجتماعية خارج الخلية الأسرية، لديه اتصال أكبر مع لغة الأغلبية اللغة العربية، في الحالة اللبنانية تصبح هذه اللغةُ المفضَّلةَ لدى الطفل، وتُستخدم مع الأصدقاء والأشقاء والمعلمين

اللغة العربية، ولكن أيضاً الفرنسية في كثيرٍ من الحالات، تشغل دوراً أكثر أهميةٍ كلغةٍ للتواصل في عائلة من عاد.

بالإضافة إلى المجموعات الموصوفة أعلاه، بدأت تتألف مجموعةٌ خامسةٌ والتي لم تزل ضئيلةً للغاية لناطقي اللغة البرتغالية بصفتها لغة أجنبية، غالبيتهم من طلاب المركز الثقافي البرازيلي اللبناني والعديد منهم من أحفاد برازيليين حذفوا من المجموعة 4 لكونهم لم يتصلوا بالبرتغالية في فترة شبابهم، منذ 2011 عندما تمّ تأسيسه، تسجل في المركز 2705 طالباً[18]، ومنذ 2015 أتمّ 17 فرداً دراساتهم حتى المستوى الأخير (المستوى 12) للدورة العادية، القسم القادم لهذا المقال سيعالج نشر اللغة البرتغالية انطلاقاً من تجربة المركز الثقافي البرازيلي اللبناني.

أحد عوامل جذب طلاب جدد للبرتغالية هو صورة البرازيل الطيبة نسبياً في لبنان، وفكرة أن خارج المجموعة الناطقة بالبرتغالية لا تعتبر البرتغالية لغة سيطرةٍ على خلاف ما يحدث بالنسبة إلى لغاتٍ أخرى، وخاصةً الإنكليزية التي تعتبر أحياناً كوسائل للإمبريالية الثقافية، ولم تقتصر اللغة البرتغالية على ديانةٍ معينةٍ، بل تستخدم في أحيانٍ كثيرةٍ كصلة اقترابٍ بين المسيحيين والمسلمين، على الرغم من أن اللغة البرتغالية مقبولةً بشكلٍ عامٍ، بل تحظى بتقديرٍ جيدٍ خارج المجموعة الناطقة باللغة البرتغالية، لأنها تميز المواطنين الذين عادوا إلى وطنهم الأم، فإن استخدامها المشترك مع تعبيرات أخرى للثقافة البرازيلية، يعتبر أحيانًا مبتذلاً في سياقاتٍ أسريةٍ وثقافيةٍ ودينيةٍ أكثر تقليديةً.

18 على سبيل المقارنة، فإنَ معهد سيرفانتس في لبنان وصل تقريباً إلى ألفي طالبٍ مسجلٍ سنوياً لشتى الدورات الدراسية للغة الإسبانية كلغةٍ أجنبيةٍ.

5. المركز الثقافي البرازيلي اللبناني ودوره في نشر اللغة البرتغالية:

إنَ نشر اللغة البرتغالية والثقافة البرازيلية في لبنان تجد نقطة انعطافها من خلال إنشاء المركز الثقافي البرازيلي اللبناني، وهو مؤسسةٌ مرتبطةٌ بالقطاع الثقافي في السفارة البرازيلية في بيروت، المؤسسة هي جزءٌ من شبكة البرازيل الثقافي، التي تدعمها وزارة العلاقات الخارجية والعاملة في 44 دولةً في القارات الخمس، وتضم 24 مركزًا ثقافيًا و40 منصب محاضرٍ وخمس مراكز دراسية، كان المركز الثقافي قد أُنشئ كبديلٍ لمنصب محاضرٍ في جامعة القديس يوسف وهو من أحدث مراكز شبكة البرازيل الثقافي، وقد تمَ تأسيسه في 27 من نيسان 2011، وافتتحه رسمياً في 18 من تشرين الثاني نائب الرئيس آنذاك ميشيل تامر، كان المركز الأول من نوعه في الشرق الأوسط والمركز الآخر في المنطقة مقره في تل أبيب، يقع في حي الأشرفية المسيحي المزدحم، في مبنىً معماريٍ لبنانيٍ تقليديٍ يعود طرازه إلى القرن التاسع عشر (يعود تاريخ المبنى إلى أوائل القرن العشرين) ، ويمثل المركز مثالاً على الحفظ النادر والاستخدام المتجدد للتراث التاريخي المحلي – ميزة تعمل بمثابة واجهة عرض إضافية لأنشطة المؤسسة.

جاء المركز الثقافي، ولقبه «برازيليبان» إلى حدّ كبير لتلبية تطلعات البرازيلبنانيين لضمان الحفاظ على اللغة البرتغالية في بلد الأرز، كما أكّد في خطابه ميشيل تامر بمناسبة تنصيب المعهد:

«من بين المطالب الرئيسية للجالية البرازيلية المقيمة في لبنان إمكانية التمتع بقدرٍ أكبر من التواصل مع الثقافة البرازيلية وباللغة البرتغالية، المركز الثقافي البرازيلي اللبناني هو المؤسسة التي تُلبِّي هذا الطلب من بين وظائف أخرى، ونعتقدُ أنه يستحقّ تقديرَ الجالية»[19].

19 تامر، 2011.

بما أنَ غرضه الرئيسي نشر اللغة البرتغالية، يقدم المركز دوراتٍ منتظمةٍ في البرتغالية كلغةٍ أجنبيةٍ للأطفال، وللراشدين بشكلٍ خاصٍ، ومنذ فترةً بدأ يقدم أيضاً دورةً للغة البرتغالية لضباط القوات المسلحة اللبنانية الذين يعملون مع الوحدة العسكرية البرازيلية في خدمة فرقة العمل البحرية التابعة لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل)، وفي الآونة الأخيرة بدأ المركز يقدم دورة للغة البرتغالية كلغةٍ موروثةٍ للأطفال والمراهقين. في عام 2015 تم اعتماد المركز من قبل وزارة التعليم لتطبيق الفحص للحصول على شهادة الكفاءة في اللغة البرتغالية للأجانب (Bras-Celpe)، وأيضاً لتقديم دوراتٍ تحضيريةٍ للامتحان حيث لا يزال المركز الفاحص الوحيد في الشرق الأوسط.

بالإضافة إلى دورات اللغة البرتغالية، يعرض المركز حفلاتٍ منتظمةٍ ومجانيةٍ للسينما البرازيلية، مفتوحةٍ على الجمهور، ومعارض ومسابقاتٍ وحفلاتٍ غنائيةٍ ومحاضراتٍ وورشات رقصٍ وكابويرا (وهي مبارزةٌ خاصةٌ بالبرازيليين ذوي البشرة السوداء) وفن الطبخ من بين أنشطةٍ أخرى عديدة، يعتبر المركز من الوحدات الأكثر نشاطاً لشبكة البرازيل الثقافي، كذلك يتيح المركز الدخول المجاني إلى كلا مكتبتيه المادية والرقمية، مع إمكانية استعارة الكتب والأقراص الإلكترونية، فضلاً عن الأنشطة والفعاليات التي تقام في مقر المؤسسة، فإنَ المركز أداةً للقيام بالفعاليات الثقافية الأخرى التي تنظمها سفارة البرازيل في بيروت، كالمهرجانات السينمائية وفنَ الطبخ والحفلات الموسيقية إلخ.[20]

بعد مرور السنين الأولى من توطيد ما يعتبر المؤسسة الرئيسية لنشر اللغة البرتغالية في لبنان، تبين أنَ نطاقها ما زال دون مستوى تطلعات الجمهور الذي تم إنشاء المركز من أجله، العديد من البرازيليين على مثال أولئك الذين وجدهم الصحفي غوستافو شقرة في السلطان يعقوب، لم يتمكنوا من حضور نشاط المركز لأنهم يعيشون

20 لمتابعة أنشطة المركز، نرجو مراجعة مواقع المؤسسة في شبكات التواصل الاجتماعي.

بعيداً عن بيروت، خاصةً في سهل البقاع حيثُ يعيش مُعظم «البرازيلبنانيين»، عُقدتْ المبادرة الأولى لتطبيق اللامركزية على دورات المركز في عام 2015 مع إقامة اتِّفاقٍ مع مركز الشباب والثقافة التابع لبلدية ذوق مكايل في جبل لبنان، لبدء تقديم دوراتٍ منتظمةٍ للغة البرتغالية في البلدية وأحرز هذا الإجراء الذي لم يزل معمولاً به نجاحًا نسبيًا.

ولكن الخطوة الرئيسية لرعاية الجالية البرازيلية حدثت في شهرشباط لسنة 2017، مع بدء المحاضرات باللغة البرتغالية في سهل البقاع، حيث فتحت ثلاثة صفوف دراسية، اثنان للأطفال والأخير للبالغين. خُصّصتْ هذه الدورات وهي نتيجةً لتضافر جهود برازيليتين مقيمتين في لوسي (سوسن شاهين وسامية بركات) مع البلدية المحلية وإدارة المركز لأعضاء المجموعة 4، وتهدف إلى استرداد البرتغالية بصفتها لغة ميراث وإلى تطوير جميع الكفاءات اللغوية وتنشئة الصلات بالبرازيل.

6. الخلاصة: تحديات وفرص نشر اللغة البرتغالية في لبنان:

كما قد رأينا، تستعمل اللغة البرتغالية في لبنان وتنقل من قبل جالية ناطقين بها صغيرةٍ نسبياً ومشتتةٍ وغير متجانسة إلا أنها تحتفظ بسمات هوية فريدةٍ للغاية شبيهةٍ ربما بمجموعاتٍ أخرى أصغر منها لمهاجرين جنوب أمريكيين، تتألف هذه الجالية الناطقة بالبرتغالية من أفرادٍ من جميع الأعمار والديانات والفضاءات الجغرافية (سواءً في لبنان أو في البرازيل) وطبقاتٍ اجتماعيةٍ وتعليميةٍ، سياق هذه المجموعة اللغوي متفردٌ بتعدديته وازدواجيته، تفرض هذه السمات تحدياتٍ وفرصاً ذات أهميةٍ لنشر البرتغالية في لبنان، سواءً كلغة ميراثٍ أو كلغةٍ أجنبيةٍ، يعرض هذا القسم الختامي من مقالي بعض التحديات والفرص لنشر البرتغالية اعتماداً على النشاط القيم للمركز الثقافي البرازيلي اللبناني، في حالاتٍ عديدةٍ يبدو التنسيق مع مؤسساتٍ أخرى من الإدارة العامة ومن المجتمع المدني ثمينةً وضروريةً.

يدخل التحدي الأول في فضاء رغبة وإرادة الوكلاء المرتبطين بنشر نشاطٍ منسقٍ ومعتمدٍ على الحقائق، إذن على سياسةٍ عامةٍ لنشر البرتغالية أن تذهب إلى أبعد من الأساسي البسيط إذ أنه غير كافٍ مجرد إبقاء المركز الثقافي البرازيلي اللبناني لا سيما فيما يخص الجالية البرازيلية في لبنان إن بقيت تفهم على أنها ميراثٌ للجالية البرازيلية اللبنانية، لن تتجاوز اللغة البرتغالية في لبنان الصعوبات الخاصة بالنقل ولن تغتنم الفرص التي يوفرها تعلمها لتوطيد العلاقات الثنائية بين البلدين، على هذه الشاكلة إذن فإنَ المطلب الأول هو الإرادة إذ أن التاريخ بمفرده لن «ينقذ» اللغة البرتغالية بدون إرادة الوكلاء المعنيين بإضفاء القيمة عليها.

ومن التحديات الأخرى التي يجب التغلُّب عليها الفهم الخاطئ أن الذين يكوِّنون الجمهور المستهدف لنشر اللغة البرتغالية (سواءً كلغةٍ أجنبيةٍ أو موروثةٍ) على نفس المستوى لتعلم اللغة واستخدامها، خاصةً فيما يتعلق بالتعددية اللغوية ازدواجية اللغة اللتين يتسم بهما اللبنانيون، يجب أن يأخذ تدريس اللغة هذه الظواهر بعين الاعتبار لتكون أكثر فاعليةً وبالتالي يجب تكييف أساليب التدريس مع ماهية لبنان، حيث لا يمكن تطبيق المنطق القائل إن «مقاساً واحداً يناسب الجميع»[21]، في هذا الصدد على سبيل المثال يبدو أنَ خصوصيات تدريس اللغة البرتغالية للفرد الذي تلقى تعليمه بالفرنسية في النظام التعليمي اللبناني، على النقيض من ذلك الذي تعلم العربية فقط أمرٌ ضروريٌ، قد تكون الشبكة التعليمية اللبنانية «سابيس»[22] التي ستفتح قريباً

21 دفعت ندرة الكتب المناسبة للتدريس الى ان تتبنى، على سبيل المثال، نفس المواد الأساسية للصفوف الدراسية للأطفال، سواء لتعليم اللغة البرتغالية كلغة ميراث، او كلغة أجنبية، مما فرض على الأساتذة انتباها مضعفا للتكييف.

22 «سابيس» شبكةٌ تربويةٌ دوليةٌ مقرها في لبنان، وهي متوفرةٌ في عشرين دولةٍ موزعةً على القارات الخمس، يدرس في مدارس الشبكة أكثر من سبعين ألفاً من الطلاب، ولها طريقةٌ خاصةٌ للتعليم،غالباً بلغتين مع استعمالٍ مكثفٍ للحلول الحاسوبية، للمزيد من المعلومات راجع: ./http://www.sabis.net

في مدينة كامبيناس البرازيلية، أول وحدةٍ لها في أمريكا الجنوبية، شريكاً هاماً في تطوير الموارد التعليمية لتدريس اللغة البرتغالية في السياق اللبناني.

في صدد ما ذكر أعلاه، فإنَ التحدي الثالث يتعلق بتدريب وتأهيل معلمي اللغة البرتغالية كلغةٍ أمٍ وكلغةٍ ثانيةٍ وكلغةٍ موروثةٍ وكأجنبيةٍ، وإنه لمن الواضح أنها تتطلب مناهج مختلفة إذ أن لكلٍ منها واقعاً مختلفاً فتتطلب عمليات تدريسٍ وتعلمٍ خاصة، لا يوجد مركز تدريب لمعلمي البرتغالية في لبنان على عكس ما يحدث بالنسبة إلى لغاتٍ أخرى (العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية)، وقليلةٌ كانت مبادرات المركز الموجهة للمعلمين أنفسهم، ينبغي أن يفهم أن التدريب يشمل توفير الدورات الدراسية والمواد التعليمية وقواعد البيانات ومنصّات للتدريس، لا سيما التي تستخدم التكنولوجيات الجديدة، يمكن للشراكات مع الجامعات في البرازيل ولبنان سدّ هذه الفجوة بما في ذلك التعلم عن بعد.

في المرتبة الرابعة نظراً للتعاون الثنائي، يبدو ثميناً توفير الدورات الدراسية للغة البرتغالية لفئاتٍ لها اهتمامٌ خاصٌ بها كما يحدث اليوم بالدورة التي يوفرها المركز لضباط القوات المسلحة اللبنانية العاملين مع اليونيفيل. علاوةً على التعاون العسكري قد يكون مهماً تحديد مجالاتٍ أخرى للاهتمام المشترك كموظفي وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين قد تكون الأكاديمية الدبلوماسية اللبنانية الحديثة النشأة، باباً لتقديم دوراتٍ دراسيةٍ للغة البرتغالية لخدمة البلد الخارجية.[23]

ومن القضايا الأخرى التي تفرض نفسها، عدم تقديم اللغة البرتغالية كلغةٍ أجنبيةٍ في التعليم الجامعي وما قبل الجامعي في لبنان، وهو أمرٌ ذو تعقيدٍ كبيرٍ، ومع ذلك فإنَ من المثير للعجب أنه في أفضل الجامعات اللبنانية، التي تحتلّ مكان الصدارة

23 خلال أوج إصدار التأشيرات الإنسانية لضحايا الحرب في سوريا سنة 2015، حاول المركز أن يوفر دورة لغةٍ برتغاليةٍ مجانيةٍ للذين يبحثون عن ملجأٍ في البرازيل، غير أن المبادرة لم تجد مهتمين مستعدين للتنقل إلى بيروت لحضور الحصص الدراسية، مما أدى إلى إلغاء الدورة.

في العالم العربي لا يوجد حتى مدرّس واحد للغة البرتغالية في أقسام اللغات الأجنبية، من المفيد تشجيع إنشاء الكراسي الجامعية والمحاضرات وطرائق أخرى مثل الدورات والبرامج القصيرة لاستضافة الأساتذة الزائرين، لدى أكبر عددٍ ممكنٍ من المؤسسات التعليمية[24]، قد تكون نقطة البداية هي مركز دراسات وثقافات أمريكا اللاتينية التابع لجامعة الروح القدس الكسليك، وهو المركز الوحيد المتخصص ببلدان أمريكا اللاتينية في جامعةٍ لبنانيةٍ، حتى في هذه المرحلة قد يكون هناك ما يكفي من الطلب لتبرير اتخاذ الإجراءات مع المؤسسات المتخصصة لتطبيق امتحانات باللغة البرتغالية في الباكالوريا في لبنان.

وبما أنه مرتبطٌ أيضاً بتعليم اللغة البرتغالية في الجامعات، فلا يجوز منع نشرها من التداول في التعليم العالي البرازيلي المقدم باللغة البرتغالية، سواءً من خلال برامج التبادل الأكاديمي الأكثر ترسيخًا، كمثل برنامج الطلاب اتفاقية تبادل لطلاب البكالوريوس (PEC-G) واتفاقية تبادلٍ لطلاب الدراسات العليا (PG-PEC)[25]، وكذلك الاتفاقيات المباشرة التي ينبغي تحفيزها، بين الجامعات في البرازيل ولبنان، وبفضل أداء مركز دراسات وثقافات أمريكا اللاتينية، قد أضحت جامعة الروح القدس الكسليك مؤسسةً للتعليم العالي اللبنانية التي تحافظ على أكبر كميةٍ من الاتفاقيات مع الجامعات البرازيلية، هناك مجالاتٌ تُثير اهتمام اللبنانيين التلقائي كالجراحة التجميلية وهندسة الطيران والبترول، لكن يمكن استكشاف حقولٍ أخرى بما في ذلك الآداب.

24 تقوم حالياً السفارة البرازيلية في بيروت بمفاوضاتٍ مع الجامعة الأمريكية لتقديم محاضراتٍ باللغة البرتغالية في تلك المؤسسة.

25 في 2015، فامت السفارة البرازيلية في بيروت بمفاوضات مع أعرق الجامعات اللبنانية لإدراج البرنامج «علوم بدون حدود» في وزارة التربية، غير أن البرنامج خضع لإعادة صياغةٍ في 2016، مما أحال دون تنفيذه لغاية الآن في المؤسسات اللبنانية.

وأخيرًا، يجب أن يكون نشر اللغة البرتغالية جزءًا من استراتيجية الانتشار الثقافي الخارجي الأوسع نطاقاً، خصوصاً في لغة موادُّ الأدب ودعائمه، والسينما واللغات الفنية لا سيما الموسيقى والمسرح، بل بشكلٍ أوسع سلاسل اقتصاد الثقافة والترفيه الثقافة، حيث تظهر اللغة عبرها كحقائق متقاربةٍ ومترابطةٍ تعزز إجراءات نشر بعضها البعض.

لتوطيد قيمة اللغة البرتغالية وتعزيزها في لبنان، من الأهمية بمكانٍ تعزيز وتوضيح الإجراءات والدعم على مختلف المستويات وفيما بين الكيانات المختلفة، بالإضافة إلى برامج الانتشار الثقافي في الخارج التي تصونها وزارة العلاقات الخارجية وتنفذها السفارة البرازيلية في بيروت ومركز دراسات وثقافات أمريكا اللاتينية، والتي كما سبق أن رأينا تشجع برمجةً ثقافيةً واسعة النطاق، ومع وجود العديد من رجال أعمالٍ من أصلٍ لبنانيٍ في البرازيل من المؤسف أن منتجي الثقافة لا يستخدمون آلية المحاباة (الحافز المالي) التي ينص عليه القانون الاتحادي لتشجيع الثقافة (قانون روانيت) لجلب رؤوس الأموال لمشاريع في لبنان أو لمشاريع لبنانية في البرازيل، هناك جانبٌ آخرٌ مع أنه يرتبط باقتصاد الثقافة يتعلق بالحاجة إلى المزيد من التحفيز لتبادل الأنشطة والسلع والخدمات الثقافية بين البلدين، والتي تشمل من بين جملة أمورٍ أخرى الترويج للإنتاجات المشتركة في مجال السينما والتلفزيون وترجمة الأعمال الأدبية والنشر المتبادل للأزياء والتصميم والموسيقى والألعاب الالكترونية.

تعتبر التحديات والفرص والاقتراحات المقدمة هنا، إلى حد أكبر أو أقل، اعتياديةً في مجال الترويج الدولي للغة البرتغالية، بغض النظر عن البلد المستهدف، ومع ذلك وبسبب خصائص لبنان وهو بلدٌ صغيرٌ ومتفتحٌ على العالم فإنَ المبادرات لنشر اللغة البرتغالية والثقافة البرازيلية لا تتطلب موارد كبيرةً لإحراز انتشارٍ واسع المدى، قد يكون المزيد من التقارب بين المؤسسات التي تروج للغة البرتغالية في الخارج وفوق

كلَ شيءٍ الفهم المتبادل لما تقوم به وما تنفذه حاسماً لترسيخ مكانة لغة ماشادو دي أسيس في بلد الأرز.

المراجع:

BACHA, Nahla Nola; BAHOUS, Rima. Foreign Language Education in Lebanon: A Context of Cultural and Curricular Complexities. Journal of Language Teaching and Research, v. 2, n. 6, p. 1320-1328, November 2011.

CHACRA, Gustavo. De Munique a Beirute – Uma vila libanesa onde todos falam português. In: De Beirute a Nova York [blog na internet]. O Estado de S. Paulo, 9 de outubro de 2010. Disponível em: <http://internacional.estadao.com.br/blogs/gustavo-chacra/de-munique-a-beirute-uma-vila-libanesa-onde-todos-falamportugues/>.

CORM, Georges. Le Liban contemporain. 3ª. ed. Paris: La Découverte, 2012.

FERGUSON, Charles A. Diglossia. Word, v. 15, n. 2, 1959, p. 325-340.

FERGUSON, Charles A. Epilogue: Diglossia Revisited. In: ELGIBALI, Alaa. Understanding Arabic: essays in contemporary Arabic linguistics in honor of El-Said Badawi. Cairo: The American University in Cairo Press, 6691, p. 49-67.

FLORES, Cristina; MELO-PFEIFER, Silvia. O conceito "Língua de Herança" na perspectiva da linguística e da didática de línguas: considerações pluridisciplinares em torno do perfil linguístico das crianças lusodescendentes na Alemanha. Domínios de Lingu@gem, v. 8, n. 3, ago./dez. 2014. Disponível em: <http://www.seer.ufu.br/index.php/dominiosdelinguagem>.

GONÇALVES, Luís (org.). Português como Língua Estrangeira, de Herança e Materna: abordagens, contextos e práticas. Roosevelt: Boavista Press (American Organization of Teachers of Portuguese), 2016.

HARY, Benjamin. The Importance of the Continuum in Arabic Multiglossia. In: ELGIBALI, Alaa. Understanding Arabic: essays in contemporary Arabic linguistics in honor of El-Said Badawi. Cairo: The American University in Cairo Press, 6691, p. 69-89.

KHATLAB, Roberto. As Viagens de D. Pedro II: Oriente e África do Norte, 1871 e 1876. São Paulo: Benvirá, 2015.

KHATLAB, Roberto. Les Libanais dans le Monde: vision sócioculturelle et historique. Jdeidé: Dar Saer Al Mashrek, 2013.

KHATLAB, Roberto. Libaneses no Brasil e Brasileiros no Líbano – "Brasilibaneses". Revista Ipsis Libanis, ano 1, n. 1, 2016. Disponível em: <http://www.icbl.com.br/ipsislibanis/>.

OSMAN, Samira Adel. Entre o Líbano e o Brasil: dinâmica migratória e história oral de vida. São Paulo: USP, 2006. (Tese de doutoramento).

RETO, Luís Antero; MACHADO, Fernando Luís; ESPERANÇA, José Paulo. Novo Atlas da Língua Portuguesa. Lisboa: Imprensa Nacional – Casa da Moeda, 2016.

RIBEIRO, Lidice Meyer Pinto. A implantação e o crescimento do Islã no Brasil. Estudos de Religião, v. 26, n. 43, 2012, p. 107-135.

SINGH-BARTLETT, Warren. Bet you didn't know this about Beirut. 2ª. ed. Beirute: Turning Point Books, 2013.

TEMER, Michel. Discurso do vice-presidente Michel Temer por ocasião da inauguração do Centro Cultural Brasil-Líbano. Beirute: 18 de novembro de 2011. Disponível em: <http://www.itamaraty.gov.br/

pt-BR/discursos-artigos-e-entrevistas-categoria/vicepresidente-da-republica-federativa-do-brasil-discursos/9650-discurso>.

THONHAUSER, Ingo. Multilingual Education in Lebanon: "Arabinglizi" and other Challenges of Multilingualism. Mediterranean Journal of Educational Studies, v. 6, v. I, 2000, p. 49-61.

التجارة الخارجية، دور المجتمع اللبناني

جون توفيق كرم*

في عام 1952، اجتمع زعماءٌ ماليون من أصولٍ لبنانيةٍ وسوريةٍ وأسسوا غرفة تجارية بتمويلٍ من ثروات عائلات تجارة المنسوجات البرازيلية، استوفت الغرفة في البداية تطلعات المجتمع الراقي في البرازيل وكذلك في عيون الوطن الأم، لكن بالاسم الحالي للغرفة التجارية العربية البرازيلية، أخذت هذه المجموعة من اللبنانيين والسوريين مهمة تعزيز الصادرات والمصدرين البرازيليين في العالم العربي.

أثنى كلٌ من الرئيسين فيرناندو إنهيكي كاردوزو 1994–2002 على الغرفة، ولويس إيناسيو لولا دا سيلفا 2003–2011، في عام 2001، شكر الرئيس الأسبق فيرناندو إنهيكي كاردوزو الغرفة على تحقيقها «زيادةً كبيرةً جداً في تجارة البرازيل مع العالم العربي»، وفي عام 2010 أعلن لولا «أننا ندين لكم بالكثير ... لقد ساعدتم الاقتصاد البرازيلي»، تركز هذه المقالة على التشكيل التاريخي والمشروع الحالي لغرفة التجارة العربية البرازيلية حول دور الجالية اللبنانية في التجارة الخارجية البرازيلية، حيث اكتسبت السليقة التجارية المتميزة للبنانيين اعترافاً أكبر في البرازيل اليوم، عندما مارست عملها في الصادرات، واكتسب مديرو غرفة التجارة العربية البرازيلية مكانةً بارزةً كشركاء تصديرٍ للبرازيل.

احتضنت النخبة البرازيلية مزايا التصدير التي عززها (إجماع واشنطن)، جذبت هذه الصادرات تدفقاً آمناً للعملات الأجنبية، والتي كان بإمكانها أن تحرر

* أستاذٌ في جامعة إلينوي، أوربانا – شامبين، قسم اللغة الإسبانية والبرتغالية.

البلاد من المضاربة التجارية وموازنة الواردات اللازمة للتنمية[1]، التصدير ليس ظاهرةً جديدةً في التاريخ البرازيلي، ولكن اليوم تمت إعادة توجيهه خارج أوروبا والولايات المتحدة إلى الأسواق غير التقليدية أو الناشئة كالشرق الأوسط[2]، في هذا السياق لجأ السياسيون ورجال الأعمال البرازيليون إلى غرفة التجارة التي يقودها أحفادٌ لبنانيون وسوريون للمساعدة في تعزيز الصادرات البرازيلية، وليس إلى أراضي هؤلاء الحفدة بل إلى الأسواق الأكثر ربحيةً في الخليج العربي وشمال أفريقيا.

تتبع هذه المقالة الحركة الحديثة في الدراسات العابرة للحدود، لاختبار التصدير كواقعةٍ اجتماعيةٍ ولغةٍ ثقافيةٍ، أسس المنظّرون الرائدون معارضةً تحليليةً بين التكوينات الوطنية والتشكلات العابرة لحدودها، التي تدافع إما عن تراجع أو استمرارية الدولة الوطنية[3]، من ناحية أخرى تسبر دراساتٌ حديثة العهد للعرف الأساسي المتبادل للقوى الوطنية والعابرة للحدود[4]، يفحص هذا المسار البحثي مفاهيمَ كمفهوم

---

1 على الرغم من الامتلاك لقاعدة مادية أساسها بنية تحتية مستوردة، فإن التصدير اصبح يعتبر نشاطا يضمن الغنى للدولة في السوق المعولم. قال احد المصدرين البرازيليين إن «لكي يستورد البرازيل المعدات والتكنولوجية عليه ان يزيد من التصدير، لان هكذا يزيد الضمان». في طبيعة الحال، فإن المواد المصدرة المصنوعة بتكنولوجية أو المعدات المستوردة يمكن ان تُرى كجزءٍ من تدفق عولمي منفصل وحتى ك»صنمية الإنتاج». (آبادورا، 1966). تعترف بوضوح النخب البرازيلية في قطاعي الحكومة والأعمال على هذا التداخل، ولكنها تقدر أن ثمة طريقة لبناء اقتصاد فومي في أزمنة معولمة، وهي من خلال التصدير.

2 راجع كلوفيز روسي، تريد الحكومة شراكة مع «الحيتان». جريدة صحيفة ساوباولو، 13/11/2001، وسيلسو لافر، شراكات في الشرق، صحيفة ساوباولو، 18/08/2002.

3 آبادورا، 1966، باش وغليك-شيلر وزانتون-بلان، 1994.

4 تشيا وروبينز، 1998، أونغ، 1999، ساسن، 2001.

الدولة والإيديولوجيات الوطنية، واضعين الأنشطة التي تساهم في عبور الحدود عن طريق تعزيزها وتشكيلها دون تقييدٍ لها بالضرورة[5]، تكشف مقالتي حول الجالية اللبنانية في التجارة الخارجية للبرازيل، كيف أن تكوين المجموعات العرقية والوطنية تشكل وتعزز العمليات العابرة للحدود.

ما يوصف هذا التقارب بين القوى العرقية والوطنية داخل البرازيل وخارجها على أنها «شراكة»، إما من جانب قادة غرفة التجارة العربية البرازيلية من قبيل الخدمات العامة وعالم الأعمال أو حتى في وسائل الإعلام، على الرغم من أن مفهوم «الشراكة» قد تمّ اختباره في سياق التمويل الخاص لبرامج الدولة للإنتاج الفني في الولايات المتحدة الأمريكية[6]، إلا أنَ هذه المقالة تحاول دراستها في العلاقات الهرمية بين العرقية والوطنية في البرازيل المعاصرة، وعبر عملية التحول، في الوقت الحالي حصل اللبنانيون والسوريون على اعترافٍ أكبر باعتبارهم «شركاء» القادة السياسيين والاقتصاديين في البرازيل، حيث أنهم تعاونوا لخلق نموذجٍ اقتصاديٍ جديدٍ للأمة «البرازيل المصدر»، في هذا التجديد البراعة التجارية المفترضة للعرب تمَ استقبالها بشكلٍ جيدٍ للغاية، في ظل ظروفٍ معينةٍ من قبل النخبة البرازيلية المتلهفة للتصدير.

1. تأسيس الغرفة:

في عام 1952، رجال الأعمال الذين ازدهروا في محيط حي الخامس والعشرين من أيار وفي قطاع النسيج، في تطورٍ لا لبس فيه في ذلك الوقت من أجل (إعادة) إنشاء غرفة التجارة السورية اللبنانية، وُقع التأسيس في مقر شركة لعائلة يافث، الشركة العامة البرازيلية للتعدين، وفقاً للمبادئ الأصلية، فإنَ الغرفة تهدف إلى تعزيز الروابط التجارية بين البرازيل والشرق الأوسط، وكذلك ''الاتحاد والتعاون بين عنصري

5 شاين، 1998، ص 164.

6 يوديس، 1995، وأيضًا 1999.

الإنتاج والاستهلاك لجميع الشركات الزميلة المنتشرة في جميع أنحاء الأراضي الوطنية الشاسعة»[7]، في العقود التالية، شُغلت رئاسة مجلس الغرفة بشكلٍ رئيسيٍ من قبل أعضاء ثلاث عائلاتٍ لبنانية وسوريةٍ مهمةٍ: هنَ يافث وعبد الله والشوفي.

شغل نجيب وإدواردو، من الجيل الثاني لعائلة يافث، منصبي الرئاسة ونيابة الرياسة لولايتين متتاليتين، من 1953 إلى 1958. اعتمدت مكانتهما المادية والرمزية على النجاح الرأسمالي الكبير للجيل المهاجر السابق. وصلت عائلة يافث الى البرازيل في أواخر القرن التاسع عشر وفتحوا متجراً لبيع النسيج بالجملة اسمه «نعمة يافث وإخوته» (احتراما للأخ البكر). بينما يتم الاستثمار في الواردات، دخل الإخوة الخمسة للعائلة في القطاع الصناعي، وأسسوا عام 1906 معملاً للغزل والنسيج تحت اسم العلامة التجارية يافث، وفي العقود التالية بدأ المجمع الصناعي العائلي بتوظيف أكثر من 3000 عامل في منتصف الثلاثينيات[8]، كونها أغنى عائلة في الجالية في النصف الأول من القرن العشرين، أسس يافث حياً كاملاً، إيبيرانجا، حيث المصانع والقصور السكنية، يقال أنَ جزءاً من رأس المال الأولي للإخوة يافث «سقط من السماء بسبب إحدى الواردات: كانت الشركة قد استوردت الأنيلين قبل الحرب العالمية الأولى ولكن حجم الطلب وصل لغاية رقمين إضافيين، بحيث بلغ مائة مرةٍ أكثر من اللازم، في اللحظة التي ارتفعت فيها جداً أسعار الأنيلين»[9]، في العقود التالية تم وضع رأس مال استثمارات ومشاريع العائلة للتوسع في المناجم والأعمال المصرفية والنقل، وغيرها من قطاعات الاقتصاد البرازيلي، لكن مع ذلك بدأ مطلع عام 1959 يرمز إلى الإفلاس الذي سيعلنه يافث في الستينيات، لن يشغل أي فردٍ من العائلة مرةً أخرى مركزاً في توجيه الغرفة التجارية العربية البرازيلية.

7 الغرفة التجارية العربية–البرازيلية، 1998، ص 30.

8 يافث، 1935، ص 11.

9 دين، 1969، ص 31.

تبعهم أحفاد أسعد عبد الله، الذي كان قد وصل إلى البرازيل في عام 1895، شغل ثلاثةٌ من أفراد الجيل الثاني من عائلة عبد الله رئاسة مجلس غرفة التجارة العربية البرازيلية لخمسة دوراتٍ بين عامي 1959 و 1964 ثم بين عامي 1977 و 1980، كان الوالد أسعد عبد الله بائعاً متجولاً في ضواحي ساو باولو في نهاية القرن التاسع عشر، فتح مستودعاً للجملة مع نجيب سالم في أوائل القرن العشرين وانتهى على المنطقة وبنى حياً بأكمله باسم متنزه ساو جورجي في ساو باولو، الابن نبيه أسعد عبدالله (رئيس الغرفة التجارية في 1959–1960) يقول أنه منذ العام 1912 ووالده يخصص بالتزامٍ شديدٍ نصف أرباح شركة الغزل والنسيج في شراء العقارات، لا سيما في وسط المدينة، وذكر أنَ الأب قام في أحد الأيام بإجراء حسابٍ زائفٍ مع أحد الشركاء، قائلاً: «عزيزي، تبلغ تكلفة متر القماش الألماني المطبوع المستورد 300 $، ويبلغ المتر الواحد لهذه الأرض بـ 240 $، لا يرتدى ولا يبهت ولا يزال باقياً على خط الترام، في المقابل من شارع سيلسو غارسيا، في وسط مدينة ساو باولو»[10]، في النصف الأول من القرن العشرين، جعل هذا النوع من الاستثمار للعائلة مساحةً تبلغ حوالي مليون مترٍ مربعٍ، تقابل متنزه ساو جورجي الذي تم بيع حقله الرياضي لاحقاً لنادي كورينتشياس لكرة القدم، على الرغم من أن هذه الإستراتيجية للاستثمار في العقارات كانت أندر بكثيرٍ، إلا أنها استخدمت من قبل العديد من اللبنانيين والسوريين[11].

بعد آل عبدالله، تولى راغب الشوفي رئاسة المجلس الاستشاري للغرفة لثلاث فتراتٍ من 1965 إلى 1970، وشغل ابنه لورينسو الشوفي المقعد مرتين، بين عامي 1983 و 1986 قام الأب بتأسيس وتطوير شركة راغب الشوفي للأنسجة، ولكن الابن لورينسو هو الذي حول الشركة إلى أكبر شركة نسيجٍ في البرازيل من أواخر

10 غريبير ومعلوف ومطر، 1998، ص 84.

11 كرم، 2004.

السبعينات وحتى أوائل التسعينات، كان سر النجاح هو تخزين كميةٍ كبيرةٍ من سلع الشركات المصنعة في فترة تضخمٍ مرتفعٍ، وبالتالي زيادة هامش ربح البائع، على سبيل المثال اشترى الشوفي آلاف الأمتار من الأقمشة المحلية، تم تقييم الأسهم كودائع من خلال إعادة المؤشر الشهري لمؤشر السعر العام مع معدلات تضخم تراوحت 100 ٪ إلى 2700% سنوياً[12]، تم بيعت النسج لتجار التجزئة في وقتٍ لاحقٍ بسعرٍ يفوق عدة أضعاف المبلغ المدفوع في الأصل في ذلك الوقت، هذا «الفوز بما يزيد عن سهمٍ »كان شائعاً بين التجار حتى على نطاقٍ أضيقٍ.

ولكن مع الانفتاح الاقتصادي لعام 1991 والاستقرار النقدي في عام 1994، لم تعد المنسوجات الشوفية قادرةً على منافسة المصنعين المحليين والمستوردين الآسيويين الذين باعوا مباشرة إلى تجار التجزئة، مع خسارة ما يقارب من 17 مليون دولار فقط في عام 1997، أغلقت شركة الشوفي للأقمشة أبوابها، لكن مع ذلك لم يضع كل شيءٍ فلمدة عشرين عاماً استثمرت الشركة العائلية الأرباح في مجال العقارات في المناطق الحضرية والريفية، حيث بيعت الأراضي بقيمة عشرات الملايين من الدولارات وتمَ تأجير المخازن مع تخفيض القيمة عند إعادة البيع (تقع بالقرب من شارع الخامس والعشرين من آذار)، لم يعد مصدر ثروة عائلة الشوفي في فرع تجارة الجملة بالنسيج وإنما في سوق العقارات، ولا يزال استمرار تأثير العائلة باقياً كما يتبين من حقيقة أن صهر لورينسو الشوفي، باولو عطا الله، كان عمدة الغرفة بين عامي 1998 و2002[13].

ترأس كلٌ من محاميي التدريب مع أحفاد المهاجرين اللبنانيين المولودين في ساو باولو أنطونيو سركيس جونيور غرفة التجارة بين عامي 2005 و 2008، ومارسيلو نبيه سالوم من عام 2013 إلى عام 2017، وتبين جهودهم أنَ الغرفة لا

12 أودوغيرتي، 2002، ص 2003.

13 ترأس والد عطاالله الغرفة لولايتين متواليتين بين 1971 و1974.

يزال يتزعمها أحفادٌ لبنانيون وسوريون من ساو باولو، بل وأكثر من ذلك حيث أنَ مسار المدراء كان يميل إلى النجاح ليس من خلال تجارة الجملة أو تجارة التجزئة ولكن عبر المهن الحرة، كان السلوم هو من ترأس البيعة لنائب الرئيس ميشال تامر آنذاك[14].

في الماضي، اعتمدت الغرفة بشكلٍ شبه حصريٍ على سخاء القادة اللبنانيين والسوريين من أجل تمويل أنشطتهم الاجتماعية في الخمسينات والستينات، في ذلك الوقت يشرح أحد المدراء الحاليون أنه كان لدى الغرفة «أنشطةٌ ثقافيةٌ أكثر، لقد استقبلوا السفراء وروجوا للمؤتمرات وكانت مرتبطةً حقاً بالمجتمع»، مع الرؤساء الذين كانت مسيرتهم المهنية متداخلةً في سوق النسيج البرازيلي واقتصاده، كانت الغرفة التجارية السورية اللبنانية المزعومة موجهةٌ لرجال الأعمال الناجحين من أصل لبناني وسوري مؤسسةً مكنتهم من إقامة اتصالٍ مع جميع الجاليات العربية في ساو باولو ومع المجموعات الاجتماعية والتجارية البرازيلية والدبلوماسيين وكبار الشخصيات في العالم العربي، في عام 1966 تلقت الغرفة زياراتٍ من مسؤولين حكوميين من لبنان والأردن ومصر وسوريا[15].

تغيير اسم الغرفة يظهر الدور المتزايد الأكثر أهميةُ للقوى العربية، الاتحاد بين سوريا ومصر وتشكيل الجمهورية العربية المتحدة 1958، وتوحيد السلك الدبلوماسي لكلٍ منهما في البرازيل جذب انتباه مديري الغرفة (الذين لا يزال معظمهم من اللبنانيين أو ذوي أصولٍ سوريةٍ) المهتمين بتوسيع «العلاقات مع الدول العربية».

وفي العام نفسه، التقيا بالقنصل العام للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل واعتمدوا اسم الغرفة التجارية العربية البرازيلية[16]، وحتى العام 1975 تم تبنيه بناءً على ما تم اعتماده في ذلك الوقت، سعى مديرو المجلس الاستشاري للغرفة إلى الاتصال

14 ميشال تامر: شخصية الغرفة التجارية 2013، مجلة شمس، أبريل 2013.

15 الغرفة التجارية، 1998، ص 38.

16 المرجع السابق، ص 37.

بسفارات العالم العربي في البرازيل، بما في ذلك ليبيا والعراق والجزائر ومصر والمملكة العربية السعودية والمغرب[17]، تأملت الغرفة بتقديم خدماتٍ دبلوماسيةٍ مستقبليةٍ، وأن تعمل كوسيط تجاري بين البرازيل والعالم العربي.

منذ عام 1952 وبقيادة أولئك الأقطاب اللبنانيين والسوريين في قطاع النسيج، تم تمويل غرفة التجارة العربية البرازيلية بشكلٍ أساسيٍ عن طريق ثروة عائلات صناع النسيج البرازيلي، بتقدمٍ لا لبس فيه آنذاك، وبما يخدم بشكلٍ رئيسيٍ أغراضها الاجتماعية والثقافية في البرازيل والعالم العربي معاً.

2. غرفة التجارة العربية البرازيليَة والتدفقات العابرة للحدود:

بعد أزمة النفط في عام 1973، بدأت نخب رجال الأعمال في الولايات المتحدة والنخب البرازيلية تتحول بشكلٍ متزايدٍ إلى غرفة التجارة العربية البرازيلية، سعياً وراء توجيه الشؤون الدبلوماسية والتجارية مع الدول العربية، أرادت الحكومة البرازيلية خفض العجز التجاري بين البرازيل والعالم العربي النفطي وطلب التنفيذيون البرازيليون الكيفية للتصدير إلى العالم العربي، وفي مواجهة الاهتمام أخضعت غرفة التجارة العربية البرازيلية نفسها لإعادة هيكلةٍ ماليةٍ وتنظيميةٍ عميقةٍ، في عام 1974 بدأت بفرض رسومٍ على الخدمات التي تطلبها كلٌ من الحكومة والشركات العربية والبرازيلية، في الوقت نفسه تلقت تعريفها الرسمي ك «كيانٍ غير ربحيٍ» للدولة البرازيلية، تم تمويلها مادياً من قبل مدراء لبنانيون وسوريون، الآن يتم تمويل الغرفة بشكل غير مباشرٍ عبر التدفق لكلٍ من السلع ورأس المال بين الحكومات والشركات في البرازيل والعالم العربي، منذ ذلك الحين ، ازدادت أنشطتها و خزينتها بشكلٍ مطردٍ.

في تسعينيات القرن العشرين، كان حوالي 75% من عائدات البرازيل السنوية من الصادرات إلى الدول العربية (عدة مليارات من الدولارات) تتكون من

17 المرجع السابق، ص 42-41.

الغذاء (مثل لحم الدجاج المجمد)، وخام الحديد والسكر والألمنيوم، وحبوب القهوة، معظم الدخل المكتسب للغرفة يتأتى من شهادة الصادرات البرازيلية إلى الشرق الأوسط، كما يقول كتيب غرفة التجارة العربية البرازيلية: ''لا تمنح السفارات العربية في برازيليا سوى التصديق القنصلي على وثائق التصدير بعد اعتمادها من قبل المجلس الاستشاري''، قبل إرسالها إلى السفارات العربية في برازيليا، يجب أن تمر وثائق التصدير عبر مكاتب دوائرها، مع زيادة الصادرات البرازيلية إلى الدول العربية ، فإنَ غرفة التجارة قادرةً على دعم نفسها، في الواقع يبرر العملاء البرازيليون ذلك القول من إنَ الغرفة «تحتاج إلى فرض رسومٍ للبقاء على قيد الحياة»، وأنَ متطلبات التصديق على المنتجات المصدرة تؤدي إلى أكثر من العائدات الكافية لتمويل أنشطتها وجداولها، مثل المهام التجارية، زيارات للعالم العربي وندوات حول «كيفية التصدير إلى الدول العربية» للمصدرين البرازيليين المحتملين (سنناقشه لاحقاً).

في رحلاتي داخل الغرفة أتذكر بوضوح بيير (اسمٌ مستعار) الذي كان السكرتير العام للغرفة والذي كان يوقع شهادات المنشأ للصادرات البرازيلية إلى الشرق الأوسط، مع وجود قلمٍ في متناول اليد للتوقيع على الأوراق، سيجارةٌ مضاءةٌ في فمه، والهاتف يستريح بين ذقنه وكتفه بانتظار مكالمةٍ هامةٍ، مع أنثروبولوجيٍ ملحاحٍ يجلس أمامه، أثبت بيير أنه خبيرٌ في فن خدمة العملاء الأكثر تنوعاً، «بماذا تفوز الغرفة؟» أوضح، «إنها تفوز بشهادةٍ، مع المستندات التي أوقعها هنا «، هذه الأوراق تضمن بقاء غرفة التجارة وتعزز صورتها «كشريك» للمصدرين البرازيليين، توصلوا إلى استنتاجٍ مفاده أن الجزء التنظيمي من المنتجات الغذائية والصيدلانية معقدٌ، ويوفر برنامج الغرفة الدعم الفني اللازم لمواجهته، «جميع الوثائق الخاصة بالصادرات»، أوضح أحد العملاء (غير العرب) «تمر عبر الدائرة ليتم التحقق منها، ويُقدم لك الدعم الكامل في الترجمة وفي التشريعات اللازمة، إنه عملٌ في غاية الأهمية» وكما سيتم توضيحه بمزيد من التفصيل، فقد نال اللبنانيون والسوريون في الغرفة التجارية

مزيداً من التقدير بفضل التداول العابر للحدود والسلع ورأس المال بين كلٍ من البرازيل والعالم العربي.

3. شركاءٌ في «البرازيل المصدّر»:

إنهاء فترة ستين سنةٍ من الحمائية، الانفتاح الاقتصادي البرازيلي خفض معدلات الضرائب وقلص الحواجز التجارية ولكن بطريقةٍ مفاجئةٍ وبالنسبة للعديد من رواد الأعمال كانت «مؤلمةً» و «صادمةً»، شارك العديد منهم نفس التجارب في أوائل التسعينيات عندما واجهوا بشكلٍ مفاجئٍ منافسةً عالميةً، سواءً في مستحضرات التجميل أو المستحضرات الصيدلانية أو المواد الغذائية، تقول دانييلا، وهي مديرةٌ تنفيذيةٌ في صناعة مستحضرات التجميل، إن لشركتها ثلاثة منافسين، وفي عام 1992 تبين أنهنَ تسع عشرة شركة، عبر استيراد المنتجات المصممة من المستوردين الآسيويين، تمكنت العديد من الشركات الجديدة في البرازيل من بيع خط إنتاج شركتها بأسعارٍ أقل «مع الانفتاح الاقتصادي، فقدنا الكثير من السوق هنا»، تفكر دانييلا ملياً ثم تضيف: « ومن ثم عليك التصدير والبحث عن مزيدٍ من الأسواق»، كما أوضح إدواردو، المدير التنفيذي لمعدات المستشفيات، أنَ «اللاعبين الكبار في العالم» في الولايات المتحدة وأوروبا دخلوا السوق المحلية بمنتجاتٍ أرخص ومع تكنولوجيا عالية، وعلى الرغم من أنَ التجربة كانت «مؤلمة» إلا أنه قال: «إن صناعتنا تحاول التطلع إلى أسواقٍ محتملةٍ على المستوى العالمي حتى تتحول إلى العولمة أيضًا».، بعد النجاة من طوفان الواردات الرخيصة والمنافسة، والتي حدثت مع الانفتاح الاقتصادي اعتمد التنفيذيون البرازيليون استراتيجيات «العولمة» والتوجه مجدداً نحو التصدير.

لتشجيع البرجوازية الوطنية على بيع نسبةٍ كبيرةٍ من سلعها وخدماتها في الخارج، أنشأت الدولة البرازيلية العديد من الوكالات والبرامج في أواخر التسعينيات، ومع اختصارات غامضة مثلAPEX وكالة ترويج الصادرات، و PROEX

برنامج تمويل التصدير، تم استقبال هذه الكيانات الرسمية الموجهة للتصدير في أوساط الأعمال. مقيمًا كيفية «إيقاظ» «روح التصدير» للنخب الصناعية البرازيلية يقول لويز فورلان رئيس شركة ساديا: «تقليديًا، لم تكن البرازيل مُصدِراً؛ لذا فإنَ هذه الوكالات هي الأساس المنطقي لها، لإيقاظ روح التصدير في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وفي نفس الوقت تؤدب وتساعد وتمنح وصولاً للمعلومات: من هي الدول التي تشتري؟ وما هي أنواع المنتجات؟»[18]، دون أن يخفي رضاه عن آفاق الصناعة الوطنية الموجهة للتصدير بدعمٍ من الوكالات الحكومية، أشاد هذا الرجل العظيم بالرئيس فرناندو هنريك كاردوسو لتحويله البرازيل إلى دولةٍ مصدرةٍ.

كما شدد فورلان على الشراكات بين وكالات التصدير الرسمية وغرف التجارة الدولية، في مدينة ساو باولو يوجد اليوم ما يقارب من عشرين غرفةٍ تجاريةٍ دوليةٍ، غالباً بدعمٍ مؤسساتيٍ من الدولة وبسلطاتٍ تفاوضيةٍ في بلدانهم الأصلية، عادةً ما يقوم بإدارة هذه الكيانات مهاجرون أو منحدرون من أبناء المهاجرين، ومن بينها غرفٌ للولايات المتحدة الأمريكية وللدول العربية ولإيطالية وروسيا، بالنسبة إلى فورلان، فإن هذه الغرف «تقدم خدماتٍ للشركات المهتمة، وفي الوقت نفسه لديها علاقاتٌ مع السلطات البرازيلية بهدف زيادة تدفق الأعمال بين الدول»، ومن خلال التركيز على عناوين الصحف الرئيسية، فإنَ هذه الشراكات بين القطاع العام والقطاع الخاص للصادرات تلقى ترحيباً إيجابياً، وبشكلٍ عامٍ يُعتقد أنها تؤدي إلى تدفقٍ ملائمٍ لرأس المال الخارجي، مما يضمن أساساً مستقراً للتنمية الوطنية في الاقتصاد العالمي.

وباعتبارها واحدة من «غرف التجارة الدولية»، طورت غرفة التجارة العربية البرازيلية صورتها كمنظمةٍ غير ربحيةٍ ترتكز على الصادرات في التسعينيات، واليوم،

18 ساديا هي أكبر شركة دواجن في البرازيل، تساوي صادراتها تقريبا ثلثاً من التجارة مع العالم العربي. يعرف فورلان جيداً مدراء الغرفة، مع ملاحظة أنه أصبح وزيراً للصناعة والتطوير في حكومة لولا.

تصدر شهادات المنشأ للصادرات البرازيلية إلى الشرق الأوسط، وتنظم زيارات البعثات التجارية من قبل النخب السياسية والنخب التجارية البرازيلية إلى العالم العربي، وتمثل البرازيل في المعارض الدولية التي ترعاها الدول العربية، وتنظم حلقاتٍ دراسيةٍ للنخب البرازيلية حول طرقٍ للتداول مع العالم العربي، بخلاف غرف التجارة التي تنوي فتح السوق البرازيلية لاستيراد السلع والخدمات من بلدان المنشأ، تحاول غرفة التجارة العربية البرازيلية التفريق بين كونها كيانٌ مخصصٌ بشكلٍ أساسيٍ (ولكن ليس حصرياً) لتصدير السلع والخدمات البرازيلية إلى الشرق الأوسط: «تعمل الغرفة بطريقةٍ مستقلةٍ تماماً مرتكزةً في المقام الأول على التصدير، وفي تناغمٍ تامٍ مع أهداف الحكومة البرازيلية والاقتصاد البرازيلي»[19].

ترى غرفة التجارة العربية البرازيلية نفسها بما تمثله كغرفةٍ تعمل بشكلٍ أساسيٍ لزيادة الصادرات البرازيلية إلى الشرق الأوسط، وتسعى إلى ضمان دورها كشريكٍ أصليٍ في قطاع التصدير في الاقتصاد الوطني البرازيلي، مؤسسياً تعتبر الغرفة جسراً بين البرازيل والعالم العربي، في عام 1992، اعترفت جامعة الدول العربية رسمياً كونها وكالةٌ تعزيزٍ اقتصادي، تليها عدة غرفٍ للتجارة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، ولكن فقط في عام 2000 كانت هناك شراكةٌ مؤسسيةٌ مع الدولة البرازيلية لزيادة الوعي بين نخبة رجال الأعمال حول أهمية التصدير إلى «العالم العربي».، مع هذا بدأت الغرفة في الحفاظ على العلاقات المؤسساتية مع الوكالة البرازيلية لتشجيع الصادرات والاستثمارات، وهي هيئةٌ تابعةٌ للحكومة الفيدرالية، تسمح هذه الشراكة للغرفة بالإعلان عن أنشطتها المختلفة كالبعثات التجارية، المعارض الدولية وندوات التصدير، كجهةٍ ترعاها الدولة، كما سيتم مناقشته في وقتٍ لاحقٍ، أشاد مسؤول الوكالة البرازيلية لتشجيع الصادرات والاستثمارات بالندوات حول «كيفية التصدير إلى العالم العربي» ، تدريب التنفيذيين البرازيليين على العادات الاقتصادية والثقافية

19 الغرفة التجارية، 1998، ص 50.

للعالم العربي، وفي الواقع يظهر شعار الغرفة التجارية – وهو هلالٌ بألوان العلم البرازيلي – من بين شعارات الوكالات الفيدرالية للبلاد.

كجسرٍ إلى «العالم العربي»، تقدم الغرفة خدماتها، مديروها ذوي الأصول السورية واللبنانية يناشدون عروبةً أوسع. خذ على سبيل المثال تفسير بيار، وهو برازيليٌ سوريٌ من الجيل الثالث، كان أميناً عاماً لغرفة التجارة العربية البرازيلية منذ 1998: «أنا سوريٌ من سليلٍ سوريٍ، لكنني عربي، إذا سألتني إن كنتُ لبنانياً، فأقول: لا، أنا عربيٌ منحدرٌ من العرب، إذن لا وجود لهذه الفكرة عن الأمة الفردية، إنها الأمة الجماعية [وقفة] للعرب». تشكّل هذه العروبية جوهر الروابط المؤسسية للمجموعة مع المؤسسات الحكومية والتجارية، العلاقات الرسمية مع جامعة الدول العربية على سبيل المثال، تستند إلى الخلفية العربية للمجلس التنفيذي للغرفة على النحو المنصوص عليه في لوائح الغرفة، والمنقحة في 1980[20]، وبهذا المعنى وكما قال أحد الأعضاء السابقين في الغرفة فإنَ صعود الرؤساء والمدراء «يكتسب رحابةً» للمديرين التنفيذيين البرازيليين في «العالم العربي». امتدّ إلى العالم العربي هذا الشكل من البرازيل العربي وبذلك فتح مجالاً في السوق للمصدرين البرازيليين.

لكن هذه «عروبةٌ» تختلف عن مظهرها المعهود، الاسم المطلق على الغرفة بـ «السورية واللبنانية» قد تغير إلى «العربية البرازيلية»، مما يعكس ذروة القومية العربية خلال مرحلة الوحدة السريعة الزوال بين كلٍّ من سوريا ومصر باسم الجمهورية العربية المتحدة والتي استمرت لثلاث سنواتٍ، العلاقات الحالية لغرفة التجارة لها صلاتٌ بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية داخل البرازيل وخارجها، انتهى التركيز على كلٍ من لبنان وسوريا خلال عقد الثمانينات وارتبطت الغرفة الآن أكثر مع الدول النفطية في الخليج العربي، في الواقع تعتبر المناطق الرئيسية التي تتلقى الصادرات والمصدرين من البرازيل، واستند إعادة توجيه الغرفة ضمنياً على مفهوم «البترودولار العربي» في

20 الغرفة التجارية، 1989، ص 18-15.

الاقتصاد العالمي، في أعوام 1980 و 1990، شكلت دول الخليج العربي سوقاً لأكثر من نصف الصادرات البرازيلية إلى الشرق الأوسط بأكمله[21]، في الدوريات والملتقيات النقاشية والبعثات، أرسلت الغرفة التجارية المصدرين البرازيليين إلى دول الفائض العربي[22]، المملكة العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة وغيرهم ممن يعاملوا ليس كأممٍ عربيةٍ شقيقةٍ ، وإنما كأسواقٍ قادرةٍ على «استيعاب» الصادرات البرازيلية، وبهذه الطريقة، البرازيليون ذوي الأصول اللبنانية والسورية مدوا عربتهم إلى منطقة الخليج في إطار منطق السوق، مما يعكس الأجندات البرازيلية وليس بالضرورة اللبنانية أو السورية.

وقد جذبت هذه العروبية بمعناها الواسع بعض العملاء البرازيليين ذوي أصولٍ شرق أوسطيةٍ، شهيد على سبيل المثال، هو رجل أعمال فلسطيني من الجيل الثاني في قطاع الاتصالات، بعد أن فقد عوائده بعد عام 1991، أصبح مهتماً بالتصدير إلى العالم العربي، واعتبر شهيد أن المستوردين في العالم العربي يفضلون منتجات زميلٍ عربي آخر في البرازيل، كانت العربية هي «النفوذ» كما سبق وأن قال، ولدهشته تجاهلته الغرفة، التمس مني أن أسأل الغرفة التجارية العربية البرازيلية لماذا لم تجب على أسئلتها، فأخبرني أحد مدرائها حقاً أنَ «الاتصالات الأسيوية» نافذةً في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وأن شهيد لن يتمكن من شغل أيٍ منها، حتى لو تمكنت الغرفة من مساعدته، أرسلتُ الرسالة إلى شهيد ولم يكبح نفسه، وتساءل عن مبررات الغرفة التجارية: «ألا ينبغي على الدائرة أن تساعدنا؟» ، في إشارة إلى «نحن العرب»، اليوم لا يزال يحضر فعاليات غرفة التجارة العربية البرازيلية ويتوقع فرصةً

21 في 1998، استورد الخليج 850 مليونا من الدولارات من إجمالي بليار وسبعمئة مليون من المنتجات والخدمات البرازيلية المصدرة الى منطقة الشرق الأوسط.

22 الغرفة التجارية، 1989، ص 30-28.

مستقبليةً للتصدير، من وجهة النظر هذه فإن ازدياد حدة العرقية العربية بطريقةٍ ما لا ينطبق دائماً على التفاعل المادي بين أولئك الذين يعتبرون أنفسهم عرباً.

لذلك فإنّ عروبية الغرفة تعكس اليوم منطق السوق، على الرغم من كونها هيئةً غير هادفةٍ للربح، إلا أنَ المديرين لديهم مصالح على المحك في هذه التدفقات العابرة للحدود بين البرازيل والشرق الأوسط، لنأخذ مثالاً عن اثنين من الأعضاء السوريين – اللبنانيين في زيارة بعثةٍ تجاريةٍ للخليج العربي، حيث دُعوا في عام 2000 للمشاركة في مجلس إدارة الغرفة، أحدهما يتعامل مع بنوك الاستثمار والآخر في صناعة اللاكتوز، ختما اتفاقياتٍ تجاريةٍ خلال بعثة الخليج ، وشغلوا كذلك على مقاعدٍ في إدارة الغرفة، في مثال آخر، أصبح بشار صاحب وكالة سياحةٍ مشهورةٍ في ساو باولو، جزءاً من مجلس الإدارة منذ عدة سنوات ومنذ ذلك الحين، أقام معارض حول السياحة المصرية والجزائرية في البرازيل، وأوضح: «داخل الغرفة هذه هي منطقتي»، لكن في عام 2001، كان عضواً في لجنةٍ للترويج حول السياحة البرازيلية في معرضٍ دولي يدعى الملتقى (سوق السفر العربي) في دبي، الإمارات العربية المتحدة، وعلقت نشرة الغرفة على ذلك بقولها: «كانت المناسبة مؤاتيةً للغاية لإبرام الاتفاقيات التي أبرمها مشغّل رحلاتٍ برازيلي، وقد عقد فعلاً صفقاتٍ لأربع رحلاتٍ جويةٍ مستأجرةٍ من الإمارات إلى البرازيل»[23]، في هذه الحالة عادت ميزة العربية لصالح وللاقتصاد البرازيلي.

مقارنةً بغرفة التجارة العربية الأمريكية في الولايات المتحدة، التي تأسست في عام 1992 من قبل مجموعةٍ من رجال الأعمال العرب الأمريكيين في ديترويت الكبرى، حاولت الغرفة أن تصبح «مركزًا تجاريًا بين الشرق الأوسط والولايات المتحدة، كما هي ميامي فيما يتعلق بأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية»[24]، في الكفاح من أجل

23 أخبار الغرفة التجارية، مج1، رقم 2، 2001.

24 توم والش، مستقبل الشرق الأوسط يتشكل في ديترويت. ديترويت فري بريس، 25/09/2003.

الفوز بحصةٍ بلغت 55 مليار دولار في التجارة بين سوق أمريكا الشمالية والسوق العربية، عقدت غرفة التجارة العربية الأمريكية المنتدى الاقتصادي العربي الأمريكي الأول في ديترويت في أيلول من العام 2003، ومن بين المشاركين الألف الذين دفعوا عضوية في مجموعة الـ3000 دولار، كان كولين باول ومسؤولون حكوميون أمريكيون، والأمير سعود الفيصل وأعضاء من العائلة المالكة في الخليج العربي، وكبار التنفيذيين من إنتل وبوينغ وإكسون موبيل[25]. ومن خلال التغطية الصحفية في جميع أنحاء البلاد، استهدف المنتدى التركيز على العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والقوى العربية، لكن السياسة احتلت مركز الصدارة[26]، بينما تم انتقاد المنتدى من قبل حركة شعبية للمقاتلين العرب الأمريكيين بحجة التمييز والتواطؤ مع المصالح الأمريكية، إلا أنَ السلطات العامة الأمريكية قدمت أهدافها في نشر «الديمقراطية» من خلال «اقتصاد التجارة الحرة»، وهكذا حاول رجال الأعمال العرب الأمريكيون إظهار إثنيتهم العرقية كمنطقٍ للسوق على المستوى الوطني وعبر الوطني، لكنه يبقى مرتبطاً بجدول الأعمال الأمريكي الرسمي لنشر «الديمقراطية» في العالم، وكنظيرتها البرازيلية تسعى الغرفة إلى شراكاتٍ مع الحكومة ومع الشركات الأمريكية والعربية، لكنها تبقى تابعةً حتماً للسلطة الأمريكية.

25 اللاعبون الرئيسيون في المنتدى الاقتصادي الأمريكي العربي. ديترويت فري بريس، 29/09/2003.

26 توم والش، حوار الزعماء العرب جميعه عن السلطة. ديترويت فري بريس، 29/09/2003.

4. اللبنانيون والسوريون يتنفذون في التصدير:

في البرازيل، تم تنظيم الشراكة بين النخب العرقية والحكومية والوطنية في الحلقات الدراسية التي عقدتها الجمعية تحت عنوان «كيفية التفاوض مع الدول العربية» و «التصدير إلى العالم العربي»، بدأت هذه الحلقات الدراسية في منتصف التسعينات بتقديم عروضٍ كل شهرين في جميع أنحاء البرازيل، وجذبت من 50 إلى 120 من رجال أعمالٍ معظمهم من غير العرب بل من العديد من الشركات البرازيلية، فازت الحلقات الدراسية تحت عنوان «التصدير إلى الدول العربية» برعاية مشتركة من الوكالة البرازيلية لترويج الصادرات والاستثمارات في الصحافة البرازيلية خاصةً في مجلة (غازيتا) التجارية[27]، أصف أدناه حلقتين دراسيتين عن دورة «التصدير إلى البلدان العربية» ، والتي حضرتهما في عامي 1999 و2001[28].

عند مدخل القاعة كان المشاركون من الرجال في غالبيتهم العظمى، جميعهم يحملون شارات التعريف التي يقوم الأمناء على توزيعها وقد تم تنظيمها بعنايةٍ في المقاعد البالغ عددها 120 مقعداً، حيث الملصقات المحتوية على منشوراتٍ إعلانيةٍ عن المعارض الدولية والمهام التجارية القادمة، قام المشاركون بفحص المواد وضبط الشارات واستمروا في النظر إلى ساعاتهم الذهبية حتى بدأ الندوة، بعد عرض المتحدثين باسم الغرفة التجارية العربية البرازيلية والحكومة الاتحادية البرازيلية، والجالسين حول طاولةٍ أمام الجمهور، تلاها موجزٌ للأنشطة التي تقوم بها الشراكة، عند ورقة العمل الخاصة بغرفة التجارة العربية البرازيلية بدأه باولو عطا الله رئيس الغرفة بـ «زيادة التجارة

27 عدة مقالات ذكرت في المراجع، تتحدث جميعها عن الفرص التجارية في العالم العربي، وتشير إلى أن المركز القيادي للغرفة معترف به لدى نخبة رجال الأعمال البرازيليين ووسائل الإعلام، وكما علق رئيس الاتحاد التجاري في منطقة الأمازون، «أمامنا فرصٌ كبيرةٌ لفتح مجالٍ في الخارج مع الغرفة التجارية».

28 بالإضافة الى هذه الدورات، فإن الغرفة في مقرها في ساو باولو، توفر شهرياً عروضاً عن شتى المواضيع التجارية لمنتسبيها ولرجال أعمال ولموظفي الحكومة.

بين البرازيل والدول العربية"، لهذا وتابع: «بيت العرب» لديها فروع في مارانياو وباهيا وغوياس وبرازيليا وفي جنوب البرازيل، وكذلك فروعٌ دوليةٌ كمركز الأعمال البرازيلي في دبي، الإمارات العربية المتحدة، أصر عطا الله على أن مركز الأعمال في دبي تم تمويله جزئياً من قبل الحكومة البرازيلية لذا تم تقديم الغرفة التجارية ككيانٍ يتفرع عبر البرازيل ويتم توجيهه نحو العالم العربي.

بعد ذلك، قدم عطاالله اثنين من مسؤولي وزارة الخارجية الذين كانوا إلى جانبه أمام القاعة، أوضح الأول أن الحكومة البرازيلية خططت لمضاعفة صادرات البلاد في عام 2000، مع إنشاء الوكالة البرازيلية لترويج الصادرات والاستثمارات مؤخراً مع «رؤية حديثةٍ جداً»، مثلت الوكالة واحدةً من «نقاط التقدم الرئيسية» في حكومة فرناندو هنريك كاردوسو، الذي سعى لتحويل البرازيل إلى «دولةٍ مصدرةٍ كبيرةٍ في الاقتصاد العالمي"، واحد من «الشركاء» الرئيسيين في هذا الهدف كان غرفة التجارة العربية البرازيلية، أشاد المسؤول الحكومي «بعض الغرف التجارية الأخرى لديها ذات الخبرة التي تمتلكها غرفة التجارة العربية البرازيلية»، «إنها تقود رجال الأعمال في البرازيل للتصدير إلى العالم العربي»، وختم كلمته بـ: «أرحب بمبادرة الغرفة لإنشاء مكتبٍ في دبي»، إنه عرضٌ مثاليٌ لكيفية حصول الغرفة العربية البرازيلية على اعترافها كشريك للدولة البرازيلية.

في عام 2001 ، في أعقاب خطاب ممثل الحكومة، جاء العرض الذي قدمه بيير، الأمين العام لمجلس التعاون الجمركي الأمريكي ، الجيل الثالث السوري، وتحدث عشرين دقيقة حول خصائص «السوق العربية». بعد عرض سماته الاقتصادية الرئيسية، بما في ذلك الحواجز الجمركية ومعدلات النمو، أظهر بيير خريطة للشرق الأوسط «لم أكن في حاجةٍ إليها»، اعتذر، ولكن فقط لإعطاء فكرة عن البلدان التي تشكل السوق العربية». وفي إشارة إلى «منطقة البحر الأبيض المتوسط» في لبنان وسوريا وفلسطين، علق بيير بأن «غالبية المهاجرين في البرازيل» جاءت «من هذه

الدول العربية» ، ولاحقًا لاحظ أنها منطقة خطر. وفي معرض حديثه عن الخليج العربي ، أوضح أنه «يمتلك ثاني أكبر حركة تجارية، فقط وراء هونج كونج». تميز بيير بدبوس على خريطة «السوق العربية» في المنطقة السورية حيث جاءت عائلته، لكنه سلط الضوء على الإمكانات الاقتصادية لمنطقة أخرى. وهكذا ضمّ «العروبية» الواضحة للمديرين اللبنانيين والسوريين للغرفة، الذين انحدروا من الجزء الغربي من «السوق العربية»، إلى الأطراف الشرقية لتلك السوق، أي الخليج العربي. الانتقال من الوطن في سوريا أو لبنان إلى «أكبر حركة تجارية في الخليج»، وهذا التوسع في «العروبية» يعكس مصير الصادرات البرازيلية إلى العالم العربي. تكرس جزء كبير من الدورة إلى «الثقافة العربية»، على أمل تسهيل التبادل التجاري المحتمل بين رجال الأعمال البرازيليين ورجال الأعمال العرب. في دورات 1999 و2001، على سبيل المثال، تحمس المستمعون البرازيليون عندما عرض بيير «السمات الثقافية لرجل الأعمال العربي»، فكتبوا جميع ما قاله[29]. أكد بيير على «أهمية الثقافة العربية». في 1999، قال إن العرب يحبون «العلاقات الشخصية» في الاتفاقات التجارية، وأن «العرب يحبون التفاوض، ولذلك يجب أن توفروا لهم شيئا من الخصم، تخفيض السعر قليلا». في 2001، قدم بيير نسخة مشابهة ولكن أكثر تأدبا، عن سمات «المستورد العربي»: «إنه يحب أن يشعر أنه مهم»، شرح أمين الغرفة. «هو يرغب أن يثق بشريكه وفعلاً مستعدٌ للتفاوض، يرغب في التعامل كأن يقدم القهوة ويتناقش حول سعر السلعة ويرغب أن يشعر أنه انتصر في قضية السعر». هكذا، فإن مديري الغرفة يُسقطون على العالم العربي نفسه صورةً محددةً تاريخياً للعربي كتاجر «شاطر» في

29 ولكن يجب أن نضيف أن بيير نفسه علق على «قلة» عروبته في حياته الخاصة. وذات يوم، عندما ما ركبت المصعد معه، سألني بشكل جزافي هل أتكلم العربية أم لا، أجبته أنني أتكلمها ولكن ليس بشكلٍ جيدٍ، فقال: «أنت على الأقل تتكلمها». وأضاف متأسفا: «فقدت هذا الجانب من الثقافة». على الرغم من هذا الاعتراف الشخصي، فقد اعتبر بيير نفسه، وهكذا اعتبره الآخرون كمتخصصٍ عامٍ في الثقافة العربية في دورات «التصدير إلى العالم العربي».

البرازيل. ولكنه، بهذا، يعزز دورهم كشركاء لرجال الأعمال البرازيليين، الذين يعرفون كيف يتفاوضون ويتعاملون بطريقة لا يعرفها إلا العربي.

لم تكن هذه الإشارات إلى القوة التفاوضية لرجال الأعمال في الخليج العربي غير معروفة للعملاء البرازيليين (غير العرب) للغرفة. بصفته رئيس قسم العلاقات الدولية في اتحاد الصناعات في ولاية ساو باولو – FIESP ، علّق موريس بأن هذه الفطنة العربية الفطرية للأعمال لا تكمن فقط في البرازيل والشرق الأوسط، بل في جميع أنحاء أوروبا أيضًا. وفي معرض حديثه عن الحكمة التجارية للعرب في رومانيا موطنه، نقل موريس عن المثل القائل «إن العربي يساوي سبعة رومانيين». كما أشار إدواردو المدير التنفيذي لمعدات المستشفيات المذكورة أعلاه، إلى أن «العربية بطبيعتها هي طريقة تجارية للوجود، التفاوض في الجذر». مع الإعراب عن إعجابه «بالمديرين التنفيذيين ذوي المؤهلات العالية» الذين التقى بهم خلال البعثة التجارية التي بعثت بها الغرفة إلى الخليج العربي، قدم إدواردو المزيد من التفاصيل عن العرب في البرازيل.

شاركت دانييلا، المديرة التنفيذية لمستحضرات التجميل، في نفس المهمة التجارية إلى الخليج العربي. وأوضحت أنها كانت راغبة في «كسب ثقة» رجال الاعمال العرب، وأنها تسلحت بنفسها بمجموعة من عينات من فرش شعر نُقِشت على مقبضها كلمة «لطفلك» باللغة العربية. بعد إرضاءها لهذا العرض التجاري من النداء الثقافي، وبعد أن استعانت بمساعدة الغرفة التجارية للترجمة، علقت دانييلا قائلةً: «إنني أدخل في ثقافتهم». لكنها تأملت أيضاً صعوبة التعامل مع رجال الأعمال العرب. تحدثت عن تجاربها مع «العرب» قبل وبعد البعثة التجارية، أوضحت:

نسمع كثيراً أن العربي يعرف كيف يمارس العمل. أنت تسأل عن خصم، لكن العربي حقاً يمسك بالكثير. لا يريد الاستسلام. يقول الناس: «العرب يأخذون كل ما بوسعهم». هناك في شارع 25 آذار يتكلم التاجر هكذا: «أيوه ، يا سيدتي! سأبيع لك رخيصاً! أبيع بسعرٍ رخيصٍ «سيدة» يقولها بلهجة عربية» ويده مقبوضة،

لكن عندما رأيت الضيافة في الجزيرة العربية، تلك الوجبات السيارات المنتظرة في المطار، والملابس التي يرتدونها، ثم هناك شيء آخر: إنه من سمة العربي أن يكون مضيافاً، ولكن على الرغم من الضيافة، من الصعب القيام بالأعمال.

على الرغم من الضيافة التي استقبلت بها، وجدت دانييلا صعوبة في إبرام صفقات مع رجال الأعمال العرب الذين زاروا المعارض التجارية التي ترعاها المؤسسة في الشرق الأوسط. ولكن حتى بدون إبرام أي عقدٍ، كررت أنها استفادت كثيراً من الرحلة ورأت أنه حتى لو كان من الصعب التعامل مع الشرق الأوسط، فهناك مسألة «الضيافة». بعيداً عن التراجع عن فكرة وجود «جوهر تجاري» عربي التي عرفتها في شارع 25 أذار، جاءت خبرتها التجارية العابرة للوطنية لتضمها إليها في الشرق الأوسط نفسه، في أواخر التسعينيات كان إدواردو ودانييلا مجرد اثنين من آلاف رجال الاعمال البرازيليين الذين شاركوا في ندوات حول مفاوضات السلام في الشرق الأوسط. منذ عام 1998، قامت الغرفة التجارية بتعزيز حوالي 12 مهمةٍ تجاريةٍ إلى الخليج العربي وشمال أفريقيا. تحت رعاية وكالة ترويج الصادرات التابعة لوزارة الشؤون الخارجية (APEX-MRE) منذ عام 2000 ، تهدف هذه «البعثات التجارية» إلى «إعطاء السلطة التنفيذية فرصة للعثور على المشتري و/أو موزع منتجاتها مباشرة، تعتني الغرفة التجارية باللوجستيات وأنت من عملك». يتم تأسيس «الخدمات اللوجستية» للبعثات التجارية مع الغرف التجارية العربية التابعة لها والسفارات البرازيلية. ومن خلال الإعلان في المجلات المحلية والصحف التجارية وتوزيع منشورات حول «الملفات الخاصة» للشركات البرازيلية، يعمل المركز على ضمان مشاركة التنفيذيين العرب في «المعارض التجارية» المختلفة وغيرها من الأحداث ذات الصلة. وأعرب المشاركون البرازيليون الذين أجريت معهم مقابلات، مثل إدواردو ودانييلا، عن إعجابهم «بدور» الغرفة التجارية في رحلة العمل هذه. وجدوا الدليل مع نصائح سلوكية بأن الغرفة التجارية من بينها، وأشاد بتنظيم المعارض التجارية التي

«فتحت الأبواب» لرجال الاعمال البرازيليين للالتقاء و «التعامل» مع المستوردين العرب[30]. شرح إدواردو:

عندما تذهب إلى بلدٍ ما، من المهم أن يكون هناك شخص ما يفتح لك الأبواب، وتلعب الغرفة التجارية هذا الدور. لديها علاقة مع هذه البلدان لأنها جزء من المجتمع، ثم تمكنت من تصويب قناة الاتصال وجعل الاتصالات أسهل، هو عامل مهمّ يجعلها القناة بين البرازيل وبلدان المجتمع العربي.

وضع رجال الأعمال البرازيليون الغرفة التجارية في منصب «فاتحة الأبواب» للأسواق العربية. وبخلقها «قناة للاتصال» بين البرازيل والشرق الأوسط، قد شكر المصدرون البرازيليون «دور» الغرفة التجارية كشريكةٍ وليست كمنبوذة.

لدى بحثه عن مساعدة الغرفة لتصدير دجاج شركته الى الشرق الأوسط، علق لويز فورلان على الوضع الراهن للاقتصاد الوطني ومكان الغرفة فيه: «كان الاقتصاد البرازيلي دوماً منغلقاً جداً، من الصعب أن تصدر، كان حلماً، والآن مع الانفتاح تجدد دور الغرف التجارية، والكثير منها نشيطٌ للغاية، والغرفة التجارية العربية البرازيلية هي من الغرف الأكثر نشاطاً، فهي تجمع رجال أعمالٍ من شتى المجالات وفي نفس الوقت تعزز مهامها في الخارج، رائعٌ عملها في السنين الأخيرة، لكي تجمع المصالح المشتركة للجاليات العربية مع موقفها لصالح البرازيل».

لدى انفتاح اقتصاد كان منغلقاً في السابق، فإن النخب التجارية سعت وراء غرف «دولية» للتجارة، بغية «تسهيل» تدفق السلع الوطنية إلى الخارج. وكما

30 هناك عاداتٌ وتقاليدٌ «يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار»، ينصح منشور الغرفة التجارية، لدى التعامل مع رجال الأعمال العرب. على سبيل المثال، لا يجوز أن يرى من الرجل كعب حذائه، لأنها تعتبر حركة مهينة في منطقة الخليج. لا يجوز إطلاقًا استخدام اليد اليسرى، لانها تعتبر دنسةً، ونظراً الى حضور النساء في المهمة، عليهن استعمال منديلٍ على رؤوسهن.

أكد رجل أعمال محترم جداً، فإن الغرفة التجارية العربية البرازيلية كانت من الغرف «الأكثر روعة».

تكثف هذه السمة لإدارة الغرفة، فوصلت إلى الطرف الأكثر شرقية للعالم العربي، واعترف به أعضاء الحكومة. في عشاء الاحتفال بعيدها الخمسيني، سنة 2001، شكر الرئيس فيرناندو انهيكي كاردوزو الغرفة على دورها في «الصادرات الذي تنمو باستمرار».[31] وقال صراحةً: «حدث تصعيدٌ عظيمٌ في تجارة البرازيل مع العالم العربي. ترى حكومتي هذه الجالية كحليفٍ مهمٍ لا نتخلى عنه في جهودنا لزيادة صادراتنا وتنويعها، علي أن أقول أننا ندين كثيراً للجهود التي تبذلها الغرفة التجارية العربية البرازيلية وجاليتها. لم يبق لي إلا الشكر مرة ثانية للغرفة ومن خلالها الى الجالية العربية على كل ما بذلوه من أجل تعزيز حسن سمعة البرازيل»[32].

«العرب» – غرفتهم التجارية وضمنياً «الجالية العربية» – الذين تعرضوا للإهانة بصفتهم منبوذين، يعتبرون الآن «حليفاً لا يمكن التخلي عنه» للأمة والدولة البرازيلية.

في سنة 2010، شكر كذلك الرئيس لويز إيناسيو لولا دا سيلفا الغرفة، التي ساعدت على نمو الصادرات البرازيلية ثلاث أضعاف، من 7,2 بليار دولار في 2003 الى 9,4 بليار دولار سنة 2009[33]. قال الرئيس لولا خلال عشاء احتفاء به قدمته الغرفة في نادي جبل لبنان: إننا مدينون الكثير لكم، لأن الشعب العربي

31 تحتفل الغرفة التجارية بعيدها الخمسيني. أخبار الغرفة التجارية العربية البرازيلية، م 2، عدد 7، 2002، ص 3.

32 عشاء الخمسين سنة. مجلة شمس، م 11، عدد 120، سبتمبر 2002.

33 تحتفى الغرفة التجارية بلولا. 17/03/2010. متوفر في: <http://www2.anba.com.br/noticia/9666586/diplomacia/camara-arabe-presta-homenagem-a-lula/>.

ساعد البرازيل على أن يكون ما هو عليه الآن، إنكم ساعدتم الاقتصاد البرازيلي» عند ذكره أن القفزة الكبيرة في الصادرات البرازيلية إلى العالم العربي حدثت خلال الأزمة المالية الدولية الخطرة، أضاف لولا:لولا هذا لكنا غرقنا»[34]. لم تزل الغرفة شريكة لكل الفرق والأحزاب البرازيلية.

وبالمثل، أشاد مدير الوكالة البرازيلية لتشجيع الصادرات والاستثمارات بالغرفة «لقيادتها» بين رجال الأعمال البرازيليين[35]. وقالت بشكلٍ قاطعٍ «أن المشروع الغرفة النجاح، ليس فقط لتحقيق نتائج ملموسة في زيادة الصادرات، ولكن أيضاً القدرة على حشد رجال الأعمال من مختلف القطاعات»، وقال أوزمار الشوفي الأمين العام للشؤون الخارجية: «إنني أدرك باعتبارها واحدة من أهم النقاط الجديرة بالثناء اعتماد الغرفة نهجاً رائداً، والذي هو أيضاً دعم المصدرين البرازيليين بكفاءة في الفوز بالأسواق العربية»[36]، في إعادة هيكلة النيوليبرالية للاقتصاد الوطني، اكتسب دور الغرفة التجارية العربية البرازيلية و «المجتمع العربي» اعترافاً أكبر «كشريكٍ» في البرازيل المعاصر. الغرفة التجارية العربية البرازيلية تحتل مكانةً متميزةً.

كانت الغرفة ، التي تم تصورها ككيانٍ ترفيهي للقطبين السوريين اللبنانيين والسوريين في قطاع النسيج في الخمسينيات والستينيات، قد أعيد ابتكارها في العقود الأخيرة من القرن العشرين، يعمل مدرائها الحاليون اللبنانيون والسوريون من الجيل الثاني والثالث على مساعدة المديرين التنفيذيين البرازيليين في التصدير إلى الخليج العربي وشمال إفريقيا، وهكذا ، اكتسب هؤلاء المروجون الجدد للصادرات بأصولهم

34 آنا ماريا بربور. يحتفي لولا بالجالية العربية في نادي جبل لبنان. 31/03/2010. متوفر في: http://www.icarabe.org/politica-e-sociedade/lula-homen> .<ageia-comunidade-arabeno-monte-libano

35 مقابلة مع دوروتيا فيرنيك: مشروع الغرفة التجارية للصادرات البرازيلية. أخبار الغرفة التجارية العربية البرازيلية، م 1، عدد 4، 2001، ص 8.

36 خطاب الأمين العام للعلاقات الخارجية السفير أوزمار الشوفي. كلمة البرازيل الدولية.

اللبنانية والسورية قدراً أكبر من الاعتراف باعتبارهم شركاء حرفيين للنخب البرازيلية، ليس بسبب ميلهم التجاري المفترض، ولكن بسبب فائدتهم للصادرات الوطنية.

في هذا المقال، جادلت بأن المجتمع اللبناني لعب دوراً هائلاً في الانفتاح الاقتصادي البرازيلي منذ السبعينيات، وتسارع ذلك مع الانفتاح الاقتصادي الرسمي في عام 1991، تم فهم الصادرات على أنها أنشطةٌ مفيدةٌ للتنمية البرازيلية وتمَ إدراج جدولٍ لأعمالها، العالم المعولم في هذا التحول النموذجي، تحالفت النخب السياسية والوطنية البرازيلية مع المجموعة العرقية اللبنانية والسورية «الفطنة» لبدء فورة الصادرات البرازيلية، لكن في بلدانهم الأصلية لبنان وسوريا ، ولكن في الأسواق الأكثر ربحيةً في الخليج العربي و شمال إفريقيا.

المصادر:

APPADURAI, Arjun. Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization. Minneapolis: University of Minnesota Press, 6691.

BASCH, Linda; GLICK -SCHILLER, Nina; SZANTON -BLANC, Cristina. Nations Unbound: Transnational Projects, Postcolonial

Predicaments, and Deterritorialized Nation -States. Langhorne: Gordon and Breach Publishers, 1994.

CCAB (CÂMARA DE COMÉRCIO ÁRABE -BRASILEIRA). Almanaque. São Paulo. CCAB. 1989.

CCAB (CÂMARA DE COMÉRCIO ÁRABE -BRASILEIRA). Câmara de Comércio Árabe Brasileira. São Paulo: CCAB, 1998.

CHEAH, Pheng; ROBBINS, Bruce (eds). Cosmopolitics: Thinking and Feeling Beyond the Nation. Minneaopolis: University of Minnesota Press, 1998.

DEAN, Warren. The Industrialization of São Paulo, 1880 -1945. Austin: University of Texas Press, 1969.

GLICK -SCHILLER, Nina; BASCH, Linda; BLANC -SZANTON, Cristina (eds). Towards a Transnational Perspective on Migration: Race, Class, Ethnicity, and Nationalism Reconsidered. New York: New York Academy of Sciences, 1992.

GREIBER, Betty; MALUF, Lina; MATTAR, Vera. Memórias de Imigração: libaneses e sírios em São Paulo. São Paulo: Discurso Editorial, 1998.

HANNERZ, Ulf. Transnational Connections: Culture, People, Places. New York: Routledge Press, 6691.

JAFET, Basílio. A Supremâcia Reconhecida. São Paulo: Editora Esphinge, 1935.

JAFET, Nami. Ensaios e Discursos. São Paulo: Editora S/A, 7491. JORGE, Salomão. Álbum da colônia sírio -libanesa no Brasil. São Paulo: Sociedade Impressora Brasileira, 8491.

KARAM, John Tofik. A Cultural Politics of Entrepreneurship in Nation -Making: Phoenicians, Turks, and the Arab Commercial Essence in Brazil. The Journal of Latin American and Caribbean Anthropology, v. 9, n. 2, 2004, p. 319 -351.

MOTT, Maria Lúcia. Imigração árabe, um certo oriente no Brasil. Brasil: 500 Anos de Povoamento. Rio de Janeiro: IBGE, 2000, p. 181 -195.

O'DOUGHERTY, Maureen. Consumption Intensified: The Politics of Middle -Class Daily Life in Brazil. Durham: Duke University Press, 2002.

ONG, Aihwa. Flexible Citizenship: The Cultural Logics of Transnationality. Durham: Duke University Press, 1999.

SASSEN, Saskia. Spatialities and Temporalities of the Global: Elements for a Theorization. Globalization. Arjun Appadurai. ed. 260 -278. Durham: Duke University Press, 2001.

SCHEIN, Louisa. Importing Miao Brethren to Hmong America: A Not -So -Stateless Transnationalism. In: CHEAH, Pheng; ROBBINS, Bruce (eds.). Cosmopolitics: Thinking and Feeling Beyond the Nation. Minneaopolis: University of Minnesota Press, 1998, p. 163 -191.

TRUZZI, Oswaldo. Patrícios: sírios e libaneses em São Paulo. São Paulo: Editora Hucitec, 1995.

WILLIAMSON, John. What Washington means by policy reform. In: WILLIAMSON, John (ed.). Latin American Adjustment: How Much Has Happened. Washington DC: Institute of International Economics, 1990, p. 5 -20.

YÚDICE, George. Civil society, consumption, and governmentality in an age of global restructuring. Social Text, v. 45, n. 1 -25, 1995.

YÚDICE, George. The privatization of culture. Social Text, v. 59, 1999, p. 17 -34.

الاقتصاد اللبناني وإمكانات الشراكات التجارية والاستثمارية مع البرازيل

فيليبي حدوك لوبو جولار*

1. مقدمة: الدول الصغيرة في العلاقات الدولية:

تم إثراء دراسة العلاقات الدولية في السنوات الأخيرة من خلال الأعمال النظرية والتجريبية التي تجلب أدوات تحليلٍ جديدةٍ لتفسيرٍ أفضل لسلوك الدول الصغيرة أو من تسمى بـ «الدويلات الطيعة»، تناقش اليوم حدود أحد الشرائع المركزية لمدرسة الواقعية البنيوية: أن النظام الدولي، الذي يحكمه هيكل سلطةٍ غير متكافئٍ وتهيمن عليه القوى التي تتمتع بقدراتٍ اقتصاديةٍ وعسكريةٍ أكبر شأنه أن يضيق نطاق عمل الجهات الفاعلة الأخرى في هذه الدول، ويحدّد بشكلٍ كاملٍ خطوط عملها في الساحة الخارجية.

النهج البنيوي ينص على أنَ الدول، ولا سيما تلك صغيرة الحجم والتي تعتبر عرضةً لطبيعة البيئة الدولية المقيدة لتبقى على قيد الحياة، فيضطرون إلى المشاركة في مجالات تأثير الدول الأكثر قوةً أو «المهيمنة» في الوضع الثانوي – فعل المداراة

* مستشارٌ في السلك الدبلوماسي، كبير موظفي الوكالة العامة لإفريقيا والشرق الأوسط.

(التبعية) – أو بدلاً من ذلك فإنها تنجذب داخل تحالفٍ مع قوىً أخرى تملك مواردا لتشكيل توازنٍ لتلك الدولة – فعل التوازن.

لم يأخذ هذا التأمل البنيوي في الحسبان عامل المبادرة الخاص بالدول الصغيرة، التي تحيط بها بيئةٌ خارجيةٌ معاديةٌ، حيث يسود أقوى اللاعبين، ويقارنون تأثير القيود المفروضة عليهم بسبب البيئة المحيطة بهم، ويمكنهم القيام بذلك عن طريق اختيار منافذٍ ذكيةٍ تمكنهم من اكتساب مزايا بشكلٍ نسبيٍ وتضمن اندماجها في الساحة الخارجية بدهاءٍ أكبر، بحيث تؤثر عليها قسوة النظام الدولي على نطاقٍ أكثر تساهلاً، في هذه الحالة أي في الموقع الأقل تحصناً، ستكون المؤهلات الصحيحة لهذه البلدان «مرنة»[1].

في الأبحاث الحديثة حول الدويلات الصغيرة أو الدول «الطيعة»، ذهب العالم السياسي حنا كساب إلى أبعد من ذلك، وعاد بعكس منطق الواقعية البنيوية: حيث أنَ عدم التماثل في الموارد المتاحة بين القوى العظمى والدول ذات النطاق العسكري والاقتصادي الأصغر سوف يؤدي إلى تهميش دور الأخيرة في لعبة القوة العالمية، بشرط استبدال تضييق فضاء المناورة بالسماح لها بتوسيعه، حيث أنَ الدول الصغيرة ليست أولوية بالنسبة للقوى العظمى، وهذا ما يمكن الجهات الفاعلة في حكوماتها من تكريس نفسها لتحقيق أهدافها الرئيسية، كالتنمية الاقتصادية والتي في حالة عدم توفر وسائل الإنتاج التي تعاني هذه الدول من نقصٍ حادٍ فيها لتقوم على أساس عنصرٍ آخرٍ ذي صلةٍ بالقوى المنتجة: الإمكانات البشرية.

بالإضافة إلى ذلك، سوف يتمتعون بحريةٍ أكبر لاختياراتهم في الارتباط والقدرة على البحث عن شركاء خارجيين ذوي أجنداتٍ متميزة أو حتى متناقضة،

1 COOPER. SHAW ، 2013 ، ص. 7-1.

بالطبع يشير كساب إلى أن الاستقلالية هذه لا بدَ من بلوغها درجةً لا تُبتلع فيها نخبتها عبر ديناميات المنافسة بين قوى الدول الكبيرة[2].

2. وضع لبنان:

بلدُ الـ 4.2 مليون نسمة، مع مساحةٍ بحدود 10،542 كيلومترا مربعا، واقعةً في مفترق طرقٍ جغرافيةٍ وتاريخيةٍ متنازعٍ عليها ومتأثرةً بالنزاعات القديمة للإمبراطوريات، والقوى الاستعمارية والدول الإقليمية الأكثر بروزاً، فإنَ لبنان منذ استقلاله في عام 1943 اتخذ خياراً سياسياً لتحقيق التوازن فيما بينهم في خضم هذا الحزم المتوتر.

وخلافاً للحكومات العربية الأخرى ما بعد الاستعمار، والذين قاموا بتثبيت أنظمةٍ سياسيةٍ مركزيةٍ، فقد اعتمدت الدولة نموذجاً فريداً لتوزيع السلطة التعددية، متناسقاً مع التشكل الاجتماعي والديني، والنظام الطائفي على أساس تقسيم السلطات داخل الدولة بين الجماعات الطائفية واحترام نسبها الديموغرافية، في ضوء التعايش بين الشعوب المسيحية – خاصةً الموارنة – والمسلمين، بعد مزيدٍ من الاتصالات مع دول الغرب (فرنسا) أولاً، ثم بكثرةٍ في العالم العربي (وخاصةً مع سوريا)، موقف لبنان الدولي، من الزاوية السياسية قد هيمن عليه الحياد، وهو تحيزٌ دبلوماسيٌ تم اختياره لتجنب التجاوز المفرط بين نخب مجموعةٍ طائفيةٍ معينةٍ مع قوىً أجنبيةٍ[3]، تأصيل النظام الطائفي اللبناني والسياسة الخارجية المحايدة جاء مصحوباً بالنتيجة الاقتصادية الأساسية: الدعوة للتبادل الحر، أكثر من كونه سياسةً طويلة

2 كساب، 2015، صفحة 26-1.

3 الزين، 2010، p. 333-350. NOTTEAU. DRAVET. صلوخ، 2008 ، ص. 317-283.

المدى، كان تقدير انفتاح الأسواق عنصراً ضرورياً للهوية الوطنية، مع تعدد الأحزاب الدبلوماسية وعدم الانحياز.

قدرت الطبقة الحاكمة أنه في ظل عدم تنظيم الاقتصاد المفتوح، ستعمل الأراضي اللبنانية في التقسيم الدولي للعمل كنقطةٍ جغرافيةٍ قادرةٍ على توفير روابط لوجستيةٍ وتجاريةٍ وماليةٍ، بين الغرب من ناحيةٍ ولا سيما أوروبا، ومن ناحيةٍ أخرى الشرق الأوسط، واختيار الموارد البشرية كقوةٍ إنتاجيةٍ تفضيليةٍ للاستفادة منها، التصور الإيجابي للمزيج بين الحكومة المدعومة من عدة أقطاب في السلطة وممارسة المشاريع الحرة تم تعزيزه من قبل ملاحظة النخب اللبنانية بأن التجارب السياسية الاستبدادية والمغلقة اقتصادياً في العالم العربي خلال الأربعينيات اتسمت بعدم الاستقرار، مما أدى إلى تتابع سلسلةٍ من الانقلابات[44].

لم ينصبَ تركيز القوة العاملة على الاستفادة من الاقتصاد بشكلٍ عشوائيٍ، كان صانعو القرار في فترة الاستقلال يدركون أنَ بلادهم تختلف عن جيرانها العرب في مسألة التعليم، وجود فرنسا العائد إلى تاريخ عام 1861، التي تعمقت مع انتدابها على سوريا ولبنان بين 1920 و 1943، أورث تعليماً شاملاً[5]، اليوم يتمتع المجتمع اللبناني بمستوياتٍ تعليميةٍ عاليةٍ للغاية بالنسبة للبلدان النامية، ويبرز باعتباره الأكثر تعليماً في العالم العربي، في جميع المراحل التعليمية: التعليم الابتدائي والثانوي والعالي[6].

ساهم استخدام رأس المال البشري في خضم ممارسات السوق الحرة في ظهور اقتصادٍ ترأسه في الماضي القطاع الخدمي، احتلت الزراعة والصناعة أجزاءً صغيرةً

4 غاسباري ، 2004 ، ص. 66-43.

5 MEIER ، 2011 ، ص. 58-55.

6 BUCCIANTI-BARAKAT & CHAMUSSY 2012، صفحة 132.

من الناتج المحلي الإجمالي اللبناني، مع أكثر من 80% من الناتج المحلي الإجمالي واستيعاب أكثر من 40% من القوى العاملة، وقد تألَف التعليم العالي، من بين أنشطته البارزة، مع أكثر من 80% من الناتج المحلي الإجمالي واستيعاب أكثر من 40% من القوى العاملة، وقد كانت من بين أنشطة القطاع الثالث البارزة السياحة، وسوق العقارات، وخصوصاً التجارة والدوائر المالية[7].

من الواضح، أنَ هدف لبنان المتمثل في الإدراج الدولي والتنمية الاقتصادية في مجال الخدمات، لم يسلم منذ الاستقلال من التطورات الكارثية للتوترات الجيوسياسية في الشرق الأوسط، ولا سيما أنَ الصراع العربي الإسرائيلي قد تجاوز أنحاء البلاد، وكان واحداً من الأسباب التي أشعلت الحرب الأهلية بين عامي 1975 و 1990، والعواقب منها جنباً إلى جنبٍ مع هذه المأساة الإنسانية، انكماشٌ شديدٌ في الناتج المحلي الإجمالي: تم تخفيضه بنسبة 70 في المائة، وتبين البحوث أنَ الأداء الاقتصادي اللبناني بين عامي 1970 و 2012 تم تغييره بانتظامٍ مع الاضطرابات السياسية الداخلية أو الصدمات الخارجية الناجمة عن الاضطرابات الإقليمية، والذي تطلب اقتصاداً مرتفعاً وفقاً لـ «معدل الصراع».

تثبت قدرة القوى المنتجة اللبنانية وحساباتٍ توضيحية، أنه في مراحل تقدر باستقرارٍ داخليٍ أكثر حصلت البلاد زخماً كبيراً بين عامي 1989و1999 في التحسن الاقتصادي، حيث شهد لبنان زيادةً في الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 140 ٪[8]، أدلةٌ أخرى على أنَ المجال الثلاثي يعمل كمحركٍ فعالٍ للاقتصاد اللبناني هو ما يتم توفيره بالطريقة التي تجنبه الركود العالمي وذلك بين عامي 2008 و 2010.

7 BUCCIANTI-BARAKAT & CHAMUSSY 2012، ص. 119- 161، الزين NOTTEAU. DRAVET 2010 ، ص. 350-333.

8 ماركتنر، ويلسون والصغير، 2016 ، ص. 134-119.

في غضون ذلك سجلت البلاد، خلافاً للاتجاه العالمي قفزةً بنسبة 8% في ناتجها المحلي الإجمالي، مدفوعاً بزيادة الطلب السياحي، وإعادة الإعمار بعد «حرب الصيف» أو «حرب تموز» ضد إسرائيل في عام 2006، وبقوة الخدمات المصرفية، حيث أنَ إدارة قويمةً تحميهم من زعزعة الاستقرار في المراكز المالية الدولية الرئيسية[9]، وأخيراً ينبغي ألا يغيب عن الأذهان أنه على الرغم من أن القطاع العام اللبناني هو ثالث أكثر البلدان مديونيةً في العالم، إلا أنَ البلاد لم تكن عرضةً للتخلف الاقتصادي، وذلك وعلى وجه التحديد بفضل قوة مصارفها التي تمول الديون[10].

3. العلاقات الاقتصادية بين البرازيل ولبنان:

إنَ الوصف الملائم للاقتصاد اللبناني يسمح بتصورٍ فوريٍ عن درجة تكامله العالية مع الاقتصاد البرازيلي، الذي يمكن لمنتجاته الصناعية والزراعية أن تقدم الكثير للسوق اللبنانية، تظهر الرسوم البيانية أدناه أن التبادل بين البلدين قد ازداد على مدى السنوات العشر الماضية، نمت التجارة الثنائية بنسبة 55 ٪ من 184 مليون دولار في عام 2006 إلى 280 مليون دولار في عام 2016.

9 نجيم، 2012، ص. 98-97.

10 نهار، 2015، FINANCIAL TIMES، 2017.

الجدول 1 تطور التبادل التجاري بين البرازيل ولبنان
(بملايين الدولارات الأمريكية)

الموازنة	التبادل التَجاري			الواردات			الصادرات			السنوات
	الإجمالي البرازيلي ٪	النسبة٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	النسبة٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي٪	النسبة ٪	القيمة	
172	0,08%	42,7%	185	0,01%	22,3%	7	0,13%	43,6%	179	2006
211	0,09%	30,0%	241	0,01%	121,1%	15	0,14%	26,6%	226	2007
220	0,10%	35,9%	327	0,03%	259,7%	54	0,14%	21,2%	274	2008
309	0,11%	-4,7%	312	0,00%	-97,4%	1	0,20%	13,4%	311	2009
242	0,06%	-21,5%	245	0,00%	18,4%	2	0,12%	-21,7%	243	2010
301	0,06%	24,6%	305	0,00%	21,7%	2	0,12%	24,6%	303	2011
281	0,07%	-0,1%	305	0,01%	491,0%	12	0,12%	-3,4%	293	2012
312	0,08%	19,6%	365	0,01%	120,6%	26	0,14%	15,5%	338	2013
303	0,07%	-8,9%	332	0,01%	-45,0%	14	0,14%	-6,1%	318	2014
263	0,09%	-6,5%	311	0,01%	64,5%	24	0,15%	-9,8%	287	2015

الموازنة	التبادل التَجاري			الواردات			الصادرات			السنوات
	الإجمالي البرازيلي ٪	النسبة٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	النسبة٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي٪	النسبة ٪	القيمة	
190	0,08%	-7,0%	194	0,00%	-89,9%	2	0,14%	0,5%	192	2016 من كانون الثاني ولغاية أيلول
n.c.	-	67,6%		-	253,6%		-	60,6%		النسبة % 2006– 2015

المصدر: إعداد MRE / DPR / DIC قسم الاستخبارات التجارية، استناداً إلى بيانات MDIC / Secex / Aliceweb، تشرين الأول 6102. (n.c) لم يتم حسابه لأسباب محددة.

في الجدولين أدناه تكشف عن جانبين من التبادلات الثنائية، الأول يتعلق بمشاركةٍ ذات القيمة الكمية للمنتجات الأولية في قائمة التصدير البرازيلية.

الجدول 2 مكونات الصادرات البرازيلية إلى لبنان (بملايين الدولارات الأمريكية)

مجموعات المنتجات	2013		2014		2015	
	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي
اللحوم	105	31,0%	114	35,9%	90	31,4%
قهوة	60	17,7%	49	15,4%	57	19,9%
حيواناتٌ حيَة	115	34,0%	75	23,6%	43	15,0%
سكر	22	6,5%	39	12,3%	36	12,6%
طائرات	0	0,0%	0	0,1%	18	6,3%
سيارات	0	0,1%	1	0,2%	14	4,9%
مسحضراتٌ غذائيةٌ	3	0,9%	3	0,9%	3	1,0%
منتجاتٌ بلاستيكيةٌ	1	0,3%	1	0,3%	3	1,0%
التبغ والمستحضرات البديلة	4	1,2%	5	1,6%	2	0,7%
أحذيةٌ	3	0,9%	3	0,9%	2	0,7%
الإجمالي	313	92,6%	290	91,3%	268	93,5%
منتجاتٌ أخرى	25	7,4%	28	8,7%	19	6,5%
المجموع	**338**	**100,0%**	**318**	**100,0%**	**287**	**100,0%**

المصدر: إعداد MRE / DPR / DIC قسم الاستخبارات التجارية، استناداً إلى بيانات MDIC / Secex / Aliceweb /، تشرين الأول 2016.

الجدول 3 مكونات الواردات الأصلية من لبنان (بملايين الدولارات الأمريكية)

مجموعات المنتجات	2013		2014		2015	
	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي ٪	القيمة	الإجمالي البرازيلي
الأسمدة	22,1	84,0%	10,1	69,8%	21,7	91,2%
رصاص	2,4	9,1%	2,0	13,7%	0,9	3,6%
معدات بستنةٍ	0,6	2,2%	0,6	4,4%	0,3	1,4%
المينيوم	0,2	0,6%	0,7	5,0%	0,2	0,7%
دهون وزيوت	0,1	0,5%	0,1	0,9%	0,2	0,7%
مشروبات	0,2	0,6%	0,3	2,2%	0,1	0,6%
آلاتٌ ميكانيكية	0,4	1,4%	0,0	0,0%	0,1	0,4%
خضراوات	0,1	0,3%	0,1	0,4%	0,1	0,2%
قهوة	0,0	0,1%	0,1	0,6%	0,0	0,2%
حبوب	0,0	0,1%	0,0	0,1%	0,0	0,1%
الإجمالي	26,0	98,9%	14,1	97,2%	23,6	99,1%
منتجاتٌ أخرى	0,3	1,1%	0,4	2,8%	0,2	0,9%
المجموع	**26,3**	**100,0%**	**14,5**	**100,0%**	**23,8**	**100,0%**

إن أجرينا مقارنةً بين البندين الأول والثالث، اللحم والحيوانات الحية، يمكن ملاحظة أن مبيعات اللحوم (اللحوم المجمدة، والماشية) والدجاج تمثل ما بين 54 ٪ و 65 ٪ من جميع السلع البرازيلية المتداولة في لبنان، الجنس الثاني الذي يتمتع بأعلى نسبة اختراق في السوق اللبنانية هو السكر كسلعةٍ أخرى، دخول اللحوم من البرازيل إلى لبنان هو نتيجة القدرة التنافسية لصانعي اللحوم كشركة مينيرفا، التي لديها مكتب تمثيلي في بيروت.

الجانب الثاني يشير إلى حجم الصادرات اللبنانية الواصلة إلى البرازيل، بقيمٍ تقلّ عن 30 مليون دولارٍ، تختلف اختلافًا طفيفًا عن قائمة المنتجات التي تستوعبها السوق البرازيلية في أول بندٍ لها: الأسمدة والتي ستغطي من 69٪ إلى 91٪ من إجمالي المبيعات بين 2013 و2015، يضاف إلى ذلك أنّ أحد الأسمدة الأكثر شراء من الجانب البرازيلي هو trisuperfosfato، الذي يتم معالجته بواسطة عمال المناجم اللبنانيين، لكنه في الواقع يأتي من سوريا.

وينبغي التأكيد على أنّ عدم التماثل في تدفق السلع ليس مشكلةً خطيرةً على الإطلاق في مبادرتنا مع الجانب اللبناني، بأضرارٍ كهذه مثلاً، فقد تعاقد لبنان عجزاً ثقيلاً مع شركائه الرئيسيين، بدءاً من الصين كأول موردٍ لها، لبنان يبدو فقط كمصدر سلسٍ لعددٍ قليلٍ من الوجهات كبعض الدول العربية، والمستهلكين للسلع المصنعة الخاصة بهم.

في ضوء ما سبق، فإنّ تركيبة السلسلة التجارية البرازيلية اللبنانية كما تقدم نفسها، تفتح مجالاً واسعاً للتوسع والحصول على قيمةٍ مضافةٍ، وفي إطارٍ منظورٍ تعاوني كان دائماً أساس العلاقات الثنائية والتي أصبحت أكثر إنصافاً.

تشاطر الحكومتان البرازيلية واللبنانية الرأي القائل بأنه لا يزال هناك إمكانيةٌ كبيرةٌ لاستكشاف العلاقات الاقتصادية، منذ تسعينات القرن الماضي كانا يستخدمان

الأجهزة السياسية والدبلوماسية الخاصة بهما ووكلاء القطاع الخاص كمحرِّكاتٍ لتعميق الروابط التجارية والاستثمارية المعاملة بالمثل.

وتصاعديَاً اقترن الجانب التجاري جنباً إلى جنب بزياراتٍ من السلطات، على سبيل المثال في عام 2003، خلال مهمةٍ قام بها رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري إلى البرازيل، تم الاحتفال بمعرض بلانيت لبنان الكبير في ساو باولو، في تلك السنة، اصطحب معه الرئيس السابق لويس إيناسيو لولا دا سيلفا، في رحلةٍ إلى لبنان، وفداً ضخماً من رجال الأعمال، في عام 2011 ناقش الرئيس ميشال تامر الذي كان آنذاك نائباً للرئيس أثناء زيارته للبنان مع مضيفيه فرصاً مختلفة للترويج التجاري.

4. تنويع الشراكات والطاقة الاغترابيَة:

على الرغم من الموجة الجديدة من الاضطرابات الجيوسياسية في الشرق الأوسط الناتجة عن اندلا ع الربيع العربي وما تلاه من صراعاتٍ في هذا المجال، تتجه البرازيل ولبنان إلى نهجٍ جديدٍ، هذه التعبئة تعزى إلى حدٍ كبيرٍ إلى الابتكار المدهش في السياسة الخارجية اللبنانية بعد تشكيل مجلس الوزراء في عام 2014 وتعيين جبران باسيل في حافظة الشؤون الخارجية والمغتربين، أي التخصيص غير المسبوق لمركزية العلاقات مع دول أمريكا اللاتينية، فقط في عامه الأول كرئيس لوزارة الخارجية اللبنانية، قام الوزير باسيل بثلاث زياراتٍ إلى المنطقة[11]، استكملت مع دورةٍ رابعةٍ في عام 2016، برزت فيها البرازيل كوجهةٍ لرحلته الأولى إلى أمريكا اللاتينية في آب من العام 2014 ليتم بعد عامين زيارةً إضافية من قبله.

تتجلى تظاهرة اهتمام لبنان بأمريكا اللاتينية بشكلٍ عامٍ والبرازيل بشكلٍ خاصٍ وسط ظروف البيئة الإقليمية في لبنان التي تدفع الحكومة اللبنانية ورجال

11 جبران باسيل، 2015.

الأعمال إلى تنويع شراكاتهم الاقتصادية التجارية، لعقود من الزمان، انتخبوا أوروبا والشرق الأوسط كشركاء رئيسيين لهم وهو خيارٌ ذو نتائج متناقضة، قدم الأوروبيون فيها أموالاً ضخمةً مشروطةً لإعادة إعمار البلد.

اتفاقية الاتحاد الأوروبي مع لبنان عام 1978 وكذلك مبادرة الشراكة الأوروبية المتوسطية التي انضمت فيها الحكومة اللبنانية، لم تخفف من عجز البلاد، بل على العكس من ذلك فإنها قد أدت إلى تفاقمٌ أكثر، وقد استهلكت بعض الدول العربية بدورها السلع الصناعية اللبنانية تحت رعاية منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى (GAFTA)، وهي اتفاقيةٌ تهدف إلى تسهيل التجارة البينية العربية.

في حالة أثرياء النفط الخليجيين، فقد قاموا بضخ رؤوس الأموال في البنك المركزي اللبناني، مما ساعد على الحفاظ على الاستقرار النقدي، كما أنهم توجهوا نحو الاستثمارات في مجال العقارات والمساعدات الإنمائية الرسمية، ومع ذلك فإنَ اندلا ع الحرب في سوريا والتحديات اللوجستية (مثل إغلاق معبر نصيب على الحدود الأردنية) قد حرمت المصدرين اللبنانيين من بعض الأسواق (كسوريا) مثقلون بالوصول إلى الآخرين كأولئك العاملين في الخليج العربي.

الأساس الثاني لدبلوماسية بيروت الجديدة لدول أمريكا اللاتينية والكاريبي مع الحفاظ على مركزية البرازيل تتعلق باستخدام الطاقة الاغترابية بمن في ذلك نشطاؤها الاقتصاديون، كلَ الجمعيات السياسية اللبنانية، بطريقةٍ أو بأخرى تقدر دور المغتربين وأحفادهم، لكن الرئيس الحالي للبنان ميشال عون (الذي انتخب في عام 2016) والوزير باسيل والمنحدرين من ذات – الحركة الوطنية الحرة – يرون ضرورة التفاعل بين المهاجرين وبلدهم الأصلي، يدرك عون وباسيل أنَ أكبر الجاليات اللبنانية في الخارج يقيمون في بلدان أمريكا اللاتينية، حيث تعد البرازيل هي الأكثر عدداً من جميع المهاجرين في الشتات، كما يدرك الرئيس والوزير باسيل إنَ أحفادهم في دول أمريكا اللاتينية، مقارنةً بغيرها من دول المهجر الأخرى لا يساهمون كثيراً في اقتصاد

لبنان، وكمثال على ذلك فإنَ التحويلات التي تعادل ما بين 15٪ و 20٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد، تتدفق أساساً من اللبنانيين العاملين في الخليج، في حين أنَ التحويلات من أمريكا اللاتينية إلى جانب التحويلات من أستراليا هي الأقلَ والأكثر تقلباً[12].

قبل انتخاب عون كرئيسٍ للدولة، في عام 2014، أطلقت وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين مع باسيل كرئيسٍ لها مشروعها الرئيسي من أجل تحسين الحوار بين المجتمعات اللبنانية وبلدهم الأصلي: مؤتمر «الطاقة الاغترابيَة»، أقيم هذا المنتدى أربع مراتٍ في بيروت، ويوفر منصةً للتعامل بشكلٍ شاملٍ مع مختلف أوجه التعاون بين المهاجرين ولبنان، مع التركيز على المجال الاقتصادي.

في جميع دورات المؤتمر في العاصمة اللبنانية، قدم الوفد البرازيلي نفسه على أنه الأكبر إلى حدٍ بعيدٍ، وهو علامةٌ على التوقعات الملحوظة لاستخدام الموارد المادية والبشرية للشتات في بلادنا، ووفر كذلك إشارةً بليغةً لهذا الاتجاه نحو ساو باولو، في 27–28 من تشرين الثاني 2016، لمؤتمر الطاقة الاغترابيَة لأمريكا اللاتينية، الذي حضره الرئيس ميشال تامر برفقة الحكومة البرازيلية، من عدة وزراءٍ، وعلى الجانب اللبناني الوزير باسيل، ووزير السياحة ميشال فرعون، بهدف إعادة تنشيط الروابط بين لبنان ومجتمعات المهاجرين والأحفاد المنتشرة في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية، وصف الحدث بأنه فرصةٌ غير مسبوقةٍ للبرازيل من أجل فهمٍ أفضل للفرص المتاحة في لبنان في مجال التجارة والتمويل، وذلك باستخدام السكان للجذور اللبنانية كغايةٍ ذات قيمةٍ كبيرةٍ يستفاد منها.

12 KASPARIAN 2014، صفحة 56.

5. مجلس الأعمال اللبناني–البرازيلي (CELB):

إنَ صحوة البرازيل ولبنان إلى الجزء الاقتصادي والتجاري من علاقاتهما، واقتناعهما بدور المغتربين كدافعٍ للعلاقات الثنائية، ينطوي بالضرورة على المشاركة والتنسيق الأكثر حميميةً بين رجال الأعمال في البلدين، كما أشير إلى إنَ الاقتصاد اللبناني المفتوح تاريخياً قد أتاح ظهور طبقةٍ ريادية نابضةٍ بالحيوية تتمتع بعديدٍ من المزايا من بينها، تجربة المثابرة في الاستثمارات في حالات الخطر – مثل الحرب الأهلية نفسها – التي تحصل على عوائد ضخمة، بالإضافة إلى ذلك يصبح عنصر الأعمال مرئياً ومزدهراً بين المغتربين.

في غرب أفريقيا، يبرز رواد الأعمال اللبنانيين كعوامل اقتصادية لمواهب استثنائيَة، والمثال البين على ذلك هو كوت ديفوار: يفترض أنهم يمسكون بـ 40٪ من الناتج المحلي الإجمالي لساحل العاج[13]، مثل هذا النمط وبوسائل أقل سيتكرر في البرازيل، وكما يصف عالم الأنثروبولوجيا جون توفيق كرم، فإنَ اللبنانيين وأحفادهم في بلدنا، وكذلك غيرهم من المهاجرين من أصولٍ عربيةٍ، يشكلون مجموعاتٍ تجاريةٍ مهمةٍ، وقد اعتبروا في العقود الماضية شركاء لا مفر لهم من الحكومة لتنشيط الصادرات البرازيلية[14].

يراقب مجلس الأعمال اللبناني البرازيلي المهن العملية للجانب اللبناني وجاليته في البرازيل، وأما غرفة التجارة والصناعة والزراعة في بيروت وجبل لبنان الذي تعتبر – أقوى مجموعةٍ ريادية في لبنان – وغرفة التجارة البرازيلية – في ساو باولو، وقعت في آب عام 2014، بدعم من السفارة البرازيلية في بيروت مذكرة تفاهمٍ تهدف إلى توسيع التعاون بين رجال الأعمال في كلا البلدين.

13 JEUNE AFRIQUE, 2017.

14 كرم، 2007، صفحة 49.

ولعله أكثر أهمية من المذكرة نفسها، أنَ الملحق رقم 1 قد أرسى إنشاء مجلس الأعمال اللبناني البرازيلي المتطور ويشمل شكل الحوكمة لهذه الهيئة فصلاً لبنانياً وبرازيلياً، فضلاً عن إنشاء رئاسةٍ لولايتها مدتها سنتان، بالتناوب بين أبعاد فصول كلَ من بلدينا، كان أول رئيسٍ للمجلس السيد ربيع فريم من مجموعة إندفكو، المجموعة الصناعية الضخمة في لبنان، ذات القدرة التنافسية العالية في صناعة الورق والبلاستيك، ولها فروع في بقية الشرق الأوسط وغرب إفريقيا.

من عام 2017، تم ترأس الذراع البرازيلية لقيادة مجلس الأعمال اللبناني البرازيلي السيد متري موفاريج، الظاهر من عالم العقارات مترئساً للمؤسسة[15].

منذ تأسيسه، سعى مجلس الأعمال اللبناني البرازيلي إلى قيادة نهج رجال الأعمال بين البرازيل ولبنان، وفي تشرين الأول من العام 2016، انتقل أعضاء فرع لبنان إلى ساو باولو، على هامش مؤتمر الجالية في أمريكا اللاتينية، لتحقيق مهمةٍ تجاريةٍ مربحةٍ مع برنامجٍ يتضمن لقاءاتٍ مع وزير الصناعة والتجارة الخارجية (DMIC) ماركوس بيريرا، واتحاد الصناعات في ولاية ساو باولو (FIESP)، من بين الشركاء الآخرين.

على الرغم من أنه لا يزال في سنوات تكوينه، يمكن لمجلس الأعمال اللبناني البرازيلي أن يساعد على زيادة التبادلات والاستثمارات الثنائية، من المحتمل أن يساهم ذلك في توازن الميزان التجاري بين البرازيل ولبنان، وبالإضافة إلى ذلك فإنَ الطرف اللبناني الذي يضمَ إضافةً إلى السيد فريم مسؤولين تنفيذيين كبارٍ آخرين من لبنان، مع النظر إلى الأعمال التجارية في مناطق جغرافية أخرى، لا سيما الشرق الأوسط وغرب أفريقيا، قدمت البرازيل اقتراحاتٍ لاتخاذ إجراءاتٍ مشتركةٍ في هذه الوجهات، وفق ترتيبٍ تثليثي يشمل الجهات الفاعلة في قطاع الأعمال من الشتات في هذه المناطق، لبنان بعد الحرب الأهلية لم يعد من الناحية اللوجستية مدخلاً ثالثاً للأسواق العربية

15 مذكرة التفاهم، ANNEX I 2014.

والإفريقية، ومن شأنه أن يستعيد جزئياً هذه الوظيفة عبر واجهة الشبكات البشرية، التي تجذب نواة رواد الأعمال في مختلف القارات.

6. منطقة التجارة الحرة (ميركوسول) لبنان:

عام 2010 من قبيل الصدفة تقريباً، وفي ذات السياق الذي نضجت فكرة مجلس الأعمال اللبناني البرازيلي، تم تطورٌ في مجال المفاوضات الحكومية لتوليد أداةٍ أخرى قادرةٍ على توسيع الجناح الاقتصادي للعلاقات اللبنانية البرازيلية: وهي إطلاق منطقة تجارةٍ حرةٍ بين لبنان وميركوسول، استعاد هذا الموضوع زخمه في عام 2014.

أنجزت الحكومة اللبنانية والدول الشريكة في تلك الكتلة – الأرجنتين والبرازيل والباراغواي والأوروغواي وفنزويلا (قبل تعليق الأخيرة) – في ذلك العام، إجراءات وضع «اتفاقٍ للتعاون التجاري والاقتصادي بين ميركوسول ولبنان، الذي اختتم في كانون الثاني من العام 2014 في مدينة بارانا الأرجنتينية، خلال الاجتماع السابع والأربعين لمجلس السوق المشترك، نصَ إطار الاتفاقية في المادة 3.1 على تشكيل لجنةٍ مشتركةٍ بين الدول الموقعة والتي تحدد كما هو مفصل في المادة 4، البنود «د» و «هـ»، معايير للتفاوض على منطقة تجارةٍ حرةٍ، بين الأطراف والتفاوض على إنشائها (مذكرة التجارة بين ميركوسول ولبنان ، 2014).

في أيَار من العام 2015، اجتمعت وفودٌ من دول ميركوسول في بيروت مع نظرائهم اللبنانيين لإحراز تقدمٍ في المحادثات، وفي وقتٍ لاحق تمَ إعداد وثيقةٍ أساسيةٍ تحتوي على شروط التصدير التجاري، والتي تم الانتهاء منهاً مؤخراً من قبل البلدان المعنية.

على النقيض من الاتفاقات الموقعة بين لبنان والكتل التجارية الأخرى (الاتحاد الأوروبي ، GAFTA) أو غيرها من البلدان، لم يصبح إطار الاتفاقية مع ميركوسول في أي وقتٍ من الأوقات قضيةً تثير قلق المسؤولين الحكوميين والقطاعات

الصناعية أو الزراعية، غالباً ما يواجه اللبنانيون ضغوطاً تنافسيةً شديدةً من السلع الأوروبية والصينية وحتى غيرها من الدول العربية، التي أدى اختراقها للسوق المحلية إلى تآكل سلاسل الإنتاج، مما أدى إلى تقويض الشركات الصغيرة بشكلٍ خطيرٍ وعمق العجز التجاري البالغ حوالي 51 مليار دولار، أي حوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي اللبناني[16].

فيما يتعلق بالتفاعل بين الاقتصاد اللبناني وتلك الخاصة بأعضاء ميركوسول لا توجد انعكاساتٌ سلبيةٌ لأنه يقوم على أساس مفهوم المنافع المتبادلة ورجحان ميزات التكامل، هذه القراءة تؤكدها حقيقة صناعة القرار ودوائر الأعمال في لبنان بأن منطقة التجارة الحرة مع ميركوسول سيسهل إدخال كتلةٍ من المنتجات المخصصة إلى الأسواق التي تمتلكها مجمعات التصنيع الخاصة بها والمنظمات الصناعية اللبنانية لديها وتمكينهم من التنافس دولياً، الحالات الأكثر شهرةً هي زيت الزيتون والنبيذ، والداخلة في الوقت الراهن للسوق البرازيلية، يجب أن تخضع لتعريفاتٍ لا تطبق على دولٍ أخرى، حتى من الشرق الأوسط مثل إسرائيل، والتي تتمتع منذ عام 2010 بوصول كامل إلى ميركوسول وتجدر الإشارة إلى أن الهيئات الحكومية والعديد من رجال الأعمال من لبنان، فيما يتعلق بالميركوسول، فإنه يمنح الشتات في أمريكا اللاتينية الدور الرئيسي لنجاح المبادرة.

إنهم يتوقعون أن تتحول الوحدات الكبيرة من المغتربين وأحفادهم في البرازيل، وبشكلٍ ثانويٍ في الأرجنتين والباراغواي والأوروغواي، بفضل الحفاظ على الممارسات الثقافية أو استعادتها إلى جيوبٍ تستهلك موادً لبنانيةً، إذا نجحت هذه الاستراتيجية فإنَ حصة الصادرات من لبنان إلى دول ميركوسول، التي تقتصر الآن على 1٪ فقط

16 المدن، 2016.

من إجمالي المبيعات اللبنانية في العالم، قد ترتفع، ولتحقيق هذه الغاية، كان برنامج المؤتمر المحتمل للشتات يعمل بشكلٍ مكثفٍ لنشر جودة السلع المنتجة في لبنان[17].

7. الاستثمارات:

إنَ مسار التقريب بين البرازيل ولبنان بعد الحرب الأهلية في الأمور الاقتصادية حتى قبل بضع سنوات يُظهر وجود تيارٍ ضعيفٍ للاستثمارات المتبادلة، انعدام الألفة بين الاقتصاديين عرقلت تحديد تفاصيلٍ لكلٍ من الجانبين لفرص تصدير الخدمات، على الرغم من النسب الهائلة للمطالب والبنى التحتية الاجتماعية فيما يتعلق بالبرازيل، إضافةً للحاجة الملحة لاستكمال إعادة التأهيل المادي للعاصمة اللبنانية التي تضررت بشدةٍ من جراء الحرب الأهلية وغيرها من الأحداث، كحرب تموز عام 2006.

ومع ذلك ، فقد سجلت في التسعينات، محاولة لبنان جذب الشركات البرازيلية للمشاركة في خطط إعادة الإعمار، مثل «Horizonte 2000»، الذي أنشأه رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري، والذي في الواقع في أول زيارةٍ له إلى البرازيل، في عام 1995 أعلن عن رغبته في الاعتماد على المقاولين في بلدنا[18]، وعلى المستوى الحكومي قدمت البرازيل مساهماتٍ وإن كانت متواضعةً، للتخفيف من الأضرار التي سببها الغزاة العسكريون الإسرائيليون في عام 2006[19].

17 L'ORIENT LE JOUR, 2015.

18 قطلب، 1999 ، ص. 105-104.

19 في مؤتمر استوكهولم لعام 2006، الذي عقد لتشجيع الدعم الدولي للبنان بعد حرب تموز 2006، قدمت البرازيل 500 ألف دولارٍ أمريكيٍ تم استيعابها من قبل صندوق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، المخصص لتمويل المشاريع إعادة الإعمار، في عام 2007 ، تبرعت الحكومة البرازيلية بميزانيةٍ قدرها مليون دولارٍ أمريكيٍ للإنعاش اللازم في لبنان في وقت انعقاد مؤتمر باريس الثالث، على الرغم من أنه لم يتم وضع إطارٍ صارمٍ في علاقات التعاون في البنية التحتية من قبل البرازيل، ينبغي الإشارة إلى تنفيذ البرازيل لإيداع مبلغ 500 ألف دولارٍ

وبصرف النظر عن هذه الصناديق الخاصة الممولة من الدولة من قبل القطاع الخاص في البرازيل، أرسلت بعض شركات البناء بعثات بحثية إلى لبنان، دون إبرام عقودٍ حتى عام 2013.

هذا العام (2017) وللمرة الأولى، تم منح عملٍ استراتيجيٍ للشركة البرازيلية أندرادي غوتييريس: المرحلة الثانية من بناء سد جنَة[20]، ومن المتوقع أن يوفر السد المتوقع والذي تم تقديره بأكثر من 250 مليون دولار، المياه إلى وسط لبنان الشمالي بما في ذلك مدن مثل البترون وبعض أحياء بيروت.

كما سيولد الطاقة الكهرومائية، وقد عُهد بالمشروع إلى أندرادي غوتييريس من خلال ارتباط بينها وبين شركة (Engineering and Tradin Consolidated)، وهي شركةٌ هندسيةٌ مدنيةٌ مرموقةٌ في لبنان، صاحب العمل هو بيروت وجبل لبنان للمياه (EWLMB)، وهي شعبةٌ تابعةٌ لوزارة الطاقة والموارد المائية اللبنانية.

في جنَة، يميز أندرادي غوتييريس نفسه كشركة البناء البرازيلية الوحيدة التي تعمل في جميع أنحاء الشرق الأوسط، لقد أكسبته خبرته في لبنان أرباحاً، وجمع معلوماتٍ حول خصوصيات سوق الهندسة الثقيلة المحلية، وهيكلة المشاريع لمعالجة ضعف إمدادات الموارد المائية، وسط تزايد الاستهلاك خاصةً بعد تدفق أكثر من مليون شخص من السوريين إلى الأرض اللبنانية هرباً من الحرب في البلد الأم، في عام 2000 تم الإعلان عن نية إقامة 18 سداً لتخزين المياه[21]، وما زالت العديد

أمريكيٍ لصالح وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، من أجل ترميم مخيم نهر البارد الفلسطيني في شمال لبنان بعد اشتباكاتٍ بين الجيش اللبناني وميليشيا فتح الإسلام الجهادية.

20 BUSINESSNEWS, 2013.

21 BUCCIANTI-BARAKAT و CHAMUSSY، 2012، ص 95-91.

من هذه المشاريع تنتظر إطلاقها، وفي السنوات الأخيرة شهدنا إرادةً سياسيةً لا شكَ حول رغبتها بتنفيذ هذه المشاريع.

ضمن هذا المنحنى التفاضلي، تقدم أندرادي غوتييريس في عام 2015 للحصول على عرض عملٍ إضافيٍ سيكون له تأثيرٌ إيجابيٌ للغاية على تحسين إمدادات المياه إلى بيروت وجبل لبنان، حيث يوجد حوالي 1.6 مليون نسمةٍ، أي ما يقارب الثلث من مجموع السكان، إنه سد بشرِي في منطقة الشوف جنوب وسط لبنان، إثباتاً لإقرار المجتمع الدولي للحكومة اللبنانية وسياستها المائية، أصبح تنفيذ مشروع بشري مجدياً مع إصدار البنك الدولي قرضاً قياسياً بقيمة 474 مليون دولار[22]، استكمله التمويل المشترك البالغ 128 مليون دولارٍ للبنك الإسلامي للتنمية، مجلس إعادة الإعمار والتنمية (CDR)، وهو سلطةٌ ملحقةٌ بحكومة رئيس الوزراء وأحد أكثر المؤسسات تكنوقراطية في لبنان، هو المسؤول عن تنظيم الحدث.

مجموعة من المشاريع على شاكلة جنَة وبشرِي واسعة النطاق، ومن المتوقع أن يتمَ تمديدها مرةً أخرى بانتخاب الرئيس عون واستعادة الاستقرار والثقة الدولية لجذب الاستثمارات، لكي تتمكن الشركات البرازيلية من الانضمام، سيكون من المستحسن تكثيف الحوار مع مجتمع الأعمال اللبناني والكيانات العامة مثل مجلس الإنماء والإعمار (CDR) وهيئة تنمية الاستثمار في لبنان (ايدال).

إذا كانت جنَة ترمز إلى وصول الشركات البرازيلية إلى لبنان بعد الحرب الأهلية، فلدينا على العكس من ذلك، ظهورٌ لبنانيٌ لأول مرةٍ برأس مالٍ في البرازيل، وهذه المرة في المجال التعليمي، شبكة المدارس SABIS اللبنانية وقد خصص لها العديد من الأفرع في بلدان عدة، في عام 2015 افتتح مكتبٌ فرعي بمبلغ 30 مليون

22 (BUSINESSNEWS, 2014).

دولار أمريكي في مدينة كامبيناس، تشتهر SABIS بالجودة العالية لخدماتها التربوية، وتعتزم افتتاح مراكز أخرى في البرازيل[23].

8. النفط والغاز:

دفع البحث عن مصادر جديدةٍ للطاقة الأحفورية من قبل الاقتصادات العالمية الكبرى، لا سيما تلك الموجودة في أوروبا، شركات النفط والغاز الطبيعي إلى شرق البحر الأبيض المتوسط حيث كما يكشف المسح وجود ثروة هيدروكربونات بحريةٍ، لبنان، جنباً إلى جنبٍ مع قبرص وإسرائيل ومصر، من بين الدول التي قد تستفيد من استخراج ومعالجة هذه المواد الخام.

على الرغم من الاختلاف بين التقديرات، فمن المفترض أنَ المياه الإقليمية اللبنانية سيكون لديها ما بين 25 إلى 96 تريليون قدمٍ مكعبٍ من الغاز و 856 مليون برميل من النفط، وستكون هذه المصادر كافيةً لتغيير صورة الاقتصاد اللبناني بالكامل، حيث أنه إذا تم تحويل الإنفاق على الكهرباء إلى استخدام كامل للغاز، سيكون هناك استهلاكٌ من 0.8 إلى 1 تريليون قدمٍ مكعبٍ من هذا المنتج، مما يترك فائضاً كبيراً للتصدير.

بالنسبة لاستيراد الطاقة، سيصبح لبنان مصدراً سلساً والذي من شأنه أن يزيل عجزه التجاري الثقيل عبر تخليص حساباته العامة[24].

كانت الحكومة اللبنانية تعبر قانونياً وسياسياً عن إطلاقها لصناعة الغاز والنفط، في عام 2010 تمت الموافقة على قانون المواد الهيدروكربونية، وهو الإطار القانوني الرئيسي للأنشطة في هذا القطاع، في عام 2012 تم إنشاء إدارة البترول اللبنانية (LPA)، والذي يعتبر من بين مهامها المنافسة بين الشركات لترخيص

23 ANBA, 2015.

24 RUBLE, 2016، ص 139-135.

استكشاف وإنتاج النفط والغاز، وإدراكاً منه في المرحلة الأولية من هذا المسعى، يوصي بمنافسة الشركات الأجنبية المسؤولة عن التنقيب في الخارج، وأشرف على برنامج العمل في الجولة الأولى من التأهيل المسبق للشركات في آذار 2013.

تدفق الكثير من شركات النفط الكبرى، كانت بتروبراس التي قدمت عرضها، هي الشركة الفائزة كشركةٍ عاملةٍ، إلى جانب 11 شركةٍ أخرى، من بينها شركاتٌ عملاقةٌ مثل شل وإيني وتوتال وريبسول وشيفرون وإكسون.

وتنازعت الشركة البرازيلية في المزاد مع شريكتها غير المشغلة بيتروليب، وهي الشركة اللبنانية الوحيدة الموجودة في سوق الهيدروكربونات، ووفقاً للوائح ينصَ العقد على إضافة طرفٍ ثالثٍ لم يتم تعريفه[25].

بعد نتائج الجولة الأولى من التأهيل، تأجل الاختيار النهائي للشركات بسبب عوامل مثل: التقاضي مع إسرائيل بشأن ترسيم الحدود البحرية في جنوب لبنان، وانعدام التأييد من الحكومة للتوقيع على مرسومين بشأن تصميم الكتل الاستكشافية العشر وحول قواعد التنقيب والإنتاج، وغياب رئيسٍ للجمهورية الذي امتدَ من 2014 إلى 2016.

مع انتخاب الرئيس عون، تم التغلب على بعضٍ من هذه المآزق، تمت الموافقة على المراسيم في كانون الثاني من العام 2017 وقرر فتح جولةٍ تكميليةٍ من التأهيل، وإعادة تجميع الشركات الجديدة، الشركات المدرجة بالفعل في العام 2013، مثل بتروبراس، تواصل المنافسة على المرحلة الأخيرة الانتقائية[26].

بالتأكيد، بين عامي 2010 و 2017، تغيرت السيناريوهات العالمية والإقليمية لسوق الغاز والنفط، مع انخفاض أسعار هذه المدخلات، والصدمات

25 كتيب النفط والغاز، 2014، صفحة 71 – 79.

26 MESP, 2017.

الجيوسياسية في شمال إفريقيا والشام في أعقاب الربيع العربي واكتشاف المزيد من الثروات في المناطق الاقتصادية الخالصة لبلدان شرق البحر الأبيض المتوسط الأخرى، مثل حقل زهر الشاسع على ساحل مصر.

إنَ الجهود التي يبذلها لبنان لاستعادة استقراره السياسي الداخلي وتحسين أمنه القانوني ستمكّنه من ذلك كمستلم للاستثمارات من قبل شركات النفط الكبرى، وأكد بقائه في قائمة منافسي الشركات كتوتال وايني وريبسول.

9. الدفاع والأمن:

تم تعزيز التعاون العسكري بين البرازيل ولبنان من خلال انضمام قوات البحرية البرازيلية إلى قوة اليونيفيل في عام 2011، وقيادة فرقة العمل البحرية التابعة لتلك البعثة، ومع تنصيب من وزارة الدفاع في بيروت، في عام 2014 كانت بدايتها الواعدة ،أحد النقاط المحورية للتعاون في مجال الدفاع والأمن هو تسويق الأسلحة والمعدات البرازيلية، وجود عملاء في القوات المسلحة اللبنانية (LAF) ووكالات الشرطة، كقوات الأمن الداخلي (ISF)، مثل هذه الأجهزة تعاني من نقصٍ مزمنٍ في التمويل ومن نقصٍ في حرَاقاتٍ ناريةٍ محدودةٍ للغاية.

أحد العوامل المشددة الأخرى هو أن لبنان يخلو من صناعة الدفاع الأوتوماتيكية ويواجه حظراً على شراء المكونات من الخارج، تتكون الترسانة من كميةٍ كبيرةٍ من الأسلحة المستعملة تبرعت بها عدة بلدان، منها 80 إلى 85 بالمائة من الولايات المتحدة[27].

احتواء العنف السوري الذي تفيض به الحرب كالتَوغلات الإرهابية من قبل الدولة الإسلامية وجبهة تحرير الشام (النَصرة مسبقاً) أمراً محتماً لتوعية المجتمع

27 LEROY ، 2014 ص. 193-191، NERGUISIAN 2015 ، ص 131- 134.

الدولي، في عام 2013، تم إبرام اتفاقيةٍ ثلاثيةٍ بين كلٍ من لبنان وفرنسا والسعودية، منح لبنان 3 مليارات دولارٍ من الائتمان لشراء معدات الحرب الفرنسية من قبل وزارة الدفاع، في عام 2014 أعلنت الرياض عن مساهمةٍ أخرى: مليار دولارٍ أمريكيٍ، لتقاسمها بين قوات المسلحة اللبنانية وكيانات الأمن العام، وهكذا ولأول مرةٍ منذ عقودٍ، تمَ رفد وسائل الدفاع والأمن اللبناني بسيولةٍ، لكن في كانون الثاني 2016 أوقف السعوديون نفقاتهم لأسبابٍ سياسية[28]، تسعى الحكومة الجديدة للاتصال مع العاهل السعودي لإعادة الحوار الثنائي واستعادةً الدعم المالي في نهاية المطاف[29]، وقد قامت الولايات المتحدة من جانبها بتحويل الأموال من الصندوق العسكري الأجنبي (FFF) والمبيعات العسكرية الأجنبية (FMS) إلى لبنان.

إنَ تحليل أوامر الحكومة اللبنانية يقدم تقديراً لنوعية التكنولوجيا العسكرية البرازيلية التي تمكن لبنان من الوصول إليها بوسائل غير مباشرةٍ، يمكن القول أن «جوهرة التاج» للبرنامج الأمريكي لإعادة تحديد القوات المسلحة اللبنانيَة هي ستةٍ من Super Tucano 29- A، التي تنتجها Embraer بالتعاون مع شركة الطيران في أمريكا الشمالية سييرا نيفادا، ومن المتوقع أن يتم الانتهاء من إرسال الطائرات بحلول عام 2019، وبدأ التدريب التجريبي في الولايات المتحدة[30].

مع A-29 ، يمكن للقوات المسلحة اللبنانية على نحو أكثر فعاليةٍ أن تعطل الخلايا الجهادية التي تنتشر على الحدود السورية اللبنانية، في الوقت نفسه اشترت

28 MAMARBACHI. KOSTRZ ، 2016، أوقفت المملكة العربية السعودية الائتمانات بسبب عدم رضائها عن مواقف بيروت في جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، بسبب الخلافات بين كلٍ من الرياض وطهران، والتي فُسرت على أنها محايدةٌ للغاية ومتصورةٌ على أنها متناغمةٌ مع الإيرانيين، محلياً مع حزب الله، في حالة من الفوضى مع الإجماع العربي.

29 المدن، 2017.

30 NSAFORUM, 2017.

القوات المسلحة اللبنانية من IVECO 16 وحدةٍ من VBTP -MR Guarani 6X6، بالاشتراك مع الجيش البرازيلي، الذي لديه مشروعٌ مشتركٌ مع شركة نقلٍ إيطاليةٍ[31].

من أجل الحصول على مساحةٍ أكبر في السوق اللبناني للمعدات العسكرية والأمنية، يتعين على البرازيل إقامة حوارٍ أكثر مرونةً بين الشركات المصنعة والمؤسسات العسكرية ومؤسسات الشرطة.

يعد التسجيل في المعارض المتخصصة إحدى الطرق لتحقيق هذا الهدف، في عام 2015، نظمت الحكومة البرازيلية واجهةً في الدورة الثالثة من معرض أمن الشرق الأوسط (SMES).

مع وساطة الجمعية البرازيلية لصناعات الدفاع والأمن والمواد (ABIMDE)، عرضت الشركات الشهيرة منتجاتها في الجناح البرازيلي: Taurus، CBC، Condor إلخ، كما يساهم تشجيع الحوار بين السلطات الوزارية في تحقيق هذا الهدف، وفي العام 2016 سافر وزير الدفاع راؤول جونجمان إلى لبنان للقاء نظيره السابق سمير مقبل، أثناء تقدمه في المناقشات حول الاتفاق أو مذكرة التفاهم في الدفاع[32].

كما يساهم تشجيع الحوار بين السلطات الوزارية في تحقيق هذا الهدف ، وفي عام 2016 سافر وزير الدفاع راؤول جونجمان إلى لبنان للقاء نظيره السابق سمير مقبل أثناء تقدمه. في المناقشات حول الاتفاق أو مذكرة التفاهم في الدفاع.

10. خطوط الملاحة الجويَة:

31 INFODEFENSA, 2015.

32 MINDEF, 2016.

عند المنعطف الحالي، فإنَ غياب شركة خطوطٍ جويةٍ مباشرةٍ بين البرازيل ولبنان يظلَ بمثابة عدولٍ يركز قراره على تشجيع العلاقات الثنائية وتداعياتها التجارية والاستثمارية، يذكر هذا الموضوع في كثيرٍ من الأحيان من قبل رجال الأعمال من كلا البلدين، وكذلك من قبل البرلمانيين البرازيليين ذي الأصل اللبناني والوزير باسيل، ويعود الموضوع في الواقع إلى عقد الخمسينيات 1950، امتلاك هيئةٍ دوريةٍ: الخطوط الجوية البرازيلية وشركة طيران الشرق الأوسط اللبنانية (MEA)، في أوقات مختلفة يفتحون ويغلقون الرحلات الجوية[33].

جرت المحاولة الأخيرة في الفترة 2004-2005 ، عندما أعادت TAM و MEA في نظام المشاركة في رمز الربط بين ساو باولو وبيروت، اللتين كانتا تعملان في التسعينات من قبل الشركة اللبنانية حصراً.

تعود العقبة في استمرار رحلها المباشرة بسبب انخفاض ربحيتها، لقلة تدفق الركاب، شركة MEA، وهي شركةَ تملكها الدولة اللبنانيَة، كلَ رأس مالها تقريباً في يد البنك المركزي اللبناني، حثت على مراجعة موقفها الرافض لاستئناف رحلاتها الفرديَة، وأنتجت دراسة حديثة للتكلفة لتشير إلى استمرار انخفاض الطلب إلى جانب المنافسة من شركات أخرى في الشرق الأوسط (الخطوط الجوية القطرية، طيران الإمارات، الخطوط الجوية التركية) والتي تربط ساوباولو بالوجهات في المنطقة.

جرت المحاولة الأخيرة في الفترة 2004-2005، عندما أعادت TAM و MEA، في نظام المشاركة في الكود، الربط بين ساو باولو وبيروت، اللتين كانتا تعملان في التسعينات من قبل الشركة اللبنانية حصراً، وفي الوقت نفسه، نفذت شركة طيران الشرق الأوسط شكلاً آخر من أشكال الخدمات الجوية، وهذه المرة مع شركة Embraer: التسليم في عام 2016، لـ Legacy 500، وهي أول مركبةٍ لأسطول Cedar Executive في المستقبل، وهي شركةٌ تابعةٌ للشركة التي

33 قطلب ، 1999 ، ص. 167-166.

تملكها الدولة للطيران المدني اللبناني للرحلات الجوية التنفيذية[34]، وسوف تطلب شركة طيران الشرق الأوسط وحدةٍ ثانيةٍ من هذه الطائرة وتفكر في الحصول على الثالثة، الاتفاق الذي جعل من إمبراير لسنواتٍ تعرض منتجاتها لعملاء القطاع الخاص في لبنان، لتقديم عملية بيعٍ إلى هيئةٍ حكوميةٍ لبنانيةٍ.

11. إعادة إعمار سوريا:

من بين أشدَ المواضيع غموضاً في الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر، فإنَ مستقبل سوريا سيحمل على أية حالٍ اثنتين من الحقائق: الأول هو الحجم الهائل للتمويل لإعادة إعمار البلاد، تتوقع لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) أنه لإعادة الاقتصاد السوري إلى حجمه في عام 2010، أي فورًا قبل الحرب، يجب على المجتمع الدولي توفير 200 مليار دولار أمريكي[35].

والثاني هو أن لبنان سيلعب دوراً رئيسياً في النهضة الاقتصادية لسوريا، كثافة التشابك التاريخي بين البلدين هو ما يؤثر على منطمة الإسكوا، أيَ تقلبات تصل إلى نسبة 1 ٪ في الناتج المحلي الإجمالي السوري وبأي سيناريو تاريخي يعادل من الناتج المحلي الإجمالي اللبناني ما نسبته 0.2 ٪[36].

ومن العوامل الخارجية الإيجابية الأخرى أنَ البنية التحتية اللبنانية نفسها يجب أن تكون مجهزةً لدعم الخدمات اللوجستية لإعادة إعمار البلد المجاور، وجذب الاستثمارات لتحديث ميناء طرابلس على سبيل المثال[37].

34 المركز الثقافي البرازيلي اللبناني، 2016.
35 ESCWA, 2016.
36 ESCWA, 2015.
37 الحياة، 2016.

من ناحيةٍ أخرى، سيكون لقطاع الأعمال اللبناني ميزةً غير مسبوقةٍ في إعادة التهيئة الاقتصادية السورية من خلال معرفة خصوصيات الدولة السورية وسوقها، في الطبقات المركزية والمحلية، مع التأكيد على أنه وبمعزلٍ عن السياسة تجاه سوريا، فإنها عندما تهدأ سيكون لها لامركزيةٌ أكثر مما كانت عليه في عهد الأسد[38]، وبما أنَ الشركات الحكومية ذات المواقف المحايد في الملف السوري كالبريكس مثلاً ستحظى بقبولٍ أكبرٍ – على الأقل في المناطق التي يسيطر عليها نظام الأسد – [39]، فإنَ الشركات البرازيلية التي قد تتطوع للاستثمار في بلاد خبرات نظرائها في لبنان، البنوك اللبنانية وكلها تقريباً مع شركاتٍ تابعةٍ لها على الأراضي السورية، سيوفر قنواتٍ ماليةٍ مفيدةٍ لمصدري الخدمات الأجنبية.

12. منظمة التجارة العالمية (WTO):

إنَ التعاون بين البرازيل ولبنان في الشؤون الاقتصادية والتجارية لن ينفذ بالضرورة عبريهما كمحورين ثنائيين، بل يمكن تكراره في منتديات متعددة الأطراف مثل منظمة التجارة العالمية (WTO)، وذلك لأنه بعد مدةٍ من ثماني سنوات، الحكومة اللبنانية كعضوٍ مؤسسٍ في الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (جات)، عادت لدراسة دعوةٍ لانضمامها النهائي إلى منظمة التجارة العالمية، والتي كانت تشارك كمراقبٍ، وبعد مناقشاتٍ تقنيةٍ وسياسيةٍ بين الهيئات المسؤولة عن موضوع الانضمام إلى تلك الهيئة، لوَح لبنان لصالح استرجاع الفريق العامل المسؤول عن فحص التماسه للانضمام إلى الهيئة[40]، وقد تَم تنفيذ هذه العملية بمساعدة رتيبةٍ في منظمة التجارة العالمية والشركاء الغربيين البارزين، كالولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد

38 خضور ، 2017 ، ص. 20-1.
39 السفير، 2017.
40 WTO, 2017.

الأوروبي، الذين قدموا المشورة إلى وزارة الاقتصاد والتجارة اللبنانية وقدموا التدريب لموظفي هذا المجلد المعنيين بالموضوع.

تتمكن الحكومة البرازيلية من القيام بنشاطٍ مشابهٍ، حيث تنقل إلى فريق المفاوضين اللبنانيين حتى في المستقبل القريب معرفةً تقنيةً، مع أن لبنان أصبح بالفعل عضوًا كاملًا، وكذلك قراءته حول عمل منظمة التجارة العالمية من منظور البرازيل كمؤيدٍ تام في G77 / الصين التجمع الذي ينتسب إليه لبنان، مما يزيد من هذا الاقتراح أهميةً كون بيروت استفادت حتى الآن من وعودٍ بالتمكين من الدول المتقدمة فقط.

13. الخلاصة:

هذا التوصيف القصير وغير الشامل للعلاقات الاقتصادية التجارية بين البرازيل ولبنان يعكس الرأي، الذي تدعو إليه الحكومة البرازيلية، خلافاً لخرافة الدولة العربية المذكورة آنفاً كون لبنان يقع في بؤرة التوترات الجيوسياسية في العالم، فلذلك لا يتم انتخابه كشريكٍ للتبادل التجاري والاستثماري.

لقد حاولنا أن نبرهن على أن الحكومة اللبنانية واستراتيجيات القطاع الخاص قد أسست الاقتصاد من خلال الحصول على خدمات كمحفزٍ أقوى، وبالتالي تمتلك إمكاناتٍ كبيرةٍ للتآزر مع مجمعات خدماتنا الصناعية والزراعية والهندسية، ويعتمد الاستخدام الأكثر ربحيةً لهذا التكامل إلى حدٍ كبيرٍ على البحث عن المعرفة المتبادلة، واللجوء إلى واحدٍ من أعظم الأصول التي تتماشى مع البرازيل ومع لبنان: الجالية.

المراجع:

1 – الكتب والمقالات الأكاديمية

BUCCIANTIBARAKAT, Liliane; CHAMUSSY, Henri. Le Liban – Géographie d'un Pays Paradoxal. Paris: Belin, 2012.

COOPER, Andrew; SHAW, Timothy. The Diplomacies of Small States at the Start of the Twentyfirst Century: How Vulnerable? How Resilient? In: COOPER, Andrew; SHAW, Timothy. TheDiplomacies of Small States – Between Vulnerability and Resilience. Hampshire: Palgrave and Macmillan, 2013, cap. 1, p. 118.

EL ZEIN, Derek; NOTTEAU, Maxime; DRAVET, Camille.Géopolitique du Liban. Paris: SPM, s.d.

GASPARI, Toufik. A Political Economy of Lebanon, 84912002– The Limits of LaissezFaire. Leiden: Brill, 2004.

KARAM, John Tofik. Um Outro Arabesco – Etnicidade SirioLibanesa no Brasil Neoliberal. São Paulo: Martins Fontes, 2007.

KASPARIAN, Choghig. L'Apport Financier des Émigrés et son Impact sur les Conditions de Vie de Libanais. Observatoire de la Realité Socio Economique (OURSE), Université SaintJoseph de Beyrouth, 2014.

KASSAB, Hanna. Weak States in International Relations Theory – The Cases of Armenia, St. Kitts and Nevis, Lebanon and Cambodia. Hampshire: Palgrave and Macmillan, 2015.

KHADDOUR, Kheder. Local Wars and the Chance for Decentralized Peace in Syria. Beirute: Carnegie Middle East Center, 2017.

KHATLAB, Roberto. BrasilLibano – Amizade que Desafia a Distância. Bauru: EDUSC, 1999.

LEBANON OPPORTUNITIES. Oil & Gas Handbook. Beirute: Infropro, 2014.

LEROY, Didier. Les Forces Armées Libanaises. Symbole d´Unité Nationale et Objet de Tensions Communautaires. In: DAGUZAN, JeanFrancois;

VALTER, Stéphane (dir.). Les Forces Arabes et MoyenOrientales Après les Printemps Arabes. Paris : Éditions ESKA, 2014.

MAMARBACHI, Henri; KOSTRZ, Marie. L'économie libanaise, dernière victime du duel TeheranRiyad. 22 mar. 2016. Disponível em: <www.orientxxi.info/magazine>.

MARKTANNER, Marcus; WILSON, Maureen; ELSAGHIR, Sandra. The Economic Cost of the Arab Uprising for Lebanon. In:FELSCH, Maximilian; WAHLISCH, Martin (eds.). Lebanon and the Arab Uprisings. Abingdon: Routledge, 2016, cap. 7.

MEIER, Daniel. Le Liban. 2ª ed. Paris: Cavalier Bleu, 2011.

NAJEM, Tom. Lebanon – The Politics of a Penetrated Society. Londres: Routledge, 2012.

NERGUIZIAN, Aram. Between Sectarianism And Military Development: The Paradox of The Lebanese Armed Forces. In: SALLOUKH, Bassel F.; BARAKAT, Rabie; ALHABBAL,

Jinan S.; KHATTAB, Lara W.; MIKAELIAN, Shoghig (eds). The Politics of Sectarianism in Postwar Lebanon. Londres: Pluto Press, 2015.

RUBLE, Isabella. The Fight for Oil and Gas: Regional Rivalry, the Arab Uprisings and Lebanon's Energy Sector. In: FELSCH, Maximilian; WAHLISCH, Martin (eds.). Lebanon and the Arab Uprisings. Abingdon: Routledge, 2016, cap. 8.

SALLOUKH, B. The Art of the Impossible: The Foreign Policy of Lebanon. In: The Foreign Policies of Arab States – The Challenge of Globalization. Cairo: The American University in Cairo Press, 2008, cap. 12, p. 283317.

المواد في الصحافة:

Accession Working Parties State of Play. WTO Accessions Newsletter, n. 74, jun. 2017. Côte d´Ivoire: Insubmersibles Libanais. 4 jul. 2017. Disponível em: <www.jeuneafrique.com>.

Lebanon Defies the Odds to Keep its Finances Afloat. Financial Times, 12 jun. 2017.

Lebanon First Licensing Round: Companies Qualified for the Tender. 26 abr. 2017. Disponível em: <www.mesp.me>.

Lebanon: A Roadmap for the First Licensing Round. 8 fev. 2017. Disponível em: <www.mesp.me>.

Ministro Jungmann visita o Líbano e fortalece cooperação em defesa com o Brasil. 4 nov. 2016. Disponível em: <www.defesa.gov.br>.

Muntada 'i'maar suuriia: dauur kabiir li lubnaan'. 3 jun. 2016. alHayat.

'Indimaam lubnaan 'ilaa 'attijaara al'aaalamiia iiaquud qitaa'aatihi al'intaajiia? 8 mar. 2016. Disponível em: <www.almodon.com>.

Primeiro Jato Cedar Executive Feito no Brasil. 8 jan. 2016.

Disponível em: <www.ccbl.com.br>.

'I'aada al'i'maar fii suuriia..mata uua kaifa? 14 dez. 2015. Assafir.

Campinas Terá Escola Libanesa Bilíngue. 19 out. 2015. Disponível em: <www.anba.com.br>.

Lubnaan thalith 'akbar adduual fii nisba addaiin min an-natij al-mahlii. Addaiin taht assaiitara li kuun ghaalibiia masaadir tamuuiilihi min al-masaarif. 19 out. 2015. AnNahar.

La Diaspora est au Coeur de Notre Diplomatie Économique. 22 maio 2015. L'Orient Le Jour.

Baasil 'arada nata'ij jaulatihi fii 'amiirikaa allaatiiniia: qanuun

'isti'aada aljinsiia 'aauulauuiia uuataniia uua lubnaan annamuuudhaj mudaaada li aljamaaa'aa al'irhaabiia. 6 mar. 2015. Disponível em: <www.gebranbassil.com>.

Primeira Exportação de VBTPMR 6X6 Guarani para o Líbano. 30 jan. 2015. Disponível em: <www.infodefensa.com>.

Bisri Dam Funded – World Bank to Provide $474 Million. 14 ago 2014. Disponível em: <www.businessnews.com.lb>.

Janna Dam Phase II kicks off – Brazilian AG to handle works. 23 dez. 2013. Disponível em: <www.businessnews.com.lb>.

المواد الصحافية بالعربية:

طيارو الجوية اللبنانية ينفذون أولى طلعاتهم التدريبية على السوبر توكانو. متوفر على: <www.nsaforum>

لبنام ودولت الخليج: مواقف عون تنعكس على الحريري. متوفر على: com. www.almodon

منتدى إعمار سوريا: دور كبير للبنان. 3 يوليو 2016. الحياة

انضمام لبنان الى التجارة العالمية يقود قطاعاته الإنتاجية؟ 8 مارس 2016. متوفر على: www.almodon.com

إعادة الإعمار في سوريا. متى وكيف؟ 41 ديسيمبر 2015. السفير.

لبنان ثالث اكبر الدول في نسبة الدين من الناتج المحلي. الدين تحت السيطرة لكون غالبية مصادر تمويله من المصارف. 91 أكتوبر 2015. النهار.

باسل عرض نتائج جولته في أمريكا اللاتينية: قانون استعادة الجنسية أولوية وطنية ولبنان النموذج المضاد للجماعات الإرهابية. 6 مارس 2015. متوفر على: www.gebranbassil.com

الوثائق:

National Agenda for the Future of Syria – Exploring Syria's PostConflict Rebuilding: Funding Scenarios. Beirute: ESCWA, 13 jul.2016.

National Agenda for the Future of Syria – Impact of the Syria's GDP Growth Under the Likely Scenario for the Syrian Crisis onn Lebanon's GDP. Beirute: ESCWA, 31 set. 2015.

AcordoQuadro de Comércio Cooperação Econômica entre o Mercosul e o Líbano. Paraná, 16 dez. 2014.

Memorandum of Understanding between the Chamber of Commerce, Industry and Agriculture of Beirut and Mount Lebanon (CCIABML) and the BrazilLebanon

Chamber of Commerce (CCBL). Beirute, 2 jul.2014.

Annex I – Organization & Structure of the Lebanese – Brazilian Business Council. Beirute, 2 jul. 2014.

ملحقٌ

ترجمة مقطع رسالة بعث بها بطرس الثاني امبراطور البرازيل، إلى الكونتيسة دو بارّال، واسمها لويزا مارغاريدا برتغال بورجيز دي باروز، واصفاً زيارته إلى مدن رودس وفاماغوستا وبيروت والى جزيرة قبرص من اليوم التاسع حتى اليوم الثاني عشر من كانون الثاني 1876[1]:

بما أنَه ينبغي الوصول إلى بيروت صباحاً، عندما عادة ما تسهل الرياحُ الهبوطَ، لذلك لم تخرج الباخرة إلا في الظهيرة، أظن أن الطقس لن يتغير على طول الطريق، الذي سيستغرق 12 ساعة، الثامنة والنصف وما زلنا سائرين منذ أكثر من ساعتين ونصفٍ، يَعِدُ الطقس برسوٍ ممتازٍ غداً، أرجو أن أجد أخباراً عنك في بيروت.

سأستيقظ مبكراً جداً لأتلذذ بكوني أول من يرى لبنان، أخذتُ أفكّر في المسلك في فلسطين، وبغية تجنب التكرار المزعج لركوب البواخر والهبوط منها، قد أذهب من بيروت أو دمشق إلى القدس، يبدو أنَ لديّ ما يكفي من الوقت لأقوم بذلك.

بيروت 11 /كانون الثاني السادسة والنصف من الليل

1 الرسالة محفوظة ضمن مجموعة بارال مونتفيرات، المتحف الامبراطوري، قامت بنقل هذا المقطع الباحثة ماريا دي فاطمة موراير أرغون، بعض الجمل لا يمكن فهمها بشكلٍ جيدٍ، إذ يبدو أن الامبراطور رحمه الله كتب الرسالة بسرعةٍ.

نمت نوماً مقبولاً واستيقظت الخامسة فلاحت لي **لبنان** من بعيد، رأيت الشمس طالعةً من وراء تلك الجبال العالية التي بدت لي قممها مغطاةً بالثلوج، **لمدينة بيروت شكل رائع عند شروق الشمس**، تلاحظ الخضرة، ذهب النوتية إلى الأرض لكي يجهز كلَ شيءٍ، فلم أنزل إلى قرابة العاشرة، لحسن حظي لم يكن البحر كما كان منذ أيامٍ في حالةٍ لم تسمح بالرسي في أي موضع، ولكن اليوم تمَ كلَ شيء من غير أدنى إزعاجٍ، عرفت أن قائد الباخرة الحربية الفرنسية السيد جيميه جاء إلى متن باخرتنا ليسأل عنَ السيدة دي فوه، ابنة شقيق الجنرال موران، هل هي في دير راهبات الناصرة في حيفا، كتبت له. كل الذين سلموا علي في الباخرة أشادوا كثيرا بها.

يشرف الفندق بيلي فوه على المتوسط الذي يضيع في الآفاق، أصبح الفندق مقبولاً في هذه الحالة، قد قمت بمشوار في المدينة وبها بيوتٌ جميلةٌ، وموقعها جيدٌ، زرت بيت راهبات الناصرة المبني تحت إشراف السيدة دي فوه. أرتني كلَ شيءٍ السيدة غويوه رئيسة الراهبات، البيت بسيطٌ ولكن هندسته المعمارية العربية أنيقة. أعجبتني كنيسته الصغيرة.

Formato	15,5cm x 22,5cm
Mancha gráfica	12 x 18,3 cm
Papel	pólen soft 80g (miolo), cartão supremo 250g (capa)
Fontes	Gentium Book Basic 20 (títulos) Gentium Book 14/15 (títulos) Chaparral Pro 11,5/15 (textos)

ISBN 857631790-7
9 788576 317906

FUNDAÇÃO ALEXANDRE DE GUSMÃO
www.funag.gov.br